



المجلد الثاني

الطبعة الثانية

الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

المنتخب من السنة

المجلد الثانى

القاهرة

١٣٨٧ هـ

كتاب

البعث بعد الموت
وما يكون يوم القيامة

وفيه ستة أبواب

تكملة

القسم الثالث

«العقائد»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فقد تمَّ المجلد الأول من كتاب « المنتخب من السنة » . وقد وزع على الملأ من علماء هذه الأُمة فى مشارق الأَرض ومغاربها ليبدوا آراءهم فيه ، حتى إذا اجتمعت طائفة من الملاحظات نقح المطبوع على ضوئها ، ثم يترجم إلى اللغات الحية ، لتكون تلك الترجمة دعوة الرسول وتبليغه إليهم ، فيستمعوا إلى كلامه وإن لم يكن بلسان عربى مبين .

وإن الجزء الأَول قد انتهى بباب القدَر من العقائد . وها نحن أولاء نقدم الجزء الثانى ، وهو يبتدئ من حيث انتهى الأَول ، فيبتدئ بالبعث والحشر والنشور ، وينتهى فيه كتاب العقائد والنبوات ، ومن بعده يجيء الجزء الثالث ، وهو مشتمل على العبادات .

ونحمد الله تعالى على توفيقه ، ونضرع إليه أن يستمر ذلك التوفيق ، متجهين إليه مبتهلين لجنابه الكريم : « الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدىَ لولا أن هدانا الله »

البابُ الأول

« فى الحشر والنشرِ »

وفيه خمسةُ فصولٍ

الفصـــل الأولـــ

«فى النفخ فى الصور ونشرِ الموتى من القبورِ»

قال اللهُ تعالى فى سورةِ الزُّمَرِ : «وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ[1] » (الآية رقم ٦٨) .

---

(١) الصور :قرن على هيئة البوق الذى يزمر به ، لايَدرى مدى عظمه إلا الله عز وجل . والموَكل بالنفخ فيه من الملائكة « إسرافيل » عليه السلام : ينفخ فيه مرتين بإذنه تعالى : « الأُولى » نفخة الصعق ، أى الموت ، إذا أراد الله فناء العالم . وإلى هذه النفخة يشير الله بقوله : « ونُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّموَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ » أى مات من فيها « إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ » ، قيل : هم جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل وهو ملك الموت وقيل : هؤلاء الأربعة ، ومعهم حملة العرش من الملائكة ، ثم يقبض الله أرواحهم . ويكون آخرهم موتاً « عزرائيل » ، وينفرد الله الذى لا إله إلا هو بالدوام والبقاء . ويقول : « لِمن الْمُلْكُ الْيَوْمَ » ؟ ثم يجيب نفسه فيقول : « لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ » ، ثم بعد فترة يحيي الله إسرافيل ويأْمره أن ينفخ فى الصور نفخة أخرى ، وهى « النفخة الثانية » . نفخة البعث ، فَتَرِدُ الأَرواح إلى أجسادها ، فإذا هم قيام ينظرون ، كما قال تعالى : « ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ، فَإِذَاهُمْ قِيامٌ ينظُرُونَ » أى إلى أحوال يوم القيامة !

وقال تعالى فى سورة يٓس : «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(١) ، مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ(٢). فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ . وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ(٣) . قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا . هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ(٤) . إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ . فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» .

(الآيات من ٤٨ إلى ٥٤) .

١ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِى أُمَّتِى فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ ـ لَا أَدْرِى : أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا ، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا ؟ ـ

---

(١) وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفار بالبعث بعد الموت : فاستبعدوا ذلك وقالوا : متى يكون؟

(٢) قوله تعالى : «مَا يَنْظُرُونَ ...» الآية أى ما ينتظر هؤلاء الكفار الذين أنكروا البعث إلا نفخة الإفناء والموت تصيح بهم ، فتأخذهم بغتة وهم «يخِصِّمُونَ» ، أى يختصمون فى أمور دنياهم على عادتهم ، وحينئذ فلا يستطيعون أن يوصوا فيما يهمهم ولا أن يرجعوا إلى أهليهم ، بل يصعقون فى أماكنهم حيث يسمعون الصيحة !

(٣) قوله تعالى : «وَنُفِخَ فِى الصُّورِ» ، أى نفخة البعث ، وهى الثانية ، «فإذا هم من الأَجْدَاثِ» أى القبور ، جمع جدث ، «إِلَى ربِّهِمْ يَنْسِلُون» أى يسرعون .

(٤) أى قال الكفار عند بعثهم : يا هلاكنا ويا حسرتنا ! من الذى أحيانا بعد موتنا ، فيجابون : «هذَا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ»

فَيَبْعَثُ اللهُ تَعَالَى عِيسَى(١) بْنَ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَأَنَّهُ عُروَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ . ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ ! حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ(٢) لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ ! . قَالَ : سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ(٣) . لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ : أَلَا تَسْتَجِيبُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ،

---

(١) أى ينزله من السماء حاكماً بشرع محمد صلى الله عليه وسلم . قال القاضى عياض : نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان ، وقتله الدجال ، حق وصحيح عند أهل السنة ، للأحاديث الصحيحة فى ذلك ، وليس فى العقل ولا فى الشرع ما يبطله ، فوجب إثباته . وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم ، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى فى شأن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : «وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ» ، وبحديث : «لَا نَبِيَّ بَعْدِي» ، وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ،وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة . قال : وهذا استدلال فاسد ، لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع جديد ينسخ شرعنا ،ولا فى هذه الأحاديث ولا فى غيرها شيء من هذا ، بل صحت الأحاديث أنه ينزل حكماً مقسطاً ، يحكم بشرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحيي ما هجره الناس – أفاده النووى فى شرحه لصحيح مسلم .

(٢) أى فى باطن جبل وداخله .

(٣) معناه : يكونون فى سرعتهم إلى المعاصى والشهوات «فِى خِفَّةِ الطَّيْرِ» إذا طار ، ويكونون فى ظلم بعضهم بعضا فى حماقة السباع الضارية !

وَهُمْ فِى ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ(١) ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ! ثُمَّ يُنْفَخُ فِى الصُّور فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتاً وَرَفَعَ لِيتاً(٢) ! قَالَ : وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ(٣) حَوْضَ إِبِلِهِ ، قَالَ : فَيُصْعَقُ وَيُصْعَقُ النَّاسُ(٤) ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ — أَوْ قَالَ : يُنْزِلُ اللهُ — مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ — أَوِ الظِّلُّ(٥) — (نُعْمَانُ الشَّاكُّ) فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ، «ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» . ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ ، «وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» ، قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ : أَخْرِجُو بَعْثَ النَّارِ ، فَيُقَالُ : مِنْ كَمْ ؟ فَيُقَالُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَة وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ! قَالَ : فَذَاكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً ، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ(٦) ! !

(رواه أحمد واللفظ له) .

٢ — عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) أى كثيرٌ رزقهم . يقال : درَّ اللبن وغيره أى كثر ، من بابى ضرب وقتل .

(٢) المراد أنه يميل صفحة عنقه إلى السماء ، يتسمع صوت الصيحة التى فزع لها الخلق فزعاً ينتهى بالموت . الليت بكسر اللام : صفحة العنق ، أى جانبه .

(٣) أى يُطَيِّنُهُ ويصلحه . والفعل من باب قال .

(٤) أى يموتون من شدة الفزع وهول الصوت .

(٥) قالوا : الأوضح فى الرواية : «كَأَنَّهُ الطَّلُّ» . بالطاء المهملة . ونعمان الذى حصل منه الشك أحد رجال الإسناد .

(٦) معناه : يكشف عن شدة وهول عظيم . أى يظهر الله ذلك . يقال :كشفت الحرب عن ساقها . إذا اشتدت

وَسَلَّمَ : « مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ »(١) ، قالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أَرْبَعُونَ يَوْماً ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ، قالوا : أَرْبَعُونَ شَهْرًا ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ، قالوا : أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : أَبَيْتُ(٢) — « ثُم يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ »(٣) ، قَالَ : « وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَان شَىْءٌ إِلَّا يَبْلَى(٤) ، إِلَّا عَظْماً وَاحِدًا ، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ(٥) ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . (رواه الشيخان واللفظ لمسلم)

٣ — عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ .

---

(١) قوله «ما بين النفختين» ، أى نفخة الإماتة ونفخة البعث . «أربعون» ، لم يُبَيِّن أبو هريرة نوع الأربعين لعدم علمه بذلك .

(٢) قوله : «أَبَيْتُ» ، معناه أنه أبى وامتنع أن يلتزم كون الأربعين من الأيام أو الشهور أو السنين ، بل الذى جزم بسماعه منه صلى الله عليه وسلم أنها أربعون مجملة ؛ من غير بيان نوعها . وجاء فى غير مسلم من رواية أبى هريرة : أنها أربعون سنة ؛ فإن صحت الرواية فمعناه أنه تردد فى حال وجزم فى حال آخر .

(٣) قوله : «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِن السَّمَاءِ مَاءً» ، أى مطرًا كَمَنِىِّ الرجال . «فينبتونَ» ، أى الموتى فى قبورهم ، كما ينبت الزرع فى باطن الأرض . والمراد أن أجسادهم تعود كما كانت .

(٤) «يَبْلَى» بفتح أوله ، أى يفنى . ويستثنى من عموم الإنسان الأنبياء والشهداء ، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم تكريماً لهم ، لأحاديث صحيحة وردت فى ذلك .

(٥) «عَجْب» بفتح فسكون ، ويقال : عَجْم بالميم ، «الذَّنَب» بفتحتين ، هو عظم لطيف كحبة الخردل ، فى أسفل الصلب عند العجز ، مكان رأس الذنب من ذوات الأربع ، وهو للإنسان كالحبة للزرع .

جَاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَا الصُّورُ ؟ قَالَ . « قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ »(١) .

(رواه أبو داود والترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح)

٤ ـ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبَ الصُّورِ وَقَالَ : «عَنْ يَمِينِهِ جِبْرِيلُ ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِيكَائِيلُ» .

٥ ـ وَعَنْ أَبِى رَزِينٍ الْعَقِيلِىِّ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ يعيد اللهُ الخَلْقَ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِى خَلْقِهِ ؟ قَالَ : «أَمَا مَرَرْتَ بِوَادِى قَوْمِكَ جَدْباً ، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا» ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : «فَتِلْكَ آيَةُ اللهِ فِى خَلْقِهِ : كَذَلِكَ يُحْيِى اللهُ الموْتَى» . (رواهما رزين العبدرىّ)

---

(١) فى صحيح البخارى : قال مجاهد : الصور كهيئة البوق . اهـ . وقال صاحب الصحاح : البوق الذى يزمر به . وهو معروف .

الفصل الثانى

« إعادة الخلْق يوم القيامةِ أهْوَنُ مِنْ إنْشائِه »

قال الله تعالى: « وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ »[١] ، وقال تعالى: « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا ، إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ[٢] » ، وقال تعالى: « وَضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ »[٣] .

---

(١) من الآية ٢٧ من سورة الروم ، ومعنى الآية : أن الله وحده هو الذى أنشأ الخلق بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً ، وهو الذى يعيده وحده بعد أن حكم عليه بالفناء . وإعادته أيسر وأهون عليه من إنشائه له أول مرة ، بحسب أفهامنا وعقولنا ، وإلا فالله عز وجل ليس عليه يسير وأيسر ، ولا شاق وأشق : إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن ، فيكون .

(٢) من الآية ١٠٤ من سورة الأنبياء . والمعنى أن الله عز وجل كما قدر على إيجاد الخلق وإنشائه ، يقدر على إعادته كما كان بعد الحكمِ عليه بالفناء . وقد قضى الله وحكم على العباد بالبعث بعد الموت ، فهو فاعل ذلك لا محالة . فاستعدوا ليوم البعث بالعمل الصالح .

(٣) الآيتان ٧٨ ، ٧٩ من سورة يس . والمعنى : استبعد بعض الكفار أن يبعث الله الموتى بعد ما رمت عظامهم وبليت أجسادهم ؛ فأخذ عظماً باليا وجعل يكسره بيده ويقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أترى الله يحيي هذا بعد ما تفتت وتكسر وصار رميا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نعم ! . ويبعثك ويدخلك جهنم» . فنزل قوله تعالى : « أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ » ، «وضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ... »الخ. والمقصود من الآيات أنه ما كان ينبغى للكافر ، وقد خلقه الله من الماء المهين ، أن ينكر=

١ — عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ[1] طَيْرٌ يَعْلُقُ[2] فى شجرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ » . (رواه مالك والنسائى) .

— قدرة الله على البعث ويجادل فيها ! ويضرب لنا الأمثال بتفتيت العظام وتكسيرها ! وينسى أنا خلقناه أول مرة من الماء المهين ، وهو أغرب من إحياء العظم . ثم أمر الله رسوله أن يقول لهؤلاء المنكرين لقدرة الله على إحياء تلك العظام البالية : « قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ » . أى فلا تخفى عليه أجزاء المخلوقات ، وإن تفرقت فى البر والبحر ، فيجمعها ويعيدها كما خلقها أول مرة

(١) أى روحه .

(٢) يعلق : بفتح أوله وتسكين ثانيه وضم ثالثه — معناه يأكل .

الفصل الثالث

« يُبْعَثُ كُلُّ عَبْد على ما ماتَ عليه »

عَنْ جَابِرٍ قالَ : سَمِعْتُ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلمَ يقولُ : « يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ »[١] .

(رواه مسلم ، جـ٨ ، ص ١٦٥ ، طبعة استانبول) .

وعن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ قالَ سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلّم يقولُ : « إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَاباً أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ[٢] » .

(رواه مسلم . جـ٨ . ص ١٦٥)

عن عبدِ اللهِ بن عَمْرو : قالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَخْبِرْنى عَنِ الْجِهَادِ وَالْغَزْوِ . فقالَ : « يَا عبدَ اللهِ بنَ عَمْرو ، إِنْ قُتِلْتَ صَابِرًا مُحْتَسِباً[٣] ، بَعَثَكَ اللهُ صَابِرًا مُحْتَسِباً . وَإِنْ قَاتَلْتَ مُرَائِياً

---

(١) أى على الحال التى مات عليها من خير أو شر .

(٢) معناه : أن الأمم تعذب ومعهم من ليس منهم . فيصابُ جميعهم بالعذاب فى الدنيا إذا اجترأوا على معاصى الله عز وجل ، ثم يبعثهم الله على أعمالهم من خير أو شر : فالطائع عند البعث يجازى بعمله ، والعاصى إن شاء الله عذبه بذنبه ، وإن شاء غفر له . فالاشتراك فى عقاب الدنيا لا يلزم منه الاشتراك فى عذاب الآخرة ، بل يجازى كل إنسان بعمله من خير أو شر .

(٣) أى طالبا لوجه الله وثوابه .

مُكاثِرًا[١] ، بَعَثَكَ اللهُ مُرَائِياً مُكَاثِرًا ! يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو ، عَلَى أَيِّ حَالٍ قَاتَلْتَ أَوْ قُتِلْتَ بَعَثَكَ اللهُ عَلَى تِيكَ الْحَالِ »[٢] .

(رواه أبو داود فى باب : مَنْ يَغْزُو ويلتمس الدنيا ، من كتاب الجهاد)

---

(١) قوله «مكاثرا» ، أى مفاخرا بكثرة من قتلته فى الحرب .

(٢) أى على الحال التى تكون عليها فى الدنيا .

الفصـــل الــرابـع

« أَرضُ المحشر »

عَنْ سُهَيْلِ بْنِ سَعْدٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم : «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاء عَفْرَاء(١) ، كَقُرْصَةِ النَقِيِّ(٢) ،لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَد» ، وَفِى رِوَايَةٍ : «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ(٣) لِأَحَدٍ»

(رواه الشيخان واللفظ لمسلم ، جـ٨ ، ص ١٢٧)

---

(١) أى بيضاء يضرب لونها إلى الحمرة .

(٢) الخبز الأبيض إذا خرج من النار .

(٣) «المعلم» : ما يجعل علماً . أى علامة للطريق والحدود . وقيل : المعلم . الأثر . ومعناه أنها لَمْ توطأ قبل فيكون فيها أثر أو علامة لأحد . «ومعنى الحديث» أن الله تعالى يجعل أرض المحشر يوم القيامة بيضاء يميل لونها إلى الحمرة ، فى لون الخبز الأبيض إذا خرج من النار ، وليس فى هذه الأرض يومئذ علامة تدل على أنها كانت معمورة بوجه من الوجوه . .

الفصل الخامس

« كيف يُحْشَرُ الناس يومَ القيامةِ »

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا »[١] . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعاً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَائِشَةُ ، الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ » .

(رواه البخارى ، جـ٨ ، ص ١١٠ ، ومسلم ، جـ٨ ، ص ١٥٦ ، واللفظ لمسلم) .

عَن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيباً بِمَوْعِظَةٍ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ . أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ[٢] عَلَيْهِ

---

(١) «حفاة» جمع حاف . وهو من ليس فى رجليه نعل . «عراة» جمع عار ، وهو من ليس على جسمه شئ يستره . «غرلا» جمع أغرل ، وهو من لم يختتن . والمراد : أنهم يحشرون كما خلقوا لاشىء معهم ، ولا ينقص منهم شئ ، بل يضاف إليهم ما نقص منهم : قال الآبى : الأظهر أن الأنبياء لا يحشرون كذلك لمقامهم الكريم ، بل تسترهم أكفانهم .

(٢) المراد من الكساء هنا كساء الكرامة والتنويه بالفضل . قال أبو العباس القرطبى : يجوز أن يراد بالخلائق ماعدا نبينا صلى الله عليه وسلم . فلم يدخل فى العموم المذكور . والحكمة فى اختصاص إبراهيم عليه السلام بهذه الكرامة : أنه جرد عن ملابسه حين أرادوا=

السَّلَامُ ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِى ، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ أَصْحَابِى ، فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ(١) : وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ . إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » ، قَالَ : « فَيُقَالُ لِى : إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ »(٢) .

(رواه البخارى . ج ٦ . ص ١٨٠ . ومسلم ، ج ٨ ؛ ص ١٥٧ ، واللفظ لمسلم) .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ(٣) : رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ(٤) . واثْنَانِ عَلَى

= إلقاءه فى النار ، وقيل : لأنه أول من استن التستر بالسراويل ، وقيل : لأنه لم يكن فى الأرض أخوف لله منه .

(١) المراد به عيسى بن مريم عليه السلام .

(٢) قيل : هم الذين ارتدوا على عهد أبى بكر من المنافقين وضعاف الإيمان . فقاتلهم أبو بكر حتى قتلوا وماتوا على الكفر . وقال البيضاوى : ليس قوله « مرتدين » نصاً فى كونهم ارتدوا عن الإسلام : بل يحتمل ذلك ، ويحتمل أن يراد بهم العصاة المرتدون عن الاستقامة : الذين يستبدلون الأعمال السيئة بالصالحة .

(٣) أى فرق مختلفة ، جمع طريقة .

(٤) أى جامعين بين الخوف من عذاب الله ، والطمع فيما عنده من النعيم . وهؤلاء هم أصحاب اليمين الذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، وهم أكثر المؤمنين .

بَعِيرٍ . وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ ، وأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ[١] ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمْ النَّارُ . تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا . وتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا . وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا »[٢] .

(رواه البخارى . ج٨ ، ص ١٠٩ . ومسلم ، ج٨ ، ص١٥٧ ، واللفظ لمسلم) .

(١) وهؤلاء هم السابقون الكاملون فى الإيمان .

(٢) وهم الكافرون أصحاب الشمال ، وهؤلاء تلزمهم النار صباح مساء لا تفارقهم .

« كَيْفَ يُحْشَرُ المتكبرون والكافرون »

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ[1] ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ ، يُقَالُ لَهُ (بُولَس)[2] ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ[3] ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةِ الْخَبَالِ »[4] .

(رواه النسائي ، والترمذي وقال : حديث حسن) .

---

(١) يعلوهم ويحيط بهم الصغار من كل مكان .

(٢) «بولس» ضبطه المنذرى وصاحب القاموس بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح اللام

(٣) هى ما يسيل من أبدان أهل النار من القيح والصديد . فعن أبي هريرة مرفوعاً : « يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة . رجالاً فى صورة الذر . تطؤهم الناس من هوانهم على الله . حتى يقضى بين الناس » . قال : « ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار » . قيل : يا رسول الله . وما نار الأنيار ؟ قال : « عصارة أهل النار » . (رواه أحمد فى الزهد . وفى النهاية : « نار الأنيار » . لم أجده مشروحا . ولكن هكذا يروى . فإن صحت الرواية فيحتمل أن يكون معناه « نار النيران » . فجمع النار على أنيار وأصلها أنوار . اهـ . قال القاضى : وإضافة النار إليها للمبالغة . كأن هذه النار لفرط إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها .

(٤) قوله : « طينة الخبال » بالجر . بدل أو عطف بيان . قال فى النهاية : جاء تفسيره فى الحديث أن « طينة الخبال » عصارة أهل النار . والخبال فى الأصل الفساد . ويكون فى الأفعال والأبدان والعقول اهـ . و « عصارة أهل النار » بضم العين المهملة . ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم .

الباب الثانى

« فى شدة هوْلِ المَوْقفِ »

وفيه ستة فصول

الفصل الأول

فى قولِهِ تعالى: «أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»[1] .

عنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» قَالَ : «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ[2] إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ » .

(رواه مسلم ج٨ ص ١٥٧ ، واللفظ له ، ورواه البخارى) .

عَنْ عبد العزيزِ العطّارِ ، عَنْ أَنَسٍ رضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا[3] رَفَعَهُ ـ قَالَ : « لَمْ يَلْقَ ابنُ آدمَ شيئًا مُنْذُ خَلَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَشدَّ

---

(١) هذه الآيات من سورة المطففين ، ورقمها ٤ ، ٥ ، ٦ . والإشارة فى قوله : «أولئك» للذين يبخسون الناس حقوقهم فى الكيل والوزن ، وهم المطففون .

(٢) أى عرقه .

(٣) قوله : «لا أعلمه إلا رفعه» ، أى نسبه إلى النبى صلى الله عليه وسلم على أنه من قوله . وهذه العبارة من مقول عبد العزيز العطار الراوى عن أنس رضى الله عنه ، والمقصود منها التحرى فى باب الرواية ، وأنه يغلب على ظنه أنَّ أنساً نَسَبَ هذا الحديث إليه صلى الله عليه وسلم .

عليه منَ الموتِ ، ثُمّ إنَّ الموتَ أَهْوَنُ[١] مِمَّا بَعْدَهُ ، وإنَّهُمْ لَيَلْقَونَ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ اليوم شِدَّةً حَتى يُلْجِمَهُمُ العَرَقُ ، حتَّى إنَّ السُّفُنَ لَوْ أُجْرِيَتْ فِيهِ لَجَرَتْ » .

(رواه أحمد مرفوعا باختصار ، والطَّبَرَانِىُّ فى الأَوْسَطِ ، واللفظُ لَهُ ، وإسنادُهُمَا جَيِّدٌ كما قاله الْمُنْذِرِىُّ : ترغيب ج٥ ، ص ٣٥)

عنِ ابنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلَّمَ : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْىُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ : (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) وَ (إِذَا السماءُ انْفَطَرَتْ) وَ (إِذَا السماءُ انْشَقَّتْ)[٢] » .

(رواه أحمد ، والترمذى ، وحَسَّنَهُ ، والحاكمُ وصحَّحَهُ) .

---

(١) أى أخف وأيسر .

(٢) معنى الحديثُ : من سرَّه أن ينظر إلى تفاصيل ما يقع يوم القيامة من الأهوال والأفزاع ، ويرى ما يكون عليه السعداء والأشقياء ، فليقرأ من القرآن الكريم هذه السور الثلاث :

الأولى : سورة «إذا الشمس كورت» أى لفت وألقيت فى النار .

الثانية : سورة «إذا السماء انفطرت» أى انشقت .

الثالثة : سورة «إذا السماء انشقت» أى تصدعت وتشققت .

الفصل الثانى

« تَدْنُو الشمسُ مِنَ الْخَلْقِ فيكونُ الناسُ علَى قَدْرِ أعمالِهِم فِى الْعَرَقِ »

(مسلم ، جـ ٨ ، ص ١٥٨) .

عَنْ عُقْبَةَ بنِ عامرٍ رضىَ اللهُ عنهُ . قالَ : سمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ : «تَدْنُو الشمسُ مِنَ الأَرضِ فيعْرَقُ الناسُ . فمِنَ الناسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ عَقِبَيْهِ ، ومِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقِ . ومِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، ومِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إلى الْعَجُزِ(١) ، ومِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْخَاصِرَةَ(٢) وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ مَنْكِبَيْهِ(٣) وَمِنْهُمْ مَنْ يبلُغ عُنُقَهُ ، ومنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَطَ فِيهِ»(٤) — وأشارَ بيدِهِ أَلْجَمَهَا فَاهُ : رأيتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يُشِيرُ هكذا — «ومِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ » ، وضَرَبَ بِيَدِهِ وأَشَارَ ، وأَمَرَّ يَدَهُ فوْقَ رأْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصِيبَ الرأْسَ دورُ راحَتَيْهِ يَمِينًا وشِمَالًا .

(رواه أحمد والطبرانى ، وإسنادُ الطبرانى جَيِّدٌ ، كما قال الهَيْثَمِىٌّ . ورواه أيضًا ابن حبان فى صحيحه ، والحاكمُ ، وقال : صحيح الإسناد : الترغيب جـ٥ ، ص ٣٥٠ ، ومجمع الزوائد ، ص٣٣٥) .

---

(١) العَجُز — بوزن رَجُل — موْخر الشئ ، والمراد به هنا الإليتان .

(٢) الخاصرة ، من الإنسان ، جنبه ، فوق رأس الورك ، جمعه خواصر .

(٣) تثنية منكب ، وهو مجتمع رأس الكتف والعضد ، جمعه مناكب .

(٤) أى فمه .

الفصـل الثـالث

في قولِهِ : « إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ »(١) .

عن أَبِي سعيدٍ قالَ : قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وسلم : « يقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يا آدَمُ ، فيقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، والخَيْرُ فِي يَدَيْكَ »(٢) .

---

(١) من الآية الأُولى من سورة الحج ، والآيتان الأُولى والثانية من سورة الحج هما : « يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ » .

« الزلزلة » تحريكُ الأَرض على وجه العُنْفِ والشدة ، ويكون ذلك عند قيام الساعة . « تذهل » تغفل ، قال بعض العلماء ؛ من ماتت حاملًا تبعث حاملًا ، فتضع حملها لشدة الهول ! ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك ، فتترك رضيعها وقد ألقمته ثديها من شدة الفزع ! وقال بعضهم : إن هذا على الفرض والتقدير لا على الحقيقة ؛ والمراد أنه لو كان ثمَّ حمل ورضاع لوضعت الحامل حملها لغير تمام ، وذهلت المرضعة عن رضيعها لشدة ما ترى من الأَهوال والأَفزاع ! ! فهو كما قال الله عز وجل : « فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً » ، وقوله تعالى : « وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى » ، أى من الخوف وشدة الكرب ، « ومَا هُمْ بِسُكَارَى » : أى من الخمر ، « ولَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ » . فالخوف من عذاب الله هو الذى ذهب بعقولهم وتمييزهم . وفائدة ذكر هذه الأَهوال الاستعداد ليوم القيامة بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل .

(٢) قوله : « لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ » على لفظ التثنية فيهما ، كلمتان يراد بهما : إجابة النداء على وجه التضرع والتذلل . وقوله : « والخيرُ فى يَدَيْكَ » ، جملة يقصد بها الثناء على الله عز وجل .

قالَ : يقولُ : «أخرِج بَعْثَ النَّارِ[1] » . قَالَ : وَمَا بَعْثُ النار ؟ قالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَة وتِسْعَةً وَتِسْعِينَ . قَالَ : فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ : (وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى . ولٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ) » ، قَالَ : فاشْتَدَّ ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ ، قَالُوا : يا رَسُولَ اللهِ . أَيُّنَا ذٰلِكَ الرجلُ ؟ فَقَالَ : «أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ وَمِنْكُمْ رَجُلٌ »[2] قالَ : ثُمَّ قَالَ : «والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنِّى لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا . ثُمَّ قَالَ : «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إِنِّى لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ » ، فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا ، ثُمَّ قَالَ : «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إِنِّى لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ[3] ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِى الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ

---

(١) المراد : مَيِّزْ أهل النار من غيرهم . والبعث : معناه المبعوث الموجه به إليها .

(٢) قوله : «فإنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ ومِنْكُمْ رَجُلٌ» قال النووى : هكذا هو فى الأصول والروايات (ألف) و(رجل) بالرفع فيهما . وهو الصحيح . وتقديره أنه بالهاء التى هى ضمير الشأن . وحذفت الهاء ، وهو جائز معروف . قال : وأما «يأجوج» و«مأجوج» ، فهما غير مهموزين عند جمهور القراء وأهل اللغة ، وقرأ عاصم بالهمز فيهما ، وأصله من أجيج النار . وهو صوتها وشررها ، شبهوا به لكثرتهم وشدتهم واضطرابهم بعضهم فى بعض . قال وهب بن منبه ، ومقاتل بن سليمان : هم من ولد يافث بن نوح . وقال الضحاك : هم جيل من الترك . وقال كعب : هم من ولد آدم من غير حواء . والله أعلم . اهـ . ببعض تصرف .

(٣) هذه بشارات على التدريج ، أطمعهم فى أن يكونوا ربع أهل الجنة ، ثم فى أن يكونوا ثلثهم ، ثم فى أن يكونوا (شطر أهل الجنة) . أى نصفهم كما جاء التعبير به

البَيْضَاء فِى جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فى ذِرَاعِ الحِمَارِ »[1]

(رواه مسلم جا ، ص ١٣٩ ، طبع الآستانة ، واللفظ له ، ورواه البخارى) .

=فى بعض الروايات ، ففرحوا فى كل مرة ، وحمدوا الله وكبروه لمزيد إنعام الله عليهم بعد اليأس .

(١) «الرَّقْمَة» بفتح الراء وإسكان القاف ، هى الهنة الناتئة فى ذراع الدابة من داخل ، وهما رقمتان فى ذراعيها — أفاده فى النهاية .

الفصل الرابع

«فى ثلاثةِ مواطنَ لا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا»

عن عائشةَ رضى اللهُ عنها أَنَّهَا ذَكَرَتِ النارَ فَبَكَتْ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : «ما يُبْكِيكِ» ؟ قالتْ : ذكَرْتُ النارَ فبكيتُ ، فهلْ تَذْكُرونَ أَهْلِيكُمْ يومَ القيامَةِ ؟ فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : «أَمَّا فى ثلاثةِ مواطنَ[1] ، فلا يَذْكُرُ أَحدٌ أَحَدًا[2] : عِند الميزانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ[3] ؟ وعند الكتابِ[4] حِينَ يقولُ : [هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ[5]] حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ ، أَفِى يمينِهِ أَمْ فِى شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظهرِهِ[6] ؟

---

(١) أى أماكن من يوم القيامة ، جمع موطن .

(٢) أى لعظم هولها وشدة كربها .

(٣) قال تعالى فى سورة المؤمنون : «فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فى جَهَنَّمَ خَالِدُونَ» .

(٤) أى نشر صحف الأعمال .

(٥) قوله تعالى : «هَاؤُمُ» اسم فعل بمعنى خذوا كتابى فاقرأوه ، يقول ذلك لما يرى فيه من الحسنات .

(٦) قال ابن رسلان : ظاهر الحديث أن منْ يُؤتَى كتابه بشماله قسمان : قسم يؤتاه بشماله لا من وراء ظهره ، وقسم بشماله من وراء ظهره . وقال غيره : يعطى المؤمن العاصى كتابه بشماله ، والكافر من وراء ظهره . وفى معنى الحديث هنا قوله تعالى فى سورة الانشقاق =

وعِنْدَ الصِّرَاطِ [١] إذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَىْ جهنَّمَ » [٢] .

(رواه أبو داود ، وسكت عنه هو والمنذرى ـ مختصر السنن ، جـ٧ ، ص ١٤٦)

= « فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِساباً يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا » .

(١) هو الجسر الممدود على ظهر جهنم ليمر الناس عليه .

(٢) أى إذا وضع على ظهر جهنم ، أى وسطها .

الفصل الخامس

« طولُ يوم ِ القيامَةِ وَخِفّتُهُ علَى المؤمِنِينَ »

عن أَبِي هريرةَ رضِيَ اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : «مَا مِنْ صاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّها ، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نارٍ ، فأُحْمِيَ عَلَيْهَا فى نار جهنمَ ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وظَهْرُه ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ ، فِى يوم كانَ مقدارُه خمسينَ أَلفَ سَنَةٍ(١) ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العبادِ ، فيَرَى سَبِيلَهُ : إِمَّا إِلَى الجنةِ ، وإمَّا إلى النارِ » .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم : رياض الصالحين ، ص ٤٥٦ وما بعدها) .

عن أَبِي سعيد قالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : «فى يَوْمٍ كانَ مقدارُه خمسينَ أَلفَ سنة » ، ما أَطْوَلَ هَذَا اليَوْمَ ؟ فقالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والذى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ على المؤمِن

---

(١) أى بالنسبة إلى الكافر ، لما يلقى فيه من الشدائد . وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا . ومن ذلك يعلم أنه ليس المراد من العدد فى الحديث وفى قوله تعالى : « فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » حقيقته ، وكذا فى قوله تعالى : « وإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ » ، إذ لا يعقل أن الزمان الواحد يكون مقداره خمسين ألف سنة ، ويكون مقداره ألف سنة ، ويكون مقداره قدر صلاة مكتوبة ، بل الزمان واحد ، يطول ويقصر فى نظر الناس بحسب ما يقع لهم فيه . وقيل فى الجمع بين هذه النصوص : إن فى القيامة خمسين موطناً ، كل موطن لو تولاه غير أسرع الحاسبين=

حتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عليهِ منْ صلاة مكتوبة يُصَلِّيهَا فى الدُّنْيَا »[١] .

(رواه أحمد ، وأبو يعلى ، وابن حبان فى صحيحه ، كلُّهم من طريق دَرَّاج عن أَبِي الهيثم ، وهما ضعيفان ، وقال الهيثميُّ : إسنادُه حسنٌ : مجمع الزوائد ، ج١٠ ، ص ٣٣٧ ، والترغيب ج٥ ، ص ٣٥٢ ، وتفسير ابن كثير فى سورة المعارج .

= سبحانه وتعالى لاحتاج إلى ألف عام من أعوام الدنيا . وقيل : إن العدد على حقيقته ، ويخففه الله على المؤمن .

(١) قيل : المراد يكون أخف عليه من وقت صلاة مفروضة يمر عليه ، وقيل : من فعل صلاة مفروضة ، والله أعلم .

الفصل السادس

« الشفاعةُ العُظْمَى انبيِّنا صلى الله عليه وسلم لإِرَاحَةِ الناسِ مِنْ هَوْل المَوْقِفِ » ، وقولُهُ تعالى : « عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ ربُّكَ مَقَاماً مَحْمُودًا »(١) .

عَنْ آدَمَ بن عليٍّ قالَ : سمعتُ ابنَ عُمَرَ رضى اللهُ عنهما يقولُ : « إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القيَامَةِ جُثاً(٢) كلُّ أُمَّة تَتْبَعُ نَبِيَّهَا ، يقولُونَ : يا فلانُ اشْفَعْ ، يا فلانُ اشْفَعْ ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشفاعةُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم(٣) ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقامَ المَحْمُودَ » .

(رواه البخارى ، جـ٦ ، ص ٨٦) .

عنْ أَبِى هريرةَ رضى الله عنه قالَ : أُتِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِلَحْمٍ ، فَرُفِعَ إِليْهِ الذِّرَاعُ وكَانَتْ تُعْجِبُهُ ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً(٤) . ، ثُمَّ قالَ : «أَنا سَيِّدُ الناسِ يوْمَ القيامَةِ ! وهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذلِكَ ؟ يَجْمَعُ

---

(١) من الآية ٧٩ من سورة الإسراء ، وهى بتمامها : «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ، عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُودًا ، » . أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقيام بعض الليل زيادة على إقامة الصلوات الخمس ، ووعده على ذلك أن يبعثه مقاماً محمودًا ، وهو عند الجمهور مقام الشفاعة العظمى لإراحة الناس من هول الموقف .

(٢) جُثاً كخُطاً جمع جُثْوَة كخُطْوَة . أى جماعات .

(٣) أى فيشفع بعد أن يأذن الله له ليقضى الله بين الخلق .

(٤) الرواية بالسين المهملة ، وبالشين المعجمة . النَّهْس : أخذ اللحم بأطراف الأسنان ، والنَّهْش : الأخذ بجميعها .

اللهُ الناسَ الأَوَّلين والآخِرِينَ فِى صَعِيدٍ واحد ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِى[١] ، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ ، وَتَدْنُو الشمسُ ، فيبلغ الناس مِنَ الغمِّ والكربِ مَالَا يُطِيقُونَ وَلَا يَتَحَمَّلُونَ ! فيقولُ الناسُ : أَلَا تَرَوْنَ مَا قدْ بَلَغَكُمْ ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فيقولُ بعضُ الناسِ لِبَعْضٍ : عَلَيْكُمْ بِآدَمَ ، فيأْتُونَ آدَمَ عليه السلامُ ، فيقولونَ لهُ : أَنْتَ أَبُو البَشَرِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فيكَ مِنْ رُوحِهِ[٢] ، وأَمَرَ الملائكةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، اشفعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ! وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ! وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِى عَنِ الشجرَةِ فَعَصَيْتُهُ ! نَفْسِى ، نَفْسِى ، نَفْسِى[٣] ! اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى نوح . فيأْتُونَ نوحاً ، فيقولونَ : يانُوحُ ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ[٤] ، وقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عبدًا شَكُورًا ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليومَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَه مِثْلَهُ ! وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ !

---

(١) يسمعون من يدعوهم . ومن نظر إليهم رآهم جميعاً ، لاستواء المكان الذى يقفون فيه .

(٢) أى وهب لك الحياة .

(٣) أى لا أسأله إلَّا نَجَاةَ نَفْسِى ، لأنى قد عصيته بالأكل من الشجرة التى نهانى عنها

(٤) أى من أولى العزم ، وإلا فإدريس — وهو جد لنوح — نبى مرسل . وكذلك آدم عليه السلام . قال الله تعالى : «وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا ، وَرَفَعْنَاهُ مكَاناً عَلِيًّا» . وفى حديث الترمذى : (مَا مِنْ بَنِى آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لوائِى) .

وإنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي[١] ! نَفْسِي ، نَفْسِي ، نَفْسِي ! اذهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى إبراهِيمَ . فيأْتُونَ إبراهِيمَ فيقولونَ : يا إبراهيمُ ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وخَلِيلُه مِنْ أَهلِ الأَرضِ ، اشْفَعْ لنا إلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى ما نَحْنُ فيهِ ؟ فيقولُ لهم : إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليومَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَه ! ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ! إِنِّي قَدْ كنتُ كَذَبْتُ ثلاثَ كَذَبَاتٍ[٢] — فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الحديثِ — نَفْسِي ، نَفْسِي ، نَفْسِي ، ! اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى . فيأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ : يا موسى ، أَنْتَ رسولُ اللهِ ، فَضَّلَكَ اللهُ برِسالَتِهِ وبِكَلَامِهِ عَلَى الناسِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى ما نَحْنُ فيهِ ؟ فيقولُ : إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ! وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ! وإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا ! نَفْسِي ، نَفْسِي ، نَفْسِي ! اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ . فيأْتُونَ عِيسَى ، فيقولونَ : يا عِيسَى ، أَنْتَ رسولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ ، وكَلَّمْتَ الناسَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى ما نَحْنُ فيهِ ؟ فيقولُ عِيسَى : إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ! ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ! — وَلَمْ يَذْكُرْ

---

(١) هي قوله : «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارا» .

(٢) هي قوله لقومه : «إِنِّي سَقِيمٌ» ، وقوله فى زوجته سارة : «هِيَ أُخْتِي» ، وقوله بعد ما حطم الأصنام وسألوه : من فعل ذلك ؟ قال : «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ» . وهذه معاريض وليست بكذب حقيقى . وقد قصد بها كلها وجه الله عز وجل ، كما بين العلماء ذلك فى مواضعه .

ذَنْبًا ـ نَفْسِي ، نَفْسِي ، نَفْسِي ! اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى محمد صلى اللهُ عليه وسلَّمَ . فيأْتُونَ محمدًا صلى الله عليه وسلَّمَ ، فيقولونَ : يا محمدُ ، أنت رسولُ الله وخَاتَمُ الأَنْبِيَاء ، وقدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذنبِكَ وما تأَخَّرَ[1] ، اشفعْ لنا إلى ربِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى ما نحنُ فيهِ ؟ فَأَنْطَلِقُ ، فآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فأَقَعُ ساجدًا لربي عزَّ وجلَّ ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ محامِدِهِ وحُسْنِ الثناء عليه شيئاً لَمْ يَفْتَحْهُ علَى أحد قَبْلِي . ثم يقولُ : يا محمدُ ، ارفعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ[2] ، فأَرْفَعُ رَأْسِي ، فأَقُولُ : أُمَّتِي يا ربِّ ، أُمَّتِي يا ربِّ ، أُمَّتِي يا ربِّ ، فيُقَالُ : يا محمدُ ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عليْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أبوابِ الجنةِ[3] ، وهُمْ شُرَكَاءُ الناسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ ـ ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجنة كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وحِمْيَرَ ـ أَوْ : كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وبُصْرَى »[4] .

(رواه البخاري ، جـ ٦ ، ص ٨٤ ، ٨٥ ، واللفظ له ، ورواه مسلم) .

---

(١) يعني أنه غير مؤاخذ بذنب ولو وقع . ويستفاد من الحديث التفرقة بين من وقع منه ذنب ، فغفر الله له ، وبين من لم يقع منه شيء أصلًا . وذلك لأن موسى ، مع وقوع المغفرة له ، لم يرتفع إشفاقه من المؤاخذة بذلك ، بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم . ومن ثمّ احتج عيسى عليه السلام بأن محمدًا صاحب الشفاعة ، لأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، بمعنى أن الذنب إن وقع منه غفر الله له ، ولم يؤاخذه به .

(٢) أي تقبل شفاعتك .

(٣) وهم سبعون ألفاً ، وهم أول من يدخلها .

(٤) «المِصْرَاع» بوزن «المِقْلَاع» جانب الباب . «حِمْيَر» بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الياء التحتية بعدها راء ، المراد بها مدينة «صنعاء» في اليمن ، أطلق عليها ذلك =

=لأنها كانت موطن قبيلة حمير من قبائل اليمن . «بُصْرى» بضم الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة ، مدينة بالشام ، بينها . وبين دمشق ثلاث مراحل . وكلمة (أو) للشك من الراوى .

(فائدة) — قال القاضى عياض يحتمل أن الأنبياء عليهم السلام علموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو صاحب الشفاعة العظمى ، وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر ، حتى وصلت إليه صلى الله عليه وسلم ، من باب إظهار شرفه صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام العظيم .

الباب الثالث

«في العرض والحساب والقصاص»

وفيه أحد عشر فصلا

الفصل الأول

في : «مَا مِنْ أَحَدٍ إلَّا سيكلِّمُه ربُّه ليس بينه وبينه تَرْجُمَان»

عَنْ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ قالَ : قالَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلَّمَ : «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُه رَبُّهُ لَيسَ بينهُ وبينهُ تَرْجُمَان[1] ، ولَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ[2] ، فينظُرُ أَيْمَنَ منهُ ، فَلَا يَرَى إلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عملِهِ[3] ، وينظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ ، فَلَا يَرَى إلَّا مَا قَدَّمَ[4] ، وينظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَا يَرَى إلَّا النارَ تِلْقَاءَ وجهِهِ ! فاتَّقُوا النارَ ولَوْ بِشِقٍّ تَمْرَةٍ»[5].

(أخرجه الشيخان).

---

(١) الترجمان (بفتح أوله وسكون ثانيه وضم ثالثه) هو الذى يفسر الكلام بلغة عن لغة أخرى .

(٢) معنى الكلام أن كل مؤمن سيكلمه الله يوم القيامة شفاها ، ويرى ربه لا يمنعه عن رؤيته شيء .

(٣) أى فينظر العبد حينئذ فى الجهة التى عن يمينه ، فلا يرى إلا عمله مصورًا .

(٤) وينظر إلى جهة شماله ، فلا يرى إلا عمله مصورًا .

(٥) أى إذا عرفتم ذلك فباعدوا أنفسكم عن النار بالصدقة ، ولو بشيء يسير منها ، كنصف تمرة ، فإن الصدقة حصنٌ من عذاب الله سبحانه .

الفصـــل الثـــانى

« لا تزولُ قَدَمَا عبدٍ حتَّى يُسْأَلَ عمَّا أَعْطَاهُ ربُّهُ وخَوَّلَهُ

عَنْ أَبِى بَرْزَةَ رضى اللهُ عنهُ قالَ : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :
«لا تَزُولُ قَدَمَا عبْدٍ يومَ القيامَةِ حَتَّى يُسْأَل عنْ أربعٍ : عنْ عُمْرِهِ فِيما أَفْنَاهُ؟ وعنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بهِ ؟ وعنْ مالِهِ مِنْ أَيْنَ اكتسبَهُ وفِيما أنفقَهُ ؟ وعنْ جسْمِهِ فِيما أَبْلَاهُ ؟ » .

(رواه الترمذى ج٩ ، ص٢٥٣ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح)

الفصل الثالث

في قوله تعالى : «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» .

عنْ أَنَسٍ رضى الله عنهُ قالَ : كُنَّا عند رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فَضَحِكَ ، فقالَ : «هل تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ ؟» قالَ : قلنا : اللهُ ورسولُه أَعْلَمُ ، قالَ : «من مُخاطبةِ العبدِ رَبَّهُ ، يقولُ : ياربٍّ ، أَلَمْ تُجِرْنِى مِنَ الظُّلْمِ ؟ قالَ ، يقولُ : بَلَى ، قالَ فيقولُ : فَإِنِّى لَا أُجِيزُ[1] علَى نفسِى إِلَّا شاهِدًا مِنِّى . قالَ ، فيقولُ : كَفَى بنَفْسِكَ اليومَ عليكَ شَهِيدًا ، وبِالْكِرَامِ الكاتِبِينَ شُهُودًا[2] . قالَ : فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فيقالُ لِأَرْكَانِهِ[3] : انْطِقِى ، قالَ : فَتَنْطِقُ بأَعمالِهِ ، ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكلامِ . قالَ ، فيقولُ : بُعْدًا لَكُنَّ وسُحْقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»[4] .

(رواه مسلم) .

عن أَبِى هريرةَ رضى اللهُ عنهُ قالَ : قالوا : يا رسولَ اللهِ ، هلْ نَرَى

---

(١) أى لا أقبل .

(٢) هم الملائكة الذين يكتبون أعمال العبد فى الصحف : «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» .

(٣) أى جوارحه وأعضاؤه .

(٤) أى أبعدكن الله وأهلككن ، فإنى ما قلت لربى مقالتى هذه إلا لأجادل عنكن وأدفع عنكن العذاب ، فأَبَيْتُنَّ إِلَّا الوقوع فيه .

رَبَّنَا يومَ القِيامَةِ ؟ قالَ : «هلْ تُضَارُّونَ[1] فِى رؤيةِ الشمسِ فِى الظَّهيرةِ لَيْسَتْ فِى سَحَابَةٍ ؟ » قالوا : لَا ، قالَ : «فهَلْ تُضَارُّونَ فى رؤيَةِ القمر ليلةَ البَدْرِ ليسَ فِى سحابةٍ ؟ » قالوا : لا ، قالَ : «فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لا تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فى رؤيةِ أَحَدِهِمَا[2] . قالَ : «فَيَلْقَى العَبْدَ فيقولُ : أَىْ فُلْ[3] ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وأُسَوِّدْكَ[4] ، وأُزَوِّجْكَ ، وأُسَخِّرْ لكَ الخيلَ والإِبِلَ ، وَأَذَرْكَ تَرْأَس وتَرْبَعُ[5] ؟ فيقولُ : بَلَى — قالَ ، فيقولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِىَّ ؟ فيقولُ : لَا ، فيقولُ : فإِنِّى قَدْ أَنْسَاكَ كما نَسِيتَنِى[6] . ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِى ، فَذَكَرَ مِثْلَه ، ثُمَّ يَلْقَى الثالثَ فيقولُ لهُ مِثْلَ ذلكَ ، فيقولُ : يا ربِّ آمَنْتُ بِكَ وبِكِتَابِكَ وبِرُسُلِكَ ، وَصَلَّيْتُ وصُمْتُ وتَصَدَّقْتُ ، ويُثْنِى بخَير ما اسْتَطاعَ . فيقولُ : ههُنا إِذًا[7] ، ثُمَّ يُقالُ : الآنَ نَبْعَثُ شاهِدًا عَليكَ ، ويتَفكَّرُ فى نفسِهِ : مَنْ ذا الَّذِى يَشْهَدُ علىَّ ؟

---

(١) هل يلحقكم ضرر إذا أردتم رؤية الشمس كذلك وأنتم مجتمعون ؟

(٢) المعنى : أنكم سترون ربكم جميعاً دون أن يلحقكم ضرر .

(٣) معناه : يا فلان .

(٤) أى أجعلك سيدًا مطاعاً .

(٥) «ترأس» تكون رئيساً . «تربع» تأخذ ربع الغنيمة . يريد : ألم أجعلك رئيساً مطاعاً ... لأن الرئيس كان يأخذ الربع من الغنيمة فى الجاهلية دون أصحابه .

(٦) أى أتركك اليوم كالشىء المنسى ، كما تركت شريعتى فى الدنيا .

(٧) أى إذا أثنيت على نفسك بما ذكرت ، فاثبت هنا كى نريك ما يقول الشهود فى عملك .

فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ[١] ، ويقالُ لِفَخِذِهِ : انْطِقِى ، فتَنْطِق فخِذُهُ ولحْمُهُ وعِظامُهُ بعملِه ! وذلِك لِيُعْذِر مِنْ نفْسِهِ[٢] ! وذلِك المنافق ، وذلكَ الذى سخِط اللهُ عليْهِ[٣] .

(رواه مسلم) .

---

(١) أى يحبس فمه عن الكلام فلا ينطق .

(٢) أى ليزيل عذره الذى جادل به عن نفسه ، وذلك بشهادة أعضائه عليه .

(٣) أى غضب عليه .

الفصـــل الـــرابـع

«شهادةُ الأنبياءِ على أُمَمِهِمْ بالتبليغِ»

عنْ أَبِي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «يُدْعَى نوحٌ يومَ القيامةِ ، فيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ياربٌّ ، فيقولُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فيقولُ : نعمْ ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ : هلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فيقولونَ : ما أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ ، فيقولُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فيقولُ : محمدٌ وأُمَّتُهُ . فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ ، ويكونُ الرسولُ عليكمْ شَهِيدًا ، فَذَلِكَ قوله جَلَّ ذِكْرُهُ : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهيدًا) ، والْوَسَطُ الْعَدْلُ .

(رواه البخارى فى التفسير ، جـ ٦ ، ص ٢١) .

الفصـــل الخامـــس

فى قولِهِ تعالَى : «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا» .

عنْ عائِشَةَ رضىَ اللهُ عنها قالتْ : جاءَ رجُلٌ فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَىْ رسولِ اللهِ صلى الله عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ : إن لى مَمْلُوكِينَ يَكْذِبُونَنِى ويَخُونُونَنِى ويَعْصُونَنِى ، فَأَشْتِمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ ، فكيفَ أَنَا مِنْهُمْ ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «إِذَا كانَ يومُ القيامةِ يُحْسَبُ ما خَانُوكَ وَكَذَبُوكَ وَعَصَوْكَ وعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ ، فإِنْ كانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كانَ كَفَافاً لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ ، وإِنْ كانَ عقابُكَ إِيَّاهُمْ دونَ ذَنْبِهِمْ[1] كانَ فَضْلًا لَكَ ، وإِنْ كانَ عقابُكَ إِيَّاهُمْ فوْقَ ذُنُوبِهِمْ[2] اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الفَضْلُ»[3] . فَتَنَحَّى[4] الرجلُ يبْكِى ! فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ : «أَمَا تَقْرَأُ قولَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ[5] لِيَوْمِ[6] الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ

---

(١) أى أقل منه .

(٢) أى أكثر منها .

(٣) أُخِذَ لهم منك الزيادة .

(٤) أى بَعُد عن المجلس .

(٥) أى ذوات القسط. وهو العدل .

(٦) أى يوم القيامة .

كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا[١] ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) فقالَ الرجلُ : يا رسولَ اللهِ ، مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلَاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ ، أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ أَحْرَارٌ .

(رواه أحمد ، والترمذى . قال المنذرى : وإسنادهما متصل ، ورواتهما ثقات) .

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضى اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ ، قالَ : « مَنْ كانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ[٢] لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ[٣] مِنْهُ اليومَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دينارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كانَ لَهُ عملٌ صالحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » .

(رواه البخارى) .

عن أَبِي هريرةَ رضى اللهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ قَالَ : « أَتَدرونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ » قالوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَادِرْهَمَ له وَلَا مَتَاعَ ، فقالَ : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يومَ القيامةِ بصلاة ، وصيام ، وزكاة ، ويَأْتِي وقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مالَ هذا ، وسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حسناتِهِ ، وهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ،

---

(١) أى وإن كان العمل مقدار حبة من خردل فى الصغر أحضرناه .

(٢) بفتح اللام وكسرها ، وهو اسم لما أخذه المرء بغير حق .

(٣) فليسأله أن يجعله فى حل من هذا الظلم قبل أن يأتى يوم لا دينار فيه ولا درهم ، وهو يوم القيامة .

فإنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى ما عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّار » .

(رواه مسلم) .

عنْ أَبى سعيدٍ الْخُدْرِىِّ رضى اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَخْلُصُ المؤمنونَ مِنَ النارِ(١) فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجنةِ والنارِ ، فَيُقَصُّ لبعضِهِمْ مِنْ بعضٍ مَظَالِمُ كانَتْ بَيْنَهُمْ ، فى الدنيا ، حتَّى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا(٢) أُذِنَ لَهُمْ فى دخولِ الجنةِ(٣) فَوَالَّذِى نَفْسُ محمد بيدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فى الجنةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كانَ فى الدُّنْيَا » .

(رواه البخارى ، جـ ٨ ، ص ١١١) .

---

(١) ينجون من السقوط فيها عند مرورهم على الصراط .

(٢) المراد : تخلصوا من التبعات التى كانت عليهم . وقوله « نقوا » بضم النون وتشديد القاف ، هو تفسير لقوله : « هذبوا » ، فالعطف لذلك . .

(٣) أى وقد طهر الله قلوبهم ونزع ما فيها من غل ، فلم يبق إلا التوادُّ والتحابُّ .

(فائدة) ــ هؤلاء المؤمنون الذين يفعل الله بهم ذلك ، هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفد حسناتهم . قال فى الفتح : وهناك صنفان غير هؤلاء من المؤمنين : « أحدهما » الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، و « ثانيهما » من أَوْبَقَهُ عملُه فى النار مِنَ الموحدين . قال : وأما الناجون ، فقد يكون عليهم تبعات فيخلصون من النار ، ولهم حسنات توازنها أو تزيد عليها .

الفصـــل الســـادس

«أَوَّلُ ما يُحَاسَبُ بهِ العبدُ يومَ القيامَةِ»

عن ابنِ مسعود رضى اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ : «أَوَّلُ ما يُقْضَى بَيْنَ الناسِ يومَ القيامةِ فِى الدِّمَاء»[١] .

(أخرجه البخارى ومسلم) .

(١) لأنها أكبر الكبائر بعد الشرك ، والبداءة بها تدل على أهميتها وعظم مفسدة القتل ، وليس بعد الكفر ذنب أكبر جرماً منه .

الفصل السابع

« مَنْ نُوقِشَ الحِساب عُذِّب »

عنْ عائشةَ رضى اللهُ عنْهَا ، أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ نُوقِشَ(١) الحسابَ عُذِّبَ » ، فقلتُ : أَليسَ يقولُ اللهُ : « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيرًا ، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا » ؟ فقالَ : « إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القيامةِ إِلَّا هَلَكَ » .

(رواه الشيخان وأبو داود والترمذى : الترغيب ، جـ٥ ، ص ٣٥٧)

وَعَنْهَا رضى اللهُ عنْهَا قالتْ : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ فى بَعْضِ صَلَاتِهِ : « اللَّهُمَّ حَاسِبْنِى حِسَاباً يَسِيرًا »(٢) ، قُلْتُ :

---

(١) ناقشه الحساب إذا عَاسَرَهُ فيه واستقصى ، فلم يترك قليلًا ولا كثيرًا ، وذلك يؤذن بالعذاب الشديد . والغرض هو إظهار الأعمال وإبرازها ، فيقر صاحبها بما كان منه ، ثم تدركه الرحمة فيعفو الله عنه . والعرض بهذا المعنى هو المراد من الحساب اليسير فى الآية . فَهِمَتْ عائشة رضى الله عنها من أن لوازم الحساب المناقشة والاستقصاء . فلما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من فعل به ذلك عذب وهلك . أشكل عليها الأمر . لأن الحساب منه اليسير ومنه العسير ، فأجابها النبى صلى الله عليه وسلم بأن اليسير هو العرض ولا استقصاء فيه على وجه المعاسرة .

(٢) دعاء النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك تعليم للأمة ، وتنبيه لهم من الغفلة . أو يقال : إن ذلك من كمال خشيته لله عز وجل .

يا نَبِيَّ اللهِ ، ما الْحِسَابُ اليسيرُ ؟ قالَ : « أَنْ يَنْظُرَ فى كِتَابِهِ[١] فَيَتَجَاوَزَ اللهُ عنهُ . إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الحسابَ يومئِذٍ يا عائشةُ هَلَكَ » .

(رواه أحمد ، وابن ماجه ، والحاكم وصححه) .

---

(١) «أن ينظر» أى العبد فى صحيفة أعماله ، فيظن أنه هالك فتدركه رحمة الله بالعفو . وفائدة معرفته ما عمل من السيئات أن يعلم مبلغ ما أنعم الله عليه به من العفو والستر الجميل .

الفصل الثامن

« شِدَّةُ الحساب على ذوى الأَموال والسُّلْطانِ »

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رضى اللهُ عنهُ ، عن النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ القيامَةِ ، فيقالُ : أَيْنَ فقراءُ هذِهِ الأُمَّةِ ومَسَاكِينُهَا ؟ فيقومون ، فيقالُ لَهُمْ : ماذَا عَمِلْتُمْ ؟ فيقولون : ربَّنَا ابْتَلَيْتَنَا فَصَبَرْنَا ، وَوَلَّيْتَ الأَموالَ والسُّلْطَانَ غَيْرَنَا . فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : صَدَقْتُمْ . قَالَ : فيدخلون الجنةَ قَبْلَ الناسِ ، وتَبْقَى شِدَّةُ الحساب عَلَى ذَوى الأَموالِ والسُّلطَانِ ؛ قالُوا : فأَيْنَ المؤمنون يومئِذٍ ؟ قالَ : تُوضَعُ لَهُمْ كَرَاسِيُّ مِنْ نورٍ ، ويُظَلَّلُ عليهمُ الغَمَامُ . يكونُ ذلكَ اليومُ أَقْصَرَ عَلَى المؤمنين مِنْ ساعةٍ مِنْ نَهَارٍ » .

(رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه : الترغيب ، ج٥ . ص ٣٥٢)

الفصـــل التـــاســـع

«ستر الله لعبده المؤمن يوم القيامة»

عن ابنِ عُمَرَ قال ، قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «إنَّ اللهَ يُدْنِى المؤمنَ(١) فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ(٢) ويَسْتُرُهُ ، كما يَضَعُ أَحدُكم كَنَفَ ثَوْبِهِ عَلَى رَجُلٍ ، فيقُولُ : أَتعرفُ ذنبَ كذا ، أَتعرفُ ذنبَ كذا ؟ فيقولُ : نعم ، أَىْ رَبُّ . حَتَّى قَرَّرَهُ بذنوبهِ ورَأَى فِى نَفْسِهِ أَنَّهُ قد هَلَكَ — قالَ : سَتَرْتُها عليكَ فِى الدنيا ، وأَنا أَغْفِرُها لَكَ اليومَ ، فيُعطَى كتابَ حسنَاتِهِ . وأَما الكفارُ والمنافقون فَيُنَادَى بهم على رُءُوس الخلائِقِ : [هؤلاءِ الذينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ ، أَلَا لعنةُ اللهِ عَلَى الظَّالمينَ] » .
(رواه الشيخان) .

---

(١) يقربه إليه .

(٢) الكنف : بفتح أوله وثانيه — من معانيه الظل ، وكنف الطائر جناحه ، وكنف الثوب طرفه . والمراد من الحديث أنه يستره ويرحمه ويلطف به . قيل إن هذا الحديث فى المؤمن الذى لم يَخْتَبْ ولم يفضَح أحدًا ولم يشمت به ، بل ستر على عباد الله معايبهم ، ولم يدع أحدًا يفضحهم ، فجازاه الله بالستر فى الآخرة ، كما ستر على المذنبين فى الدنيا . وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مثل ذلك يكون لمن جمع خلالًا ثلاثاً . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ حَاسَبَهُ اللهُ حساباً يسيرًا ، وأدخلَهُ الجنَّةَ برحمتِهِ » . قَالَ : وما هِىَ يَا رسولَ اللهِ ، بِأَبِى أَنتَ وأُمى . قال : « تُعْطِى مَنْ حَرَمَكَ ، وتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ ، وتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، فإِذَا فَعَلْتَ ذلكَ تدخُلُ الجنةَ » . (رواه البزار ، والطبرانى فى الأوسط ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، إلا أنه قالَ فيه : قالَ : فإذا فَعَلْتُ ذلك فَمَالِى يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « أن تُحَاسَبَ حِسَاباً يَسِيرًا ويدخلك اللهُ الجنةَ برَحمتِهِ » .

الفصـــل العـــاشـــر

«احتقارُ العبدِ عملَه يومَ القيامةِ»

عن محمدِ بنِ أبي عَمِيرَةَ رضي اللهُ عنه ، وكانَ مِنْ أصحابِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ — أَحْسِبُهُ رَفَعَهُ إلى النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ — قالَ : «لوْ أنَّ رَجُلا خَرَّ على وجهِهِ مِنْ يَوْم وُلِدَ إلى يَوْم يموتُ هَرِماً في طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ لحَقَّرَهُ ذلكَ اليوم ، ولَوَدَّ أنه رُدَّ إلى الدنيا كَيْمَا يزادَادَ مِنَ الأَجْرِ والثوابِ»(١) .

(رواه أحمد ، ورواته رواة الصحيح : الترغيب ج٥ ، ص ٣٥٨)

---

(١) معناه : لو أن الإنسان شغل نفسه بطاعة الله عز وجل طوال حياته ، لَعَدَّ ما عمله قليلًا ، إذا رأى ما هنالك عند الله تعالى من النعيم والعذاب ؛ ولتمنى أن يرجع إلى الدنيا يعبد الله ، ليزداد أجره .

الفصل الحادى عشر

فى «من يتكفلُ اللهُ عنهم لِغُرمَائِهم»

عن أَنَسٍ رضى اللهُ عنهُ قالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم جالِسٌ إذْ رَأَيْنَاه ضَحِكَ حتَّى بَدَتْ ثناياهُ[١] ، فقالَ لهُ عمرُ : ما أَضْحَكَكَ يارسولَ اللهِ ، بأَبِى أنتَ وأُمِّى؟ قالَ : «رَجُلانِ مِنْ أُمَّتِى جَثَيَا[٢] بَيْنَ يَدَىْ رَبِّ العِزَّةِ . فقالَ أحدُهُمَا : يارَبِّ خُذْ لِى مَظْلَمَتِى مِنْ أخى ، فقالَ اللهُ : كيفَ تصْنَعُ بأَخيكَ ولمْ يَبْقَ مِنْ حسناتِهِ شىء؟ قالَ : يارَبِّ فَلْيَحْمِلْ مِنْ أَوْزَارِى[٣] ، وفاضتْ عَيْنَا رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالبكاءِ ، ثُمَّ قالَ : «إنَّ ذلكَ يومٌ عظيمٌ يَحْتَاجُ النَّاسُ أنْ يُحْمَلَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ» . فقالَ اللهُ للطالبِ : ارْفَعْ بَصَرَكَ فانظُرْ ، فَرَفَعَ ، فقالَ : يارَبِّ أَرَى مَدَائِنَ مِنْ ذَهَب ، وقُصُوراً مِنْ ذَهَب مُكَلَّلَةً[٤] باللُّؤلؤ ، لِأَىِّ نَبِىٍّ هَذَا ؟ أَوْ لِأَىِّ صِدِّيقٍ هَذَا ؟ أَوْ لِأَىِّ شهيدٍ هذا ؟ قالَ : لِمَنْ أَعْطَى الثمنَ . قالَ : يارَبِّ ، وَمَنْ يَمْلِكُ ذلِكَ ؟ قالَ : أَنْتَ تَملِكُهُ . قالَ : بِمَاذَا ؟ قالَ : بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ . قالَ : يارَبِّ إنِّى قَدْ عَفَوْتُ عنهُ . قالَ اللهُ : فَخُذْ بِيَدِ أَخِيكَ وأَدْخِلْهُ

---

(١) ثناياه : أسنانه الأمامية ــ المفرد ثنية .

(٢) جثيا : جلسا على ركبتيهما .

(٣) أى ذنوبى التى تثقل ظهرى .

(٤) مكللة أى مزينة .

الجَنَّةَ » ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ : « اتقوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ ، فإنَّ اللهَ يُصْلِحُ بَيْنَ المسْلِمِينَ » .

(رواه الحاكم ، والبيهقي ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد(١) . الترغيب ، جـ ٤ ، ص ٨٨) .

---

(١) كذا قال ، وأفاد المنذرى أن فى إسناد الحاكم والبيهقى عباد بن شيبة الحبطى ، عن سعيد بن أنس ، عن أنس .

الباب الرابع

« فى الشفاعة »

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

فى قولِهِ عزَّ وجلَّ لِنَبِيِّهِ الكريم : « إنَّا سَنُرْضِيكَ فِى أُمَّتِكَ » .

عن عبدِ اللهِ بن عَمْرو بنِ العاص رضى اللهُ عنهما ، أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللهِ عزَّ وجلَّ فِى إبراهيمَ : « رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى ، وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ، وقالَ عِيسَى عليهِ السلامُ : « إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ » ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وقالَ : « اللَّهُمَّ أُمَّتِى أُمَّتِى » ، وَبَكَى ، فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : « ياجبريلُ ، اذهبْ إلَى محمد ، وربُّكَ أَعْلَمُ ، فَسَلْهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ » فَأَتَاهُ جبريلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فَسَأَلَهُ ، فأَخْبَرَهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بمَا قَالَ ، وهُوَ أَعْلَمُ ،

فقالَ اللهُ : «ياجبريلُ ، اذهبْ إلَى محمد ، فقُلْ : إنَّا سَنُرْضِيكَ فِى أُمَّتِكَ ، وَلَا نَسُوؤُكَ »[1] (رواه مسلم ، جـ ١ ، ص ١٣٢)

---

(١) هذا الحديث مشتمل على فوائد : منها بيان كمال شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ، واهتمامه بأمرهم ، ومنها استحباب رفع اليدين فى الدعاء ، ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة ، زادها الله شرفاً ، ومنها بيان عظم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه عزوجل. والحكمة فى إرسال جبريل لسؤاله صلى الله عليه وسلم ، إظهار شرف النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه عند ربه بالمحل الأعلى . وهذا الحديث يؤيده قول الله تعالى فى القرآن الكريم : «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » .

الفصـــل الثـــانى

«تعريف الشفاعة وثبوتها وأقسامها»

«وادخاره عليه الصلاة والسلاه دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة»

عن أَنسٍ بنِ مالكٍ أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ وسلَّمَ قالَ : لِكُلِّ نَبِيٍّ دعْوَةٌ دَعَاهَا لِأُمَّتِهِ ، وإِنِّى اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً (١) لِأُمَّتِى يَوْمَ القِيامَةِ » .

(رواه الشيخان . واللفظ لمسلم) .

---

(١) الشفاعة مأخوذة من الشفع . كأن المشفوع له كان فردًا ، وبانضمام الشفيع إليه صار شفعاً . وأكثر ما تستعمل إذا كان الشفيع أكبر مقاماً من المشفوع له . قال صاحب النهاية : « قد تكرر ذكر الشفاعة فى الأحاديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والاخرة ، وهى السؤال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم . يقال : شفع يشفع شفاعة . فهو شافع وشفيع ، والمشفِّع «بالكسر» هو الذى يقبل الشفاعة ، والمشفَّع «بالفتح» هو الذى تقبل شفاعته » . اهـ.

ثبوتها : قال القاضى عياض رحمه الله : مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلًا ، وثبوتها سمعاً ، بصريح قوله تعالى : «يومَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلًا » . وقوله : « وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى » ، وأمثالهما ... وبخبر الصادق صلى الله عليه وسلم . وقد جاءت الآثار التى بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة فى الآخرة لمذنبى المؤمنين . وأجمع السلف والخلف ومَنْ بَعْدَهُم من أهل السنة عليها . قال : ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها . وتعلقوا بمذاهبهم فى تخليد المذنبين فى النار ، واحتجوا بقوله تعالى : « فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ » ، وبقوله تعالى : «مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ » . وهذه الآيات فى الكفار خاصة ، فلا يصلح الاحتجاج بها على نفى الشفاعة للمذنبين من المؤمنين . وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها فى زيادة الدرجات ، فباطل . والأحاديث=

... ...

= صريحة فى إبطال مذهبهم ، وفى ثبوت الشفاعة لمن استوجبوا النار .

أقسامها — قال : والشفاعة خمسة أقسام :

أولها : الشفاعة فى فصل القضاء لإراحة الناس من أهوال الموقف ، وتعجيل الحساب ، وهى مختصة بنبينا صلى الله عليه وسلم .

ثانيها : الشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وهذه وردت أيضاً لنبينا صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين وغيرهما .

ثالثها : الشفاعة لقوم استوجبوا النار . فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم ، ومن شاء الله تعالى ألا يدخلها .

رابعها : فيمن دخل النار من المذنبين ، وقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ، ثم يخرج الله تعالى كل من قال : لا إله إلا الله ، كما جاء فى الحديث : «لا يبقى فيها إلا الكافرون» .

خامسها : فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها ، وهذه لا ينكرها المعتزلة ، ولا ينكرون أيضاً الشفاعة فى فصل القضاء .

الدعاء بطلب الشفاعة — قال : وقد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضى الله عنهم شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم ورغبتهم فيها ، وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال : إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعته صلى الله عليه وسلم ؛ لكونها لا تكون إلا للمذنبين ، فإنها قد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب ، وزيادة الدرجات ، ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج إلى العفو ، غير معتد بعمله ، مشفق من أن يكون من الهالكين . ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة ، لأنها لأصحاب الذنوب . وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف . اهـ بتصرف يسير .

الفصـل الثـالث

(لِمَنْ تكونُ الشفاعةُ ؟)

«مِنَ الْكَافِرِينَ مَنْ لَا تُقْبَلُ الشَّفَاعَةُ لَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَفَّفُ عَنْهُم بِسَبَبِهَا» .

قالَ تعالَى : « مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ[1] وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ »[2] ، مِنَ الآيةِ ١٨ من سورة غافر .

وقالَ تعالَى : « وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا[3] ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ »[4] . (الآية ٤٨ من سورة البقرة) .

---

(١) أى ما للكافرين من حميم محب . أى صديق مخلص تنفعهم صداقته يوم القيامة .

(٢) المراد لا شفيع لهم أصلا ، كما فى آية أخرى : «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ » .

(٣) أى خافوا عذاب يوم لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئاً من الحقوق ، وهو يوم القيامة .

(٤) أى وليس لها شفاعة فتقبل . ولا يقبل منها أيضاً فداء . «وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ» ، أى يمنعون من عذاب الله عز وجل . وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين . والجواب عن استدلالهم هذا أنها خاصة بالكفار . الآيات الواردة فى الشفاعة ، والأحاديث المروية فيها ، ويؤيده أن الخطاب مع الكفار لردّ ما كانوا يعتقدونه أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم .

عنْ أَبِي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه ، عنِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ : « يَلْقَى إبراهيمُ أَباهُ آزَرَ يَوْمَ القيامَةِ ، وَعَلَى وَجْهِ آزرَ قَتَرَةٌ وغَبَرَةٌ[١] ، فيقولُ له إبراهيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِى ؟ فيقولُ أَبُوهُ : فاليومَ لا أَعْصِيكَ ، فيقولُ إبراهيمُ : يارب إِنَّكَ وَعَدْتَنِى أَنْ لَاتُخْزِيَنِى[٢] يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، فَأَىُّ خِزْىٍ أَخْزَى مِنْ أَبِى الأَبْعَدِ[٣] ؟ فَيَقُولُ اللهُ تعالَى : إِنِّى حَرَّمْتُ الجنةَ علَى الكَافِرِينَ[٤] ، ثُمَّ يُقَالُ : يا إبراهيمُ ، ماتَحْتَ رِجْلَيْكَ ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ[٥] ، فَيُؤْخَذُ بقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فى النَّار »[٦] .

(رواه البخارى) .

---

(١) «قترة» : أى سواد كالدخان . «غبرة» : أى غبار .

(٢) أى لا تهينني ولا تذلني .

(٣) أى فأى فضيحة أشد من فضيحة أبي آزر الأبعد من رحمة الله عز وجل ، وعبر بصيغة «أبعد» لأن الفاسق بعيد من رحمة الله ؛ والكافر أبعد منه .

(٤) أى وإن أباك كافر ؛ فالجنة حرام عليه .

(٥) «الذيخ» : (بذال وخاء معجمتين ، بينهما ياء تحتية ساكنة) الذكر من الضباع ، والأنثى ذيخة ، والجمع ذُيُوخ وأَذْيَاخ وذِيَخَة . «ملتطخ» : أى بالرجيع أو بالدم . وعند الحاكم عن أبي هريرة : فيمسخ الله أباه ضَبُعاً .

(٦) وعند ابن المنذر فى روايته : (فإذا رآه كذلك تبرّأ منهُ ، قال : لَسْتَ أَبِى) . الحديث . وكان قبل أن يمسخ حملت الرأفة إبراهيم على الشفاعة له ، فظهر له فى هذه الصورة ليتبرأ منه . قال الكمال الدميرى : والحكمة فى كونه مسخ ضبعاً ، دون غيره من أنواع الحيوان ، أن الضبع أحمق الحيوان ، ومن حمقه أنه يغفل عما يجب التيقظ له . فلما لم يقبل آزر النصيحة من ابنه إبراهيم ، وهو أشفق الناس عليه ، وقبل خديعة الشيطان أشبه الضبع الموصوف بالحمق .

عن العباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ أنَّه قالَ : يارسولَ اللهِ ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طالب بشيءٍ ، فإنَّهُ كانَ يَحُوطُكَ(١) وَيَغْضَبُ لَكَ ؟ قالَ : « نعمْ ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ(٢) مِنْ نَارٍ ، ولوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ(٣) الأَسْفَلِ مِنَ النارِ » . (رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم) .

---

(١) أي يصونك ويحفظك ويدافع عنك .

(٢) الضَّحْضَاح : ما رق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين ، واستعير فى النار .

(٣) الدرك فيه لغتان فصيحتان : فتح الراء وإسكانها ، ومعناه قعر جهنم وأدنى أسفلها ، قالوا : ولجهنم أَدْرَاكٌ . وكل طبقة من أطباقها تسمى دَرْكا .

وهذا الحديث دليل على أن الكافر لا يخرج من النار بسبب الشفاعة ، ولكن قد تفيده الشفاعة فى التخفيف فقط . والظاهر — والله أعلم — أن تخفيف العذاب عن أبى طالب بالشفاعة من خصوصياته صلى الله عليه وسلم .

هذا ، وأبو طالب مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونصره إياه ، ودفعه عنه أذى أعدائه ؛ أبى أن ينطق بكلمة الشهادة عند الموت . حين عرضها عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان آخر ما قاله : « هو على ملة عبد المطلب » . روى البخارى بسنده المتصل عن ابن المسيب عن أبيه : أن أبا طالب لما حضرته الوفاة . دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل ، فقال : « أى عم . قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله » ، فقال أبو جهل ، وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب ، ترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شىء كلمهم به : « على ملة عبد المطلب » ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ » . فنزلت : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » ، ونزلت : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ » . قال العلامة القسطلانى : وقد كان أبو طالب يحوطه عليه الصلاة والسلام وينصره ويحبه حبًّا طبيعيًّا لا شرعيًّا ، فسبق القدر فيه ، واستمر على كفره ، ولله الحجة البالغة . قال : ولا تنافى بين هذه الآية وبين قوله : « وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » ، لأن الذى أثبته وأضافه إليه الهداية ، بمعنى الدعوة إلى الحق والإرشاد إليه ، والذى نفاه عنه هو هداية التوفيق وشرح الصدر . والله أعلم .

الفصل الرابع

في قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ « شَفعَتِ الملائكةُ وشَفعَ النبيُّونَ وشَفعَ المؤمنون ولَمْ يَبْقَ إلَّا أَرْحَمِ الراحمينَ » .

عن أَبي سعيد الْخُدْرِيِّ رضي اللهُ عنهُ أنَّ نَاساً فِي زَمَنِ رسولِ اللهِ صلى الله عليهِ وسلَّمَ قَالوا : يارسولَ اللهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ . قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نَعَمْ » ، قالَ : « هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بالظَّهِيرةِ صَحْوًا ليس مَعَها سحابٌ ؟ وهَلْ تُضَارُّونَ في رؤْيةِ القَمَرِ ليلَةَ البَدْرِ صَحْوًا ليس فيها سحابٌ ؟ » قالُوا : لَا يارسولَ اللهِ ، قالَ : « ما تُضَارُّونَ في رؤْيةِ اللهِ تباركَ وتعالَى يومَ القِيَامَةِ إلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رؤْيةِ أَحدِهما[1] . إذَا كانَ يَوْمُ القِيامةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ : لِتَتَّبِعْ كلُّ أُمَّةٍ ما كانَتْ تَعْبُدُ . فلا يَبْقَى أَحَدٌ كانَ يَعْبُدُ غيرَ اللهِ سبحانه مِنْ الأَصنامِ والأَنصابِ[2] إلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النار ، حتَّى إذَا لَمْ يَبْقَ إلَّا مَنْ كانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ[3] وفاجر وغُبَّر أَهلِ الكتابِ : فيُدْعَى اليهودُ ، فيقالُ لهم : ماكنتم تعبدُون ؟ قالوا : كنا نَعْبُدُ عُزَيْرًا بنَ اللهِ .

---

(١) معناه : لا تضارون أبدا كما لا تضارون في رؤيتهما .

(٢) الأَنصاب : جمع نصب بسكون الصاد مع ضم النون وفتحها ، ويقال فيه نُصُب بضمتين ، وهي حجارة كانت تنصب وتعبد من دون الله تعالى ، ويذبحون عليها تقرباً إلى آلهتهم . وكل ما نصب واعتقد تعظيمه من الحجر والشجر ، فهو نصب .

(٣) (البَرّ) بفتح أوله هو المطيع . « غُبَّر » بضم الغين المعجمة ، وتشديد الباء الموحدة معناه بقاياهم ، جمع غابر .

فيقالُ : كذَبْتُمْ ، ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صاحبة ولا وَلَدٍ ، فماذا تَبْغُون ؟ قالوا : عَطِشْنَا يارَبَّنَا ، فاسْقِنَا . فيُشَارُ إليهم : أَلَا تَرِدُونَ ؟ فيُحْشَرُونَ إلى النارِ . كأنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بعضُهَا بعضاً[1] ، فيتساقطون فى النارِ . ! ثم يُدْعَى النصارى ، فيقالُ لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبدُ المسيحَ بْنَ اللهِ ، فيقالُ لهم : كذَبْتُمْ ، ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صاحبةٍ[2] ولا وَلَدٍ ، فيقالُ لهم : ماذا تَبْغُونَ ؟ فيقولون : عَطِشْنَا . يا ربَّنَا فاسْقِنَا ، قال : فيشارُ إليهم : أَلَا تَرِدُونَ ؟ . فَيُحْشَرُونَ إلى جهنمَ ، كأنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بعضُهَا بعضاً ، فيتساقطون فى النارِ ، حَتَّى إذَا لَمْ يَبْقَ إلَّا مَنْ كَانَ يعبُدُ اللهَ تعالَى مِنْ بَرٍّ وفاجرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ العالمين سبحانه وتعالى فى أَدْنَى صورةٍ مِنَ الَّتِى رَأَوْهُ فيها[3] ، قالَ :

---

(١) « السراب » كسحاب ، هو الذى يتراءى للناس فى الأرض القفر . والقاع المستوى وسط النهار فى الحر الشديد ، لامعاً مثل الماء : « يحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا » ، فالكفار يأتون جهنم أعاذنا الله منها وهم عطاش ،فيحسبونها ماء ، فيتساقطون فيها . وقوله : « يَحْطِمُ بعضُها بعضاً » ، لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها ، والحطم كالضرب معناه الكسر والإهلاك .

(٢) الصاحبة : الزوجة .

(٣) من علماء السلف من رأى أنه لا يخوض فى مثل هذه النصوص خشية الوقوع فى الخطأ ، مع تمسكه بالعروة الوثقى ، وهى تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق . وقيل المراد من الحديث : يأتيهم ملك من الملائكة فيقول : أنا ربكم ، على سبيل الامتحان والاختبار ، فالمؤمنون المخلصون يستعيذون بالله منه ، لما يرون عليه من علامات الحدوث ، وأنه من مخلوقات الله سبحانه ، ويقولون : نحن فى مكاننا حتى يأتينا ربنا . وقيل : المراد تأتيهم=

فَمَا تَنْتَظِرُونَ ؟ تَتْبَعُ كلُّ أُمَّة ما كانَتْ تَعْبُدُ ، قالوا : يا رَبَّنَا : فارَقْنَا النَّاسَ فى الدنيا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ ، ولَمْ نُصَاحِبْهُمْ[1] ، فيقولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فيقولون : نعوذُ باللهِ مِنْكَ لانُشْرِكُ باللهِ شيئاً «مَرَّتَيْنِ أو ثلاثاً» ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهم لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ ، فيقولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ ، فتعرفونه بها ؟ فيقولون : نَعَمْ . فَيُكْشَفُ عَنْ ساقٍ[2] ، فلا يَبْقَى مَنْ كانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاء نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بالسجودِ ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً واحدةً[3] ، كُلَّمَا أَرادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ . ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وقَدْ تَحَوَّلَ

= صورة على هيئة ملك ، تقول لهم ذلك امتحاناً واختباراً ... إلخ . ومعنى «رَأَوْهُ فِيهَا» : عَلِمُوها له ، وهى صورته المعلومة للمؤمنين . وهى أنه لا يشبهه شىء .

(١) المقصود من هذه العبارة التضرع إلى الله فى كشف هذه الشدة عنهم ، وأنهم لزموا طاعته تعالى ، وهجروا من أجله أقاربهم . ومن كانت تربطهم به صلات المنافع التى كانوا فى أشد الحاجة إليها .

(٢) أى حين يتجلى الله سبحانه لهم . فيسجد له المؤمنون المخلصون . وأما المنافقون فلا يستطيعون السجود كلما أرادوه . ويشتد كربُهم ، كما قال تعالى : «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ، خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ . وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ» . قالَ الخطابى : وهذه الرؤية التى فى هذا المقام غير الرؤية التى فى الجنة لكرامة أولياء الله تعالى ، وإنما هذه للامتحان . والله أعلم .

(٣) الطبق — بفتح أوله وثانيه — فقار الظهر ، أى صار ظهره فقارة واحدة . فلا يقدر على السجود . قال النووى : ثم اعلم أن هذا الحديث قد يتوهم منه أن المنافقين يرون الله تعالى مع المؤمنين . وقد ذهب إلى ذلك طائفة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : «وَتَبْقَى هذه الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوها ، فيأتيهم اللهُ تعالَى» . وهذا الذى قالوه باطل ، بل لا يراه المنافقون ، لإجماع=

فى صورَتِهِ التى رَآهُ فيها أَوَّلَ مَرَّةٍ[١] . فقالَ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فيقولون : أَنْتَ رَبُّنَا . ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ على جهنمَ وتَحِلُّ الشفاعةُ[٢] ، ويقولون : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ » . قيل : يارسُولَ اللهِ ومَا الجسر ؟ قالَ : « دَحْضٌ[٣] مَزَلَّةٌ . فيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ[٤] تكونُ بِنَجْد فِيهَا شُوَيْكَةٌ ، يقالُ لها السَّعْدَان . فَيَمُرُّ المؤمنون كطَرْفِ العيْنِ : وكالْبَرْقِ ، وكالرِّيحِ ، وكالطَّيْرِ . وكأَجاوِيدِ الخَيْلِ والرِّكَابِ . فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، ومَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ ، ومَكْدُوسٌ فى نارِ جهنمَ[٥] . حتى إذا خَلَصَ المؤمنون مِنَ النارِ ،

= من يعتد به من علماء المسلمين . قال : وليس فى هذا الحديث تصريح برؤيتهم لله تعالى ، وإنما فيه أن الجمع الذى فيه المؤمنون والمنافقون يرون الصورة . ثم بعد ذلك يرون الله تعالى ، وهذا لا يقتضى أن يراه جميعهم ؛ وقد قامت دلائل الكتاب والسنة على أن المنافق لايراه سبحانه وتعالى . والله أعلم .

(١) معناه : وقد أزال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم .

(٢) الجَسْر – بفتح الجيم وكسرها – هو الصراط ؛ ومعنى « تَحِلُّ الشفاعةُ » تقع ويؤذن فيها .

(٣) قوله « دَحْضٌ مَزَلَّةٌ » : الدحض والمزلة بمعنى واحد ، وهو الموضع الذى تزل فيه الأقدام ولا تستقر .

(٤) « الخطاطيف » جمع خُطَّاف . وهو الحديدة المعوجة يختطف بها الشىء بسرعة ، أى يؤخذ ويستلب . و « الكلاليب » جمع كَلُّوب . بفتح الكاف . وتشديد اللام . وهو حديدة معوجة الرأس . و « الحَسَك » بفتحتين جمع حَسَكة ، وهى شوكة صلبة معروفة .

(٥) معناه أنهم ثلاثة أقسام : قسم يسلم من النار فلا يناله منها ضرر ، وقسم يخدش ثم يرسل فيَخْلُص ، وقسم يُكَرْدَس ويلقى ويسقط فى جهنم . ومعنى قوله « مكدوس فى النار » أى مدفوع فيها ، يقال : تكلس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط . ويروى « مكدوش » بالشين المعجمة . من الكدش . وهو السَّوْق الشديد .

فوالَّذِى نفْسِى بيدِهِ ، ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلهِ فِى اسْتِقْصَاء الْحَقِّ مِنَ المؤمنين لِلهِ يَوْمَ القيامةِ ، لإخوانِهِمُ الَّذِينَ فى النار[١] ، يقولون : ربَّنا كانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا ويُصَلُّون ، ويَحُجُّونَ ، فيقالُ لَهُمْ : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ على النار ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، قَدْ أَخَذَتِ النارُ إلى نِصْفِ ساقَيْهِ وإلى رُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ يقولون : رَبَّنَا ، ما بَقِىَ فِيها أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ ، فيقولُ : (ارْجِعُوا ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْر فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كثيرًا ، ثُمَّ يقولون : رَبَّنَا ، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يقول : ارْجِعُوا ، فَمَنْ وَجَدْتُم فى قلبهِ مثقالَ نِصْفِ دينارٍ مِنْ خيْرٍ فأَخْرِجوه ، فَيُخْرِجُون خَلْقاً كثيرًا ، ثُمَّ يقولون : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فيها مِمَّنْ أَمَرْتَنا أَحَدًا ، ثُمَّ يقول : ارْجِعُوا ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فى قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ[٢] فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كثيرًا ، ثُمَّ يقولونَ : رَبَّنَا ، لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا »[٣] ، وكانَ أَبو سعيدٍ الخُدْرِىُّ يقولُ : إنْ لَمْ تُصَدِّقُونِى بهذا

---

(١) معناه : ما منكم من أحد يناشد الله تعالى فى الدنيا فى استيفاء حقه . أو استقصائه وتحصيله من خصمه ، بأشد من مناشدة المؤمنين ربهم فى الشفاعة لإخوانهم يوم القيامة . وقوله : « فى استقصاء الحق » ، رواه بعضهم : « فى استيفاء الحق » . ومعناهما متقارب .

(٢) قوله : « من خير » ، المراد من الخير هنا شئ زائد على مجرد الإيمان . لأن مجرد الإيمان الذى هو التصديق لا يتجزأ ، وإنما يكون هذا التجزؤ لشئ زائد عليه من عمل صالح ، أو ذكر خفى ، أو عمل من أعمال القلب ، من شفقة على مسكين ، أو خوف من الله ، أو نية صادقة ، ويدل عليه قوله فى الرواية الأخرى : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان فى قلبه من الخير ما يزن كذا » .

(٣) أى لم نترك فى جهنم مؤمنا عمل خيرا ، ولو قل إلا أخرجناه منها .

الحديثِ فاقرَأُوا إنْ شِئْتُمْ : « إنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً » ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : « شَفَعَتِ الملائكةُ ، وشفعَ النبيون ، وشفعَ المؤمنون ، ولَمْ يَبْقَ إلَّا أَرْحَمُ الراحمين . فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النار[1] . فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قط . قَدْ عَادُوا حُمَماً[2] . فَيُلْقِيهِمْ فى نَهْرٍ فى أَفْوَاهِ الجَنَّةِ[3] . يقالُ له : نَهْرُ الحياةِ . فَيَخْرُجُونَ كما تَخْرُجُ الحبَّةُ فى حَمِيلِ السَّيْلِ[4] . أَلَا تَرَوْنَهَا تكونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشجَرِ ، ما يكونُ إلى الشمسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ ، وما يكونُ مِنْهَا إلى الظِّلِ يكونُ أبيضَ ؟ » . فقالوا : يارسولَ اللهِ ، كأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بالباديةِ ؟ قالَ :

---

(١) معناه : يأخذ جماعة من أهل النار ، لم يعملوا خيرًا قط سوى الإيمان ، فيخرجهم منها ، وقد صاروا فحما ، فيلقيهم فى نهر الحياة . قال القاضى عياض : هؤلاء هم الذين معهم مجرد الإيمان ، وهم الذين لم يؤذن فى الشفاعة فيهم . وإنما دلت الآثار على أنه أذن لمن عنده شئٌ زائدٌ على مجرد الإيمان . وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين صلوات الله وسلامه عليهم دليلا عليه . وتفرد الله عز وجل بعلم ما تكنه القلوب ، وبالرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان .

(٢) أى قد صاروا فحماً . جمع « حُمَمَة » كهُمَزَة . و « الْحُمَمُ » بضم أوله وفتح ثانيه هو الفحم .

(٣) أفواه الأزقة والأنهار : أوائلها . كأن المراد فى الحديث : مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها .

(٤) « حميل السيل » ما يحمله من طين أو غثاء أو غيره ، فعيل بمعنى مفعول ، فإذا كانت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل ، فإنها تنبت سريعا فى يوم وليلة . فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسادهم إليهم بعد إحراق النار لها .

« فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ[1] . فى رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ[2] ، يعرفُهُمْ أهلُ الجنةِ – هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ – الذين أَدْخَلَهُمُ اللهُ الجنةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خيْرٍ قَدَّمُوهُ[3] ، ثُمَّ يقولُ : ادْخُلُوا الجنةَ ، فمَا رأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ ، فيقولون : ربَّنَا ، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ العالمين ، فيقولُ : لَكُمْ عندى أَفْضَلُ مِنْ هَذَا . فيقولون : ياربَّنَا ، أَىُّ شىءٍ أفضلُ مِنْ هَذَا ؟ فيقولُ : رِضَاىَ ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » .

(أخرجه الشيخان ، واللفظ لمسلم ، فى كتاب الإيمان ، ج ١ ص١١٥) .

(والبخارى أخرجه فى كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : « وُجُوهٌ يومئذ نَاضِرَةٌ » .

(١) أى فى الصفاء والإشراق .

(٢) المراد بها أشياء من ذهب أو غيره ، تعلق فى أعناقهم علامة يعرفون بها .

(٣) أى زيادة على أصل إيمانهم .

الباب الخامس

«فى الحوض والميزان والصراط»

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

«فى الحوض»

عنْ نافِعِ بن عُمَرَ الْجمحِيِّ عنْ ابنِ أَبِى مُلَيْكَةَ قالَ : قالَ عبدُ اللهِ ابنُ عَمْرِو بنِ العاصِ ، قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ[1] ، وزَوايَاهُ سَوَاءٌ[2] ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الوَرِقِ[3] ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السماء[4] ، فَمَنْ شرِبَ

---

(١) أى طويل يقطع طوله مدة شهر .

(٢) أركانه متشابهة متماثلة . وقال العلماء : معناه طوله كعرضه ، كما قال فى حديث أبى ذر عن مسلم : «عرضه مثل طوله» .

(٣) بفتح الواو وكسر الراء ، وهو الفضة .

(٤) أى فى الكثرة ، وهو باب من المبالغة معروف فى الشرع واللغة ، ولا يعد كذباً إذا كان المخبر عنه فى حيز الكثرة والعِظم . وقال النووى : الصواب أن هذا العدد على ظاهره ؛ قلت : ويؤيد الأول قوله صلى الله عليه وسلم : «والذى نَفْسُ محمدٍ بيدِهِ لآنِيَتُه أكثرُ مِنْ عددِ نجومِ السماء» . والله أعلم .

مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبدًا » ، قالَ : وقالتْ أَسماءُ بنتُ أَبي بكْر : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : « إِنِّى عَلَى الحوْضِ حتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ ، وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِى فأَقولُ : يارب مِنِّى ، ومِنْ أُمَّتِى ، فيقالُ : أَمَا شَعَرْتَ ما عَمِلُوا بَعْدَكَ ؟ واللهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ! »[1] . قالَ : فكانَ ابنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يقولُ : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا ، أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا » .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم) .

---

(١) قيل هولاء صنفان : أحدهما عصاة مرتدون عن الاستقامة لاعن الإسلام ، وهؤلا مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة . والثانى مرتدون إلى الكفر حقيقة ، ناكصون على أعقابهم

الفصل الثانى

« فى الميزان »

قال تعالى فى سورة الأعراف : « وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ » (الآيتان ٨ ، ٩) .

عنْ أبى مالك الأشعرىِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ ، والحمدُ للهِ تَمْلأُ الميزَانَ (١) ، وسُبْحَانَ اللهِ والحمدُ للهِ تَمْلآنِ — أَوْ تَمْلأُ — مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ والأَرضِ ، والصلاةُ نورٌ ، والصدَقةُ بُرْهَانٌ ، والصبرُ ضِيَاءٌ ، والقرآنُ حُجَّةٌ لكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ الناسِ يَغْدُو ، فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا » .

(رواه مسلم فى أول كتاب الطهارة ، جـ١ ، ص ١٤٠) .

---

(١) قال علماؤنا : الميزان الذى توزن به الحسنات والسيئات حق ثابت بالكتاب وبالسنة ، وهو محمول على حقيقته . قالوا : والحكمة فيه إظهار العدل وبيان الفضل . واختلفوا : هل هو ميزان واحد أو أكثر ؟ والمشهور أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال ، وإنما جمع فى آيات الذكر الحكيم لكثرة الأعمال التى توزن به . واختلف فى الموزون فقيل : صحائف الأعمال ، وقيل : نفس الأعمال ، فتصور الأعمال الصالحة بصور حسنة نورانية ، وتصور الأعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية . ويؤيد القول الأول حديث البطاقة والسجلات ، وقد مر ذكره . فإن قيل : حديث أبى هريرة « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة » ، يفيد أن الموزون هو نفس الإنسان ، فالجواب : أنه مثل ضربه النبى صلى الله عليه وسلم للذى يغتر بجمال الصور وحسن الأجسام فبين بهذا الحديث أن الله لا ينظر إلى الصور ، وإنما ينظر للأعمال والقلوب ، والله أعلم .

عن أَبِى هريرةَ رضى اللهُ عنه ، عنْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ : «إِنَّهُ لَيَأْتِى الرَّجُلُ العظيمُ السمينُ يوْمَ القيامةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ(١) ! اقْرَأُوا (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً)(٢)» .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم) .

---

(١) أى لايكون له عند الله قدر ومنزلة .

(٢) الآية من سورة الكهف ، رقم ١٠٥ ، وهى بتمامها : «أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا» . ومعناها أن الذين لا يصدقون بالله وآياته ، ويكفرون بالبعث بعد الموت ، لاقيمة لأعمالهم التى عملوها فى الدنيا عند الله فى الآخرة ، أما قوله تعالى : «فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً» فمعناها أن الله سبحانه يأمر بهم إلى النار ، ولا توضع أعمالهم فى الميزان . وهذا بخلاف المؤمنين بالله ، المصدقين بالبعث ، المعترفين بصدق القرآن ، فإن الله تعالى يضع أعمالهم فى الميزان ، فإن خفت موازينهم بسبب بعض ما عملوا من سيئات ، ولم يعف الله عنهم ، فإنهم يعذبون بتلك السيئات فى النار ، ثم يأمر الله بهم إلى الجنة .

الفصل الثالث

« في الصراط [1] واختلاف أحوال الناس في المرور عليه »

عن أبي هريرةَ وحُذَيْفَةَ قالَا : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم :

---

(١) أهل الحق ، وهم أهل السنة والجماعة . يثبتون الصراط على ظاهره . كما وردت به الأخبار الصحيحة بغير تأويل . وقد دلت هذه الأخبار على أنه جسر مضروب على ظهر جهنم ، يمر عليه جميع الخلائق . وهم في مرورهم عليه متفاوتون تبعاً لأعمالهم . أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : «بلغني أن الجسر أرقّ من الشعر وأحد من السيف» . وأخرج ابن جرير والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : «الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ . فَتَمُرُّ الطَّبَقَةُ الأُولَى كالْبَرْقِ ، والثانيةُ كالرِّيحِ ، والثالثةُ كأَجْوَدِ الخَيْلِ ، والرابعةُ كأَجْوَدِ البهائِمِ ، يَمُرُّونَ والملائكةُ يقولون : اللهُمَّ سَلِّمْ ، اللهُمَّ سَلِّمْ» . وأخرج البيهقي عن أنس رضيَ الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ ، وإنَّ الملائكةَ يُنَجُّونَ المؤمنين والمؤمنات ، وإنَّ جبريلَ لآخِذٌ بحُجْزَتِي ، وإنِّي لأَقُولُ : يارَبِّ سلِّمْ . سَلِّمْ . فالزَّالُّونَ والزَّالَّاتُ يومئذ كثير» . وأنكر كونَ الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف جماعةٌ من العلماء ، قال القرافي تبعاً للحافظ البيهقي : لم أجده في الروايات الصحيحة ، وإنما يروَى عن بعض الصحابة ، ويؤول بأن أمره أدق من الشعر ، فإن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي . ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى . وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر وحد السيف مثلًا للغامض الخفي . وردَّ هذا الكلام الإمام القرطبي وغيره ، قالوا : وأقوال الصحابة في مثل ذلك في حكم الأحاديث المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا مجال للرأي والاجتهاد فيها . على أنه قد جاء عن بعض الأئمة الكبار أن كونه كذلك يكون على بعض الناس دون بعض . تبعاً للأعمال . فعن سعيد ابن أبي هلال قال : إن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر : وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع . والله أعلم .

«يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وتعالى الناسَ ، فيقومُ المؤمنونَ حَتَّى تُزْلَفَ[١] لَهُمُ الجنةُ ، فيأْتونَ آدمَ فيقولون : يا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لنا الجنةَ[٢] ، فيقولُ : وهلْ أخرجكمْ مِنَ الجنةِ إِلَّا خطيئةُ أَبيكُمْ آدمَ ؟ لسْتُ بصاحِبِ ذلِكَ ، اذهبوا إلى ابْنِى إبراهيمَ خليلِ اللهِ . قالَ ، فيقولُ إبراهيمُ : لستُ بِصَاحبِ ذلِكَ ، إِنَّمَا كنتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ[٣] ، اعْمَدُوا إِلَى مُوسَى صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الذى كلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيماً . فيأْتون موسى صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فيقولُ : لسْتُ بصاحبِ ذلكَ ، اذهبوا إلى عيسى كَلِمَةِ اللهِ وروحِهِ . فيقولُ عيسى صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : لستُ بصاحِبِ ذلكَ ، فيأْتون محمداً صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فيقومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ ، وتُرْسَلُ الأَمانةُ والرَّحِمُ[٤] ، فتقُومانِ جَنْبَتَى[٥] الصِّراطِ يَمِيناً وشِمالاً ، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُم كَمَرِّ البَرْقِ[٦] ، قالَ ، قلتُ : بِأَبِى أَنْتَ وأُمِّى ، أَىُّ شَىْءٍ كَمَرِّ البَرْقِ ؟ ، قالَ : أَلَمْ تَرَوْا إِلَى البَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ ويَرْجِعُ فى طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الريحِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الطيْرِ ، وَشَدِّ الرِّجَالِ[٧] تَجْرِى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، وَنَبِيُّكُمْ

---

(١) تُقَرَّب .

(٢) اطلب فتح بابها .

(٣) قال النووى : المشهور الفتح فيهما بلا تنوين ، ويجوز فى العربية بناؤهما على الضم . اهـ . وعلى الفتح تكون الكلمة مركبة ، كشَذَرَمَذَرَ .

(٤) أى يصورهما الله ويرسلهما إلى جانبى الصراط .

(٥) أى طرفيه .

(٦) أى فى سرعة السير على الصراط ؛ لأن الله تعالى يمنحهم هذه القوة ببركة ما قدموا من أعمال الخير .

(٧) أى جريهم ، والرجال جمع رجل .

قائمٌ علَى الصراطِ . يقولُ : ربِّ سلِّمْ سلِّمْ ، حتَّى تَعْجزَ أعمالُ العِبَادِ[١] حتَّى يَجِيءَ الرجُلُ فلا يستطيعُ السيرَ إلَّا زَحْفًا . قَالَ : وَفِى حَافَّتَى[٢] الصراطِ كَلَالِيبُ[٣] مُعلَّقَةٌ ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بهِ ، فَمَخْدُوشٌ[٤] ناجٍ . وَمَكْدُوسٌ فِى النارِ . والذِى نَفْسُ أَبِى هُرَيْرَةَ بيدِهِ إنَّ قَعْرَ جهنم لسبعون[٥] خَرِيفاً » .

(رواه مسلم) .

---

(١) معناه تجرى بهم أعمالهم ، حتى تعجز أعمالهم عن الجريان بهم .

(٢) أى جانبيه .

(٣) جمع كُلَّاب أو كَلُّوب ، وهى حديدة معوجة الرأس .

(٤) أى فمنهم مجروح ناج من الوقوع فى النار ، ومنهم مكدوس فى النار ، أى مدفوع فيها دفعا عنيفا .

(٥) يعنى أن بلوغ قعرها يستغرق سبعين عاماً فى المسير إليه .

الباب السادس

« ما جاء فى نار جهنم وأهلِهَا ، أعاذنا الله منها »

وفيه سبعة فصول

الفصل الأول

فى قوله تعالى : « قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا »

قال الله تعالى فى كتابه الكريم : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ، وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ ، عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ . لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ »(١) .

(الآية رقم ٦ من سورة التحريم) .

وقال تعالى فى سورة الحج : «هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ : فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ . يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ

---

(١) المعنى : حصنوا أنفسكم وأهليكم من عذاب الله عز وجل . بفعل الطاعة وترك المعصية ، فإن نار الله شديدة ، وقودها الناس والحجارة الضخمة إقيل إنها حجارة من كبريت أنتن من الجيفة ، لا يدرى مدى عظمها إلا الله عز وجل . قال تعالى فى سورة المرسلات : «إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ» .أى كالحصون والمدائن : «كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ» ، كأن الشرر الذى يتطاير من نار جهنم جمال صفر ، أى سود تميل إلى الصفرة ، وعلى تلك النار ملائكة أقوياء شداد ، مطيعون أوامر الله . لا يخالفونها ، يتولون تعذيب العصاة دون رحمة .

الْحَمِيمُ ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فى بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيد . كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ، وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ »[1] . الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

وقال تعالى فى سورة الحاقة : «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ؛ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ؛ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فاسْلُكُوهُ . إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ باللهِ العظِيم . وَلَا يَحُضُّ علَى طَعَامِ المِسْكِينِ . فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ . وَلَاطَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِين . لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ »[2] — الآيات من ٣٠ — إلى ٣٧

وقال تعالى فى سورة النساء : (إِن الذينَ كَفرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ، كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيماً » — الآية ٥٦ .

---

(١) الخصمان هم المؤمنون والكافرون ، اختصموا فى ربهم : فالمؤمنون يريدون نصر دين الله ، والكافرون يريدون أن يعلوا الباطل ويظهر على الحق : «فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ » . على مقدار أجسامهم ، «يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ » ، الماء الحارُّ ، «يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ » ، أى يذاب بالحميم ما فى بطونهم من الأمعاء والأحشاء وكذلك تذابُ به جلودهم ، «وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ » ، أى سياط تعمل من حديد ، رءوسها معوجة يضربون بها . والمفرد مِقْمَعَةٌ بالكسر ، «كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا » . قال الفضيل بن عياض : والله ما طمعوا فى الخروج ، إن الأرجل لمقيدة ، وإن الأيدى لموثقة ، ولكن يرفعهم لهبها ، وتردهم مقامعها .

(٢) «غُلُّوهُ » : اجمعوا يديه إلى عنقه بوثاق . «صَلُّوهُ » : أدخلوه . «ذَرْعُهَا » : طولها . «فاسْلُكُوهُ » : أدخلوه . قال ابن عباس : تدخل سلسلة فى دبره ثمّ تخرج من فيه . «لَايَحُضُّ » لا يحرض ولا يحث . «غِسْلِين » : ما يسيل من أبدان أهل النار من الدم والقيح والصديد .

عَنْ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «اتَّقُوا النَّارَ» ، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ[1] ، ثُمَّ قَالَ : «اتَّقُوا النَّارَ» ، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ «ثَلَاثاً[2]» حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» .

(رواه الشيخان . البخارى ومسلم) .

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» ، دَعَا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قُرَيْشًا ، فَاجْتَمَعُوا ، فَعَمَّ وَخَصَّ ، فقالَ : «يا بَنِى كَعْبِ بْنِ لُؤَىٍّ . أَنْقِذُوا[3] أَنْفُسَكُمْ مِنَ النارِ . يَا بَنِى مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ . أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النار ! يَا بَنِى عَبْدِ شَمْسٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ! يا بَنِى عَبْدِ مَنَاف ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النارِ ! يا بَنِى هاشِم . أَنقِذُوا أَنفسكم مِنَ النارِ !

---

(١) «وأَشَاحَ» : صرف وجهه كالخائف أن تناله . قال الخليل : أشاح بوجهه عن الشيء نحاه عنه ، وقيل : معناه أقبل على أصحابه يخاطبهم بعد أن أعرض عن النار عند ذكرها .

(٢) معناه أنه كرر الأمر باتقاء النار مع إعراضه وإشاحته ثلاث مرات .

فى الحديث (من الفوائد) : الحث على الصدقة ، وأنه لا ينبغى احتقار القليل منها ؛ وإنما تقع الصدقة موقعها إذا كانت من الكسب الحلال . ولم يكن معها منٌّ ولا أذى .

(٣) قوله هنا وفيما بعده : «أَنْقِذُوا أَنفُسَكُمْ مِنَ النارِ» ، معناه ابتعدوا عن النار بفعل الوسائل التى تحول بينكم وبينها ، وذلك بالإيمان بالله وبرسوله وبكتابه . وبفعل الخير ، فإن فيه الفلاح والوقاية من العذاب .

يا بَنِى عَبْدِ المُطَّلِبِ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النارِ ! يا فَاطِمَةُ ، أَنْقِذِى نَفْسَكِ مِنَ النارِ . . . فإِنِّى لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شيئاً(١) ، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِماً سَأَبِلُّهَا بِبِلَالِهَا »(٢) .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم) .

وعنْ أَنَس رضىَ اللهُ عنهُ ، عَنْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَنَّهُ قالَ : « والَّذِى نَفْسِى بيَدِهِ ، لَوْ رَأَيْتُمْ ما رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كثيرًا » ! قالُو : وَمَا رَأَيْتَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « رأَيْتُ الجنةَ والنارَ » .

(رواه مسلم) .

---

(١) وأما شفاعته صلى الله عليه وسلم لمن استحق دخول النار ألا يدخلها ، وشفاعته فيمن دخل النار أن يخرج منها ، فذلك خاص بالمؤمنين ، لايتعداهم إلى الكافرين . ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يملك أن يشفع فى الكافرين أن يخرجوا من النار لقوله تعالى : « إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » .

(٢) المراد أن لكم رحماً وقرابة منّى ، سأصلها فى الدنيا ، ولا أستطيع أن أنفعها عند الله عز وجل . ومعنى قوله : « سأَبلها ببلالها » ، سأندبها بوصلها وعدم قطيعتها . قال فى النهاية : وهم يطلقون النداوة على الصلة ، كما يطلقون اليُبْس على القَطيعة ، لأنهم لما رأوا بعض الأشياء يتصل ويختلط بالنداوة ، ويحصل بينها التفرق والتجافى باليُبْس ، استعاروا البلل لمعنى الوصل ، واليبس لمعنى القطيعة . قال : والبلال جمع بَلَل ، وقيل : هو كل ما بل الحلق من ماء أو لبن أو غيره . اهـ . وقال صاحب المطالع : قوله « ببلالها » ، رويناه بكسر الباء وفتحها ، من بَلّه يبله ، والبلال الماء .

الفصل الثانى

«نارُ الدنيا جُزْءٌ مِنْ سبعينَ جُزْءًا مِنْ نارِ جهنم»

عنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى اللهُ عنه أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «نَارُكُمْ جزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ (١)» ، قِيلَ : يا رَسُولَ اللهِ ، إنْ كَانَتْ لَكَافِيةٌ (٢) ! قالَ : «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ (٣) بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا ، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا (٤)» .

(رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى) .

---

(١) فى رواية لأحمد : «مِنْ مِائَةِ جُزْءٍ» ، ويجمع بينه وبين حديث البخارى بأن المراد المبالغة فى الكثرة لا العدد الخاص ، والله أعلم .

(٢) «إنْ» هى المخففة من الثقيلة ، والمعنى : إن نار الدنيا كانت مجزئة لتعذيب العصاة .

(٣) أى على نيران الدنيا ، قال الطيبى : إنما أعاد صلى الله عليه وسلم ذكر تفضيل نار جهنم على نار الدنيا ،إشارةً إلى المنع من دعوى أن نار الدنيا تكفى عنها فى حصول المقصود : وهو تعذيب العصاة ، أى لابد من الزيادة على نار الدنيا ، ليتميز ما يصدر من الخالق على ما يصدر من المخلوق .

(٤) زاد أحمد وابن حبان : «وضربت — أى نار الدنيا — بالبَحْر مرتين ، ولولا ذلك ما انتفعَ بها أحدٌ»

الفصل الثالث

«فى شدةِ حَرِّ نار جهنم ، وبُعْدِ قَعْرِهَا ، وما تـأْخُذُه مِنَ المُعَذَّبِينَ »

قال تعالى فى سورة القارعة : «وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ » ٨ ، ٩ ، ١٠ .

عن عبدِ اللهِ بن مسعود قَالَ ، قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم : «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذ ، لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَام ، مَعَ كُلِّ زمَام سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا » . (رواه مسلم) .

عنْ سَمُرَةَ بنِ جُنْدُب أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «مِنْهُمْ (٢) مَنْ تَأْخُذُهُ النارُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تـأْخُذُهُ النارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النارُ إِلَى حُجْزَتِهِ (٣) ، وَمِنْهُمْ مَنْ تـأْخُذُهُ النارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ (٤) » !! (رواه مسلم) .

---

(١) أى فمسكنه ومأْواه النار . وقيل للنار : «أُمُّهُ» ، لأَنه لا مأْوى له غيرها .

(٢) أى من أهل النار .

(٣) أى إلى وسطه ، يقال : احتجز الرجل بإزاره ، شده فى وسطه وحُجْزَةُ الإزار مَعْقِده ، وحجزة السراويل مجمع شده ، والجمع حُجَز ، مثل غرفة وغُرَف .

(٤) الترقوة : هى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين ، والجمع التراقى .

الفصل الرابع

«ما جاء فى شراب أهل النار»

قال تعالى فى سورة القتال : «وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ» .

وقال تعالى فى سورة الكهف: «وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا» ! !

وقال تعالى فى سورة إبراهيم : «وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ، يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ» !

عن أبى سعيدٍ رضى الله عنه ، عن النبىِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فى قولِهِ تعالى : «كالْمُهْلِ» ، قالَ : « كَعَكَرِ الزَّيْتِ ، فَإِذَ قُرِّبَ إِلَى وَجْهِهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ »(١) !

(رواه أحمد والترمذى)(٢) .

---

(١) أى سقطت جلدة وجهه فى المهل .

(٢) وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد ؛ وقد تكلم فيه اهـ . وقد رواه ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم من طريق آخر ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

الفصل الخامس

«ما جاء فى طعام أهل النار»

قال تعالى فى سورة الدخان: «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَثِيمِ . كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ . كَغَلْيِ الْحَمِيمِ» (١) . الآيات ٤٣-٤٦

وقال تعالى فى سورة المزمل : «إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيماً . وَطَعَاماً ذَا غُصَّة وَعَذَاباً أَلِيماً» (٢) الآيتان ١٢ ، ١٣ .

وقال تعالى فى سورة الغاشية : «لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٣) . لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ» الآيتان ٦ ، ٧ ،

عن ابنِ عباس رضى اللهُ عنهما ، أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . قَرَأَ هذِهِ الآيَةَ : «اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (سورة آل عمران ، من الآية ١٠٢) .

قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ

---

(١) «الزَّقُّوم» : شجرة خبيثة ينبتها الله فى نار جهنم . «الأَثِيم» : الفاجر المتمرد على ربه عز وجل . «المُهْل» : يطلق على عكر الزيت ، وعلى القيح والصديد ، وعلى النحاس المذاب . «الحميم» : الماءُ الشديد الحرارة .

(٢) «أَنْكَالًا» : قيودًا ثقالًا ، جمع «نِكْل» بكسر النون وسكون الكاف . «جحيماً» : نارًا شديدة الإحراق . «طعاماً ذا غُصَّة» : يَغَص به آكله ، وهو شوك من نار ، لا يخرج ولا ينزل .

(٣) «الضَّريع» : نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه .

فى دار الدُّنْيَا لأفْسَدَتْ على أَهْلِ الدنيا مَعَايِشَهُمْ ، فكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طعامَه »(١) ؟

(رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح) .

عن أبى الدَّرْدَاءِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : «يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النارِ الجوعُ ، فَيَعْدِلُ(٢)ماهُمْ فيهِ مِنَ العذابِ ، فيستَغِيثُونَ ، فَيُغَاثُونَ بطعامٍ مِنْ ضَريعٍ ، لايُسْمِنُ ولايُغْنِى مِنْ جوعٍ ، فيَسْتَغِيثون ، فَيُغَاثون بطعامٍ ذِى غُصَّةٍ ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كانوا يُجِيزُونَ (٣) الغُصَصَ فى الدُّنْيَا بالشَّرابِ ، فيستغيثون بالشراب ، فَيُرْفَعُ إليهم الحَمِيمُ بكَلَالِيبِ الحديدِ ، فإذا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وُجُوهَهُمْ ، فإذا دَخَلَتْ بطونَهُمْ قَطَّعَتْ ما فِى بطونِهِمْ ، فيقولونَ : ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ(٤) ، فيَقُولُون : «أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قالوا : بَلَى : قَالوا : فَادْعُوا وما دُعَاءُ الكافِرِينَ إِلَّا فى ضلالٍ» (سورة غافر ، الآية ٥٠) ، قالَ ، فيقولون : ادْعُوا مالِكاً ، فيقولون : «يا مالِكُ ،

---

(١) أى بمن يكون الزقوم طعامه على الدوام .

(٢) أى يماثله فى الشدة ويساويه .

(٣) يسيغونها .

(٤) أى من الملائكة ليشفعوا لهم فى تخفيف العذاب ، فتوبخهم الملائكة ، وتمتنع عن الشفاعة لهم . وما دعاء الكافرين برفع العذاب أو تخفيفه إلا فى ضلال ، أى فى ذهاب وخسران

لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ » ، قال : فَيُجِيبُهُمْ : « إِنَّكُمْ مَا كِثُونَ »(١) ، قالَ الأَعْمَشُ أَحَدُ رُوَاةِ هذا الحديثِ : نُبِّئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ أَيَّامَ أَلْفِ عام (٢) . قالَ : فيقولون : ادْعُوا رَبَّكُمْ ، فلا أَحَدَ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فيقولون : «رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » ، قالَ : فَيُجِيبُهُمْ : « اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (٣) » ، قالَ : فعِنْدَ ذلِكَ يَئِسُوا (٤) مِنْ كُلِّ خيرٍ ، وعِنْدَ ذلِكَ يَأْخُذُونَ فِي الزَّفِيرِ (٥) والْحَسْرَةِ والْوَيْلِ

(رواه الترمذى وقال : قال عبدُ الله بنُ عبدِ الرحمن : والناسُ لا يَرْفعون هذا الحديث . قال أبو عيسى : إنما يعرف هذا الحديث عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء قوله : « وليس بمرفوع » ، وقطبة بن عبد العزيز — الراوى عن الأعمش — هو ثقة عند أهل الحديث .

---

(١) طلبوا من مالك رئيس خزنة النار من الملائكة : أن يميتهم الله فيستريحوا من سوء العذاب ، فأجابهم : إنكم ما كثون ، أى مخلدون فى النار ، لا تموتون فتستريحوا من ألم العذاب ، ولا تحيون حياة هادئة . والآية رقم ٧٧ من سورة الزخرف .

(٢) « الأعمش » : هو أحد رجال سند هذا الحديث . قيل : إن العدد على ظاهره وقيل : إنه يسكت عن جوابهم مدة ، فيتألمون لهذا الإعراض ألم من يعذب ألف عام .

(٣) « اخْسَئُوا فِيهَا » : اسكتوا سكوت ذلة وهوان . « وَلَا تُكَلِّمُون » : فى رفع العذاب عنكم أو تخفيفه . والآيات من سورة المؤمنون ١٠٦ — ١٠٨ .

(٤) انقطع رجاوهم فى رفع العذاب أو تخفيفه .

(٥) « الزفير » : هو أول نهيق الحمار ، ويقابله « الشهيق » : وهو آخره . وقيل : هما إخراج النفس ورده ، قال تعالى : « فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ » (سورة هود ، الآية ١٠٦) .

الفصل السادس

«ما يقال للكافر يوم القيامة»

عَنْ قَتَادَةَ : حدَّثَنَا أَنَسُ بنُ مالكٍ رضى الله عنه أَنَّ النبىَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يقولُ : «يُجَاءُ بالكافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ فيُقَالُ لهُ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرضِ ذهباً ، أَكُنْتَ تَفْتَدِى بِهِ ؟ . فيقولُ : نَعَمْ ، فيقَالُ له : قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ (١) مِنْ ذَلِكَ» .

(رواه البخارى ومسلم ، وهذا لفظ البخارى) .

---

(١) أى وهو التوحيد ، فأبيت إلا أن تشرك بالله عز وجل . وفى معنى هذا الحديث قول الله عز وجل فى سورة الزمر : «وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» .الآية ٤٧ . وقوله تعالى فى سورة آل عمران : «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» ، الآية ٩١ . وقوله تعالى فى سورة المائدة : «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النارِ وما هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ» ؛ الآيتان ٣٦ ، ٣٧ .

ثم إن هذا القول المذكور فى الحديث ، يحتمل أن يكون فى الموقف ، ويحتمل أن يكون فى جهنم ، والله أعلم .

الفصل السابع

« طلبُ الإستعاذةِ من النار »

عن ابنِ عباس رضى الله عنهما أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاء كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السورةَ مِنَ القرآنِ : « قولُوا : اللَّهُمَّ إنِّى أعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَأعُوذُ بكَ من عَذَابِ القَبْرِ ، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيخِ الدَّجَّالِ ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا والمَمَاتِ » .

(رواه مالك ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى) .

عن أنَسِ بن مالِك رضى الله عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ سألَ اللهَ الجنةَ ثلاثَ مرَّاتٍ ، قالتِ الجنة : اللَّهُمَّ أدخِلْهُ الجنةَ . ومَن اسْتَجَارَ مِنَ النارِ ثلاثَ مَرَّاتٍ ، قالتِ النارُ : اللَّهُمَّ أجِرْهُ مِنَ النارِ » .

(رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، ولفظهم واحد ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد) .

عن أنس رضى الله عنه قال : كان أكثر دعاءِ النبى صلى الله عليه وسلم : « رَبَّنَا آتِنَا فى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .
(رواه البخارى) .

القسم الرابع

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

كتاب
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ورسالته
وفيه أبواب

الباب الأول

«ما بعث به صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم»

قال اللهُ تعالى فى سورة آل عِمْرَان : «لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِين» ، الآية ١٦٤ .

وقال تعالى فى سورة الأنعام : «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ، أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاق نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بالَّتِى هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، لَا نُكَلِّفُ نَفْسَا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْا كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» ، الآيات ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

عن أَبِى هريرةَ رضى اللهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»(١) قِيلَ : يا رسولَ اللهِ ، ومَا هُنَّ ؟ قالَ : «الشِّرْكُ باللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا . وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ(٢) . وقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»(٣) .

(رواه الشيخان . واللفظ لمسلم فى باب «بيان أن الشرك أقبح الذنوب ، من كتاب الإيمان»).

عنْ عَمْرو بنِ شرَحْبيلَ قالَ ، قالَ عبدُ اللهِ(٤) ، قالَ رجَلٌ : يارسولَ اللهِ ، أَىُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ ؟ قَالَ : «أَنْ تَدْعُوَ لِلهِ نِدًّا (٥) وَهُوَ خَلَقَكَ» ، قَالَ : ثُمَّ أَىٌّ ؟ قَالَ : «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» ، قَالَ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَىٌّ؟ قَالَ : «أَنْ تُزَانِى حَلِيلَةَ جَارِكَ» (٦) ،

---

(١) المهلكات ، لأنها تودى بأصحابها فى النار . وتخصيص هذه السبعة بالذكر ، لأنها أمهات المعاصى وأصولها .

(٢) «التولى يوم الرحف» ، المراد به القرار من صفوف المجاهدين وقت لقائهم العدو .

(٣) أى نسبة المرأة العفيفة المومنة إلى الزنا كذبا وزورا . و «الغافلات» التى لايخطر على بالهن الفواحش .

(٤) هو ابن مسعود رضى الله عنه .

(٥) أى شريكا .

(٦) حليلة الجار زوجته . والزنا كله قبيح ، بحليلة الجار وغيرها ، وإنما خص الجار بالذكر لعظم حقه .

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ تَصْدِيقَهَا : «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً »(١) .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم فى باب «أى الذنب أعظم عند الله ، من كتاب الإيمان ») .

عن أَبِى هريرَةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثاً : فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ(٢) اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ(٣) . وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ(٤) ، وكثرةَ السُّؤَالِ(٥) وإضاعةَ المالِ(٦)

(رواه مسلم وأحمد) .

---

(١) هذه الآية جاءت فى أوصاف عباد الرحمٰن ، الذين يحبهم الله عز وجل ويقربهم ، وهى فى سورة الفرقان (الآية ٦٨) . والأثام بفتح الهمزة : العذاب الشديد .

(٢) حبل الله : دين الله .

(٣) ولى الأمر هو الحاكم ، عاما كان أو خاصا ، ومناصحته : طاعته فى المعروف ، وإرشاده إلى ما عسى أن يكون قد خفى عليه من طرق الخير . ومعاملته على هذا الوجه مما تسعد به الرعية جميعها .

(٤) أى كثرة الكلام فيما لايفيد

(٥) أى عما لافائدة فيه .

(٦) أى إنفاقه فى المعاصى والكماليات .

عن أَبِى هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ : «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ(١) الأَخْلَاقِ» .

(رواه أحمد وابن سعد بسند صحيح ، ورواه مالك بلاغاً بلفظ : «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الأَخْلَاقِ» .

عن أَبِى هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ(٢) وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (رواه مسلم) .

عن أَبِى هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «لَاتَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا(٣) ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ(٤) ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ ،

---

(١) بعث صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وغيرها من أصول الدين وفروعه ، والتنصيص على الأخلاق الصالحة بالذكر لبيان أهميتها وجلال شأنها لتوقف اصلاح الأمة عليها أفرادًا وجماعات .

(٢) المراد أن الله عز وجل لاينظر إلى الظاهر فقط ، ولكن ينظر إلى الظاهر والباطن جميعاً ، ويرتب عليهما الجزاء : إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر . والمراد بنظر الله مثوبته .

(٣) التجش ، بفتح فسكون : أن يزيد فى ثمن السلعة لا لقصد شرائها ، ولكن ليضر من يريد شراءها .

(٤) صورته : أن يبيع محمد لخالد بثمن معين ، فيأتى شخص ثالث ويقول للمشترى وهو خالد : أبيعك مثل هذه السلعة بأقل مما اشتريت به من محمد ، فيرضى خالد ، وعلى هذا يكون الثالث قد باع لخالد على بيع أخيه وهو محمد . والنهى عنه لما فيه من الضرر . ومثل البيع على البيع فى التحريم ، الشراء على الشراء ، وصورته : أن يبيع محمد لخالد السلعة بعشرين مثلًا ، فيأتى ثالث ويقول للبائع وهو محمد : أنا أشتريها منك بثلاثين .

لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ . التَّقْوَى هَا هُنَا — وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثلاثَ مَرَّاتٍ — بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخاهُ الْمُسْلِمَ[١] . كُلُّ المسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » .

(رواه مسلم ، فى كتاب البر والصلة والآداب) .

عن جابر بنِ عبدِ اللهِ ، أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القيامَةِ ! واتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حملَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ ! » .

(رواه مسلم ، فى باب تحريم الظلم ، من كتاب البر والصلة) .

عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «عليكُمْ بالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ . وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى[٢] الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً ، . وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلى الفُجُورِ ، وإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِى إِلى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يكذب ويَتَحَرَّى الكَذِبَ حتى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً » .

(رواه الشيخان) .

---

(١) أى لو لم يكن فى المرء من خصال الشر إلا أنه يحقر أخاه المسلم . لكفى بذلك إثماً وضلالاً .

(٢) أى يجتهد فى أن يتخلق به .

عن ابنِ عُمَرَ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بالْجَارِ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ»(١) !

(رواه الشيخان) .

عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ ، أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «عُذِّبَت امْرَأَةٌ فِى هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النارَ ، لَاهِىَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ هِىَ حَبَسَتْهَا ، وَلَا هِىَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»(٢) !

(رواه الشيخان) .

عن جُنْدُب بنِ عبدِ اللهِ قال : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «قالَ رَجُلٌ : وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ ، فقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ ذَا الَّذِى يَتَأَلَّى عَلَىَّ(٣) أَلَّا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ ! إِنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»(٤) .

(رواه مسلم) .

عن أَبِى هريرةَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا ، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» .

(رواه مسلم) .

---

(١) أى سيجعله من ضمن الورثة . وفى الحديث بيان أن حق الجار عظيم كحق ذوى القربى الوارثين .

(٢) خشاش الأرض هوامها وحشراتها . وفى الحديث الحث على الرفق بالحيوان .

(٣) أى يحلف على ألَّا أغفر لفلان ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً .

(٤) أى قد غفرت لفلان المذنب ، لأنه يرجو رحمتى ويخاف عذابى ، وأبطلت عمل الذى حلف علىَّ ألَّا أغفر له ، لغروره واجترائه على ربه عز وجل .

عن أَبى هريرةَ رضى اللهُ عنهُ قالَ : سُئِلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ أَكْثَرِ مَايُدْخِلُ النَّاسَ الجنةَ ، قالَ : «تَقْوَى اللهِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ الناسَ النارَ ، فَقَالَ : «الفَمُ[1] والفَرْجُ» .

(رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح) .

عن أَبى سعيد الْخُدْرِىِّ رضى اللهُ عنهُ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ»[2] (رواه مسلم)

عن أَبى هريرةَ رضى اللهُ عنهُ عنِ النبىِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «دَعُونِى مَا تَرَكْتُكُمْ ، إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِم[3] ،

---

(١) الفم : المراد به الجنايات التى تصدر عن اللسان ، كالكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور .

(٢) أى أقل مراتب الإيمان .

(٣) كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يتصل بمهمته كرسول يبلغهم شريعة الله ، وربما سألوه تعنتاً أو تشديدًا على أنفسهم فى الدين . فنهاهم الله عز وجل عن مثل هذه الأسئلة بقوله : «لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ» . كما نهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فى هذا الحديث . ومن أمثلة ذلك فى السابق واللاحق : سؤال قوم موسى عن البقرة ، وتعنتهم فيه ، حتى شدد الله عليهم . وسؤال بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم عن الحج : أفرض هو فى كل عام ؟ فقال : «لو قلت نعم لوجب ، ولما استطعتم» . وسؤال بعضهم : من أبى ؟ فقال له : «أبوك حذافة» ! وبعضهم : أين أبى ؟ فقال : «أبوك فى النار» .

وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ! فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » .

(رواه الشيخان) .

عنْ أَبِى هريرةَ رضىَ اللهُ عنهُ ، أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُور مَنْ تبعَهُ ، لا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنَ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ . لَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ آثامِهِمْ شَيْئًا » .

(رواه مسلم) .

عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضى اللهُ عنهما . أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قَالَ : «كُلكُمْ راعٍ ومَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : فَالأَمِيرُ الذِى عَلَى الناسِ راعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، والرجلُ راع على أَهْلِ بيتِهِ ، وهوَ مَسْئُولٌ عنهُمْ ، والمرأةُ راعيةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ ، وهِىَ مَسْئُولةٌ عَنْهُمْ ، والعَبْدُ راع عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ . أَلَا فَكُلُّكُمْ راعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » .

(رواه الشيخان وغيرهما ؛ واللفظ للبخارى) .

عنِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ رضىَاللهُ عنهما ، عنِ النبىِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «مَثَلُ القائمِ فى حُدودِ اللهِ والواقِعِ فِيها ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا(١) عَلَى سَفِينَةٍ ، فصارَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا ، وبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، وكانَ الَّذِينَ

(١) استهموا على سفينة : أى اقترعوا على المنفعة بطبقاتها ، لاشتراكهم فيها .

فى أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فى نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ! فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً ، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً »[1] .

(رواه البخارى) .

عنِ العِرْباضِ بنِ سَارِيَةَ رضى اللهُ عنهُ قالَ : وَعَظَنَا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، وَجِلَتْ[2] مِنْهَا القُلُوبُ ، وذَرَفَتْ[3] مِنْهَا العُيونُ ! فقُلْنَا : يا رسولَ اللهِ ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ ، فَأَوْصِنَا . قالَ : «أُوصيكُمْ بتَقْوَى اللهِ ، والسَّمْعِ والطاعَةِ ، وإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ[4] عَبْدٌ حَبَشِىٌّ ! وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اختلافاً كثيراً ! فعليكُمْ بسُنَّتى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنواجِذِ[5] . وإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » .

(رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح) .

---

(١) الأخذ على الأيدى : كناية عن الكف بالفعل إن لَمْ ينجح القول . هكذا إقامة الحدود ، يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه . وإلا هلك الجميع : العاصى بمعصيته ، والمتقاعد عن الزجر بالرضا والإهمال ، كما يشعر به قوله تعالى: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً » (سورة الأنفال ٢٥) .

(٢) وجلت ، بفتح أوله وكسر ثانيه : خافت .

(٣) ذرفت منها العيون : أى سال دمعها . والفعل من باب ضرب .

(٤) أى صار أميرا عليكم .

(٥) أى تمسكوا بها كل التمسك . يقال : عضه . وعض به . وعض عليه : كله بمعنى واحد . والنواجذ ، جمع ناجذ ، وهو آخر الأضراس : وللإنسان أربعة نواجذ فى أقصى الأسنان .

عن جابرِ بن عبدِ اللهِ قالَ : جاءت ملائكةٌ إلى النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وَهُوَ نائِمٌ ، فقالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وقالَ بعضُهُمْ : إنَّ العيْنَ نائمةٌ والقلبَ يَقْظَان . فَقَالوا : إنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا ، فاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا . فقَالُوا : مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُل بَنَى دَارًا ، وجَعَلَ فيهَا مَأْدبةً [١] ، وَبَعَثَ دَاعِياً . فَمَنْ أجابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المأْدَبَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المأْدَبَةِ . فقالُوا : أَوِّلُوهَا له يَفْقَهْهَا . فقالَ بَعْضُهُمْ : إنه نائِمٌ ، وقال بعضُهُمْ : إنَّ العينَ نائمةٌ والقلبَ يَقْظَان . فقالوا : فالدَّارُ الجنةُ ، والدَّاعِي محمدٌ صلى الله عليه وسلم : فمن أطاعَ مُحمدًا صلى الله عليه وسلم ، فقدْ أطاعَ اللهَ ، ومنْ عَصَى محمدًا صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللهَ ؛ ومحمدٌ صلى الله عليه وسلم فَرَّقَ بَيْنَ الناسِ [٢] .

(رواه البخارى فى باب الاقتداء بِسُنَنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كتاب الاعتصام) .

عن أَبِى موسى ، عنِ النبى صلى الله عليهِ وسلم قال : «إنَّمَا مَثَلِى ومَثَلُ مَا بَعَثَنِى اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُل أَتَى قَوْماً ، فقالَ : يا قوم ، إنِّى

---

(١) المأْدبة : بضم الدال وفتحها : الطعام الذى يدعى إليه الناس .

(٢) فرق بتشديد الراء ، معناه : فصل بين المحق والمبطل ببيان الحلال من الحرام . ورواه بعضهم «فرق» ، بفتح أوله وسكون ثانيه ، ومعناه : أنه صلى الله عليه وسلم فارق بين الناس وفاصل بينهم . والفعل من باب قتل على الأفصح ، ومن باب ضرب أيضا ، ومعناه : الفصل والتمييز .

رأَيْتُ الجيْشَ بعَيْنِى ، وإنِّى أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ (١) ، فالنَّجَاءَ (٢) . فأَطاعَهُ طائفةٌ مِنْ قومِهِ ، فأَدْلجُوا (٣) ، فانطَلَقُوا علَى مَهْلِهِمْ ، فَنَجَوْا ، وكَذَّبَتْ طائفةٌ منهمْ ، فأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ ، فصَبَّحَهُمْ الجَيْشُ ، فَأَهْلَكَهُمْ واجْتَاحَهُمْ (٤) . فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِى واتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ ، ومَثَلُ مَنْ عَصَانِى وكَذَّبَ ماجِئْتُ بِهِ مِنَ الحقِّ ! » .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى ، فى باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب الاعتصام) .

---

(١) العريان ، بضم العين المهملة والراء الساكنة ، من التعرى : وهو التجرد من الثياب . وهو مثل سائر ، يضرب لشدة الأمر ، ودنو المحظور ، وبراءة المحذر عن التهمة . وأصله أن الرجل كان إذا رأى العدو قد هجم على قومه تجرد عن ثوبه ، وجعل على رأسه خشبة ؛ وصاح ليأخذوا حذرهم .

(٢) أى الإسراع .

(٣) ساروا أول الليل .

(٤) استأصلهم .

الباب الثانى

« فى عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وختم النبوة به »

قال اللهُ تعالى فى سورة الأعراف : « قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً . الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوات والأَرْضِ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ . فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » الآية رقم ١٥٨ .

وقال تعالى فى سورة الأنبياء : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » . الآية رقم ١٠٧ .

وقال تعالى فى سورة الفرقان : « تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا » الآية رقم ١

وقال تعالى فى سورة سَبَأ : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » . الآية رقم ٢٨ .

وقال تعالى فى سورة الأحزاب : « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً » . الآية رقم ٤٠ .

عن أَبِى هريرةَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ (١) ، ونُصِرْتُ

(١) الكلمات القليلة ذات المعانى الكثيرة .

بالرُّعْبِ(١) ، وأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ ، وجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا ومَسْجِدًا ، وأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً ، وخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ » .

عن أَبي حازم ، قالَ : قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ(٢) ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ(٣) الأَنبياءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ ، وإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وسيكُونُ خُلَفَاءُ فيكْثُرُونَ »(٤) ، قالُوا : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قالَ : « فُوا(٥) بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فالأَوَّلِ ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ ، فَإِنَّ اللهَ سائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ » .

(رواه الشيخان) .

عن أَبي هريرةَ رضى اللهُ عنه ، أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ مَثَلِي ومَثَلَ الأَنبياءِ مِنْ قَبْلِي ، كَمَثَلِ رجُلٍ بَنَى بَيْتاً فأَحْسَنَهُ وأَجْمَلَهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ(٦) مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يطوفونَ بهِ

---

(١) الرعب ، بضم أوله وسكون ثانيه : الخوف يقذفه الله فى قلوب أعدائه صلى الله عليه وسلم ، فيكون من ذلك نصره وهزيمتهم .

(٢) أى جالسته ولازمته لأخذ الحديث عنه هذه المدة .

(٣) ترعاهم وترشدهم وتقودهم إلى الخير .

(٤) أى سيكون عدة خلفاء فى وقت واحد ، يدّعى كل منهم أن له حق الطاعة .

(٥) فعل أمر من الوفاء ، والمعنى : وفُّوا بعهد السابق لا اللاحق ، لأنه يعتبر خارجا عن الخليفة الشرعى .

(٦) بفتح أوله وكسر ثانيه : الطوبة تصنع من الطين ، وجمعها لبن ، بفتح اللام وكسر الباء .

ويَعْجَبُونَ لهُ ، ويقولون : هَلَّا وَضَعْتَ هذِهِ اللَّبِنَةَ ! قالَ : فأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خاتَمُ النَّبِيِّينَ » .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى فى باب «خاتم النبيين كتاب المناقب» ، ومسلم أخرجه فى الفضائل) .

الباب الثالث

«فى دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحى عليه»

وفيه فصلان

الفصل الأول

«منعه صلى الله عليه وسلم من كشف ما يجب ستره من جسده الشريف»

عن عَمْرِو بن دِينار قالَ: «سَمِعتُ جابِرَ بْنَ عبدِ اللهِ يُحَدِّثُ: أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه و سلَّمَ كانَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ الحجارَةَ لِلكَعْبَةِ، وَعَلَيْهِ إزارُهُ، فَقَالَ لَهُ العَبَّاسُ عَمُّهُ» يا ابن أخي: لَوْ حَلَلْتَ إزارَكَ فَجعَلْتَهُ على مَنْكِبَيْكَ[1] دُونَ الحِجارَةِ؟ قالَ: فَحَلَّهُ. فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبِهِ، فَسَقَطَ[2] مَغْشِيًّا عَلَيْهِ! قالَ: فَمَا رُؤِىَ بَعْدَ ذلِكَ اليومِ عُرْياناً».

(رواه الشيخان، واللفظ لمسلم).

---

(١) «فجعلته على منكبك دون الحجارة»، أشار عليه العباس أن يضع إزاره بأعلى كتفه حتى لا يصيبه أذى بسبب مس الحجارة وخشونتها.

(٢) «فحله فجعله على منكبه. فسقط مغشيا عليه»: استمع النبي صلى الله عليه وسلم لنصيحة عمه، فحلَّ إزاره وجمعه على كتفه، فبدت عورته، فناداه ملك أن استر عورتك فسقط صلى الله عليه وسلم على الأرض حين سمع النداء لأول مرة، ولم يكن له به عهد. وهذا الحديث يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان مصوناً قبل البعثة عما يقبح ويستهجن عند أرباب العقول السليمة.

(تنبيه): جابر بن عبد الله لم يحضر بناء الكعبة. والظاهر أنه سمع ما روى فى هذه القصة، إما من النبي صلى الله عليه وسلم، أو من بعض من حضر ذلك من الصحابة، كالعباس رضى الله عنه. فالحديث من قبيل مراسيل الصحابة، وهى حجة عند الأكثرين والمحققين، بل حكى بعضهم عليه الإجماع. والله أعلم.

الفصل الثاني

«في بيان صفةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، وشهادةِ الأحْبار والرهبانِ بنبوتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم»

قال الله تعالى في سورة البقرة : «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» . الآية رقم ١٤٦ .

وقال تعالى في سورة الأعْرَافِ : «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ، وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ، وَعَزَّرُوهُ ، وَنَصَرُوهُ ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» . الآية ١٥٧ .

وقال تعالى في سورة الصف : «وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ : يا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا : هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ» ! الآية ٦ .

عن أَنَسٍ أَنَّ غُلَاماً يهودياً كانَ يَخْدِمُ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فمَرِضَ ، فأَتَاه النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَعُودُهُ ، فَوَجَدَ أَبَاهُ عِنْدَ رأْسِهِ يقرأُ التوراةَ ، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «يا يهوديُّ ،

أَنْشُدُكَ بِاللهِ(١) الَّذِى أَنْزَلَ التوراةَ على موسَى ، هَلْ تَجِدُ فى التوراةِ نَعْتِى وَصِفَتِى وَمَخرَجِى »(٢) ؟ قال : لَا . قالَ الفتَى : بلَى واللهِ يا رسولَ اللهِ ، إنَّا نَجِدُ لَكَ فى التوراةِ نَعْتَكَ وصِفَتَكَ ومخرجَكَ ، وإنِّى أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّكَ رسولُ اللهِ.. فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم لأَصْحَابِهِ : «أَقِيمُوا هَذَا(٣) مِنْ عند رأْسِهِ ، وَلُوا أَخاكُمْ(٤) » .

(رواه البيهقى فى دلائل النبوة) .

وعنْ عطاءِ بنِ يَسَارٍ قالَ : لَقِيتُ عبْدَ اللهِ بنَ عمرِو بنِ العاص ، قلْتُ : أَخبِرْنى عنْ صِفَةِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ فى التوراةِ ؟ قالَ : «أَجَلْ(٥) ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوصُوفٌ فى التوراةِ ببعضِ صِفَتِهِ فى القرآنِ : (يـأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا(٦) وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) ، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ(٧) ،

---

(١) «أنشدك بالله» : أقسم عليك بالله ، أو أسألك بالله .

(٢) «نعتى» : أى صفتىَ الذاتية التى خلقنى الله عليها . «وصفتى» : أى الأخلاق التى أتحلى بها . «ومخرجىَ» : أى مكان خروجى أو زمانه فى الولادة والبعثة والهجرة .

(٣) أى أباه .

(٤) «ولوا أخاكم» : تولوا تجهيزه وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، وهو فعل أمر من «ولى الشىء يليه» إذا تولاه وقام بأمره .

(٥) «أجل» ، بفتحتين وسكون اللام المخففة ، معناه : نعم أخبرك .

(٦) أى مقبولا قولك عند الله .

(٧) سورة الأحزاب . الآية ٤٥ : أى حصنا للعرب من غوائل الشيطان . سمى العرب أميين ، لأن أغلبهم لا يقرأون ولا يكتبون . ويجوز أن يكون المعنى : وحصناً لأمتك من عذاب الاستئصال . وصفت الأمة بالأمية لكون رسولها صلى الله عليه وسلم أميا . وقد تمسك=

أَنْتَ عَبْدِى وَرَسُولِى سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ . لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ[١] فِى الأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، ولكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ . ولَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ الْعَوْجَاءَ[٢] ، بِأَنْ يقولُوا : لا إلهَ إلَّا اللهُ . وَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُناً عُمْياً وآذاناً صُمًّا وقُلُوباً غُلْفاً »[٣] .

(رواه البخارى) .

عن عَلِىِّ بنِ أَبِى طالب قالَ : بعثنى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى اليَمَنِ ، فَإِنِّى لأَخْطُبُ يَوْماً علَى الناسِ ، وحِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ اليهودِ[٤] واقِفٌ . فى يدِهِ سِفْرٌ[٥] ينظُرُ فيهِ : فنادَى إلَىَّ فقالَ : صِفْ لَنَا أَبَا القَاسِمِ . فقالَ عَلِىٌّ رضى اللهُ عنهُ : رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

—اليهود بأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث للعرب خاصة : حجة على المعنى الأول . ولا دليل لهم فيه . لأن ذكر العرب لا ينفى أنه رسول الله إلى من سواهم . وقد قال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا » سورة سبأ ، الآية ٢٨ .

(١) السخب بفتحتين : الصياح . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم لين الجانب . كريم الخلق . لا يرفع صوته على الناس . ولا يصيح عليهم .

(٢) المراد ملة إبراهيم عليه السلام . فإنها قد بدلت وغيرت زمن الفترة ، حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقامها .

(٣) المراد من الجمل الثلاث : أن الله يهدى به من ضل عن الحق ، فيبصره به بعد أن كان لا يراه ، ويسمعه إياه بعد الغفلة . ويفقهه فيه بعد أن كان محجوباً عنه .

(٤) أى عالم من علماء اليهود .

(٥) السفر — بوزن حمل — الكتاب .

ليْسَ بالقَصِير ، ولا بالطويلِ البائِن (١) ، ولَيْسَ بالْجَعْدِ القَطَطِ ، ولَا بِالسَّبِطِ (٢) ، هو رَجِلُ الشَّعْر أَسْوَدُ (٣) ، ضَخْمُ الرأسِ ، مُشْرَبٌ لونُهُ حُمْرَةً (٤) ، عظيمُ الكَرَادِيس (٥) ، شَثْنُ الكَفَّيْنِ والقَدَمَيْنِ (٦) ، طويل المَسْرُبة ،]وهو الشعر الذى يكون فى النحر إلى السرة أَهْدَبُ الأَشْفَار (٧) ، مَقْرُونُ الحَاجِبَيْنِ (٨) ، صَلْتُ الجَبين (٩) ، بَعِيد مابَيْنَ المَنْكِبَيْن (١٠) ، إذا مَشَى يَتَكَفَّأُ كأنَّمَا يَنْزِلُ مِنْ صَبَبٍ (١١) ، لم أَرَ قَبْلَه مِثْلَهُ ، ولَمْ

---

(١) أى الزائد فى الطول .

(٢) القطط : الشديد الجعودة ، والجعودة خشونة الشعر وتلبده . والسبط من الشعر : المنبسط المسترسل .

(٣) المراد أن شعره صلى الله عليه وسلم كان وسطا بين الجعودة والسبوطة . أسود اللون .

(٤) المراد أن لونه صلى الله عليه وسلم كان أبيض يميل إلى الحمرة .

(٥) هى رءوس العظام ، واحدها كردوس ، وقيل : هى ملتقى كل عظمين ضخمين ، كالركبتين والمرفقين والمنكبين . أراد أنه ضخم الأعضاء .

(٦) أى أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر . وقيل : الشثن هو الذى فى أنامله غلظ بلاقصر ، ويحمد ذلك فى الرجال ، لأنه أشد لقبضهم . ويذم فى النساء .

(٧) الشفر ، بالضم وقد يفتح : حرف جفن العين الذى نبت عليه الشعر . وفى النهاية : كان صلى الله عليه وسلم أهدب الأشفار ، أى طويل شعر الأجفان . اهـ . وكأنه أراد بالجفن ما عليه من الشعر .

(٨) القرن ، بفتح أوله وثانيه : التقاء الحاجبين ، وفى رواية أخرى : (سوابغ فى غير قرن) . وهى التى عول عليها العلماء فى وصفه صلى الله عليه وسلم ، كما فى النهاية .

(٩) صلت الجبين : أى واسعه . وقيل : الصلت الأملس ، وقيل : البارز . والجبين جانب الجبهة ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، فتكون الجبهة بين جبينين .

(١٠) المنكب : مجتمع رأس العضد والكتف .

(١١) الصبب (بفتحتين) : الموضع المنحدر . ومعنى يتكفأ : يتمايل إلى قدام .

أَرَ بَعْدَه مِثْلَهُ ! قال عليٌّ : ثُمَّ سَكَتُّ ، فقالَ لِيَ الحِبْرُ . وماذَا ؟ قال عليٌّ : هذا ما يَحْضُرُنِي .. قال الحِبْرُ : فى عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ ، حَسَنُ اللِّحْيَةِ ، حَسَنُ الفَمِ ، تامُّ الأُذُنَيْنِ ، يُقْبِلُ جميعاً ويُدْبِرُ جميعاً . فقال عليٌّ : هذِهِ واللهِ صِفَتُهُ . قال الحِبْرُ : وشيءٌ آخرُ . فقال عليٌّ : وما هُو ؟ قال الحِبْرُ : وفِيهِ جَنَأٌ[1] . قال عليٌّ : هو الذِى قُلْتُ لكَ كَأَنَّما ينزلُ مِنْ صَبَب . قال الحِبْرُ : فإنِّى أَجِدُ هذِهِ الصِّفَةَ فى سِفْرِ آبائى ، ونَجِدُهُ يُبْعَثُ مِنْ حَرَمِ اللهِ وَأَمْنِهِ وموضِعِ بَيْتِهِ ، ثُمَّ يهاجِرُ إلى حَرَمٍ يُحَرِّمُهُ هُوَ ، ويكونُ له حُرْمَةٌ كَحُرْمَةِ الحَرَمِ الذى حَرَّمَ اللهُ ، ونجِدُ أنصارَهُ الذِينَ هاجَرَ إِلَيْهِمْ قوماً مِنْ وَلَدِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ ، أَهْل نَخْل ، وأَهْلُ الأَرضِ قبلَهُمْ يَهُود . قال عليٌّ : هُوَ هُوَ ، وهُوَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . فقال الحِبْرُ : فإنى أَشهدُ أنه نبيُّ اللهِ وأنَّهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى الناسِ كافةً ، فَعلى ذلِكَ أَحْيَا ، وعَلَيْهِ أموتُ ، وعَلَيْهِ أُبْعَثُ إنْ شاءَ اللهُ . قالَ : فكانَ يأْتى عَلِيًّا فيُعَلِّمُهُ القرآنَ ويُخْبِرُهُ بشرائِعِ الإسلامِ ؛ ثم خرجَ عليٌّ والحِبْرُ هنالِكَ ، حَتَّى ماتَ فى خِلافَةِ أَبى بكر ، وهُوَ مؤمنٌ برسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُصَدِّقُ بهِ » .

(رواه ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر الأسلمى ، حدثنى عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ، عن أبيه ، عن جده ، عن على ، به : طبقات ابن سعد الكبرى ، جـ٤ ، ص ٤١٢ ، ٤١٣) .

---

(١) الجنأ : ميل فى الظهر ، وقيل : فى العنق ، ورجل أجنأ خفيف العارضين ، وجنا على الشىء يجنو إذا أكب عليه ، وفيه الهمز أيضا ، وجنأ يجنأ إذا مال عليه وعطف . وتفسير الجنأ بالانكباب والميل ، هو المناسب لتفسير على كرم الله وجهه .

عدِيٌّ بنُ حاتِم الطّائِي

عن أَبِي عُبَيْدَةَ عنْ رَجُلٍ ، قالَ : « قلتُ لعدِيِّ بنِ حاتِمٍ[١] : حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ ، قالَ : نَعَمْ ، لَمَّا بَلَغَنِي خروجُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، فكرِهْتُ خروجَهُ كراهةً شديدةً . خرجْتُ حَتَّى وقَعْتُ ناحيةَ الرُّومِ . قالَ : فكرِهْتُ مَكَانِي ذَلِكَ أَشدَّ مِنْ كراهِيَتِي لخُرُوجِهِ . قالَ : فقلتُ : واللهِ لَوْلَا أَتَيْتُ هذَا الرجُلَ ، فإِنْ كان كاذباً لَمْ يَضُرَّنِي ، وإِن كان صادقاً عَلِمْتُ . قالَ : فقدِمْتُ فأَتَيْتُهُ ، فلَمَّا قَدِمْتُ قالَ الناسُ : عدِيُّ بنُ حاتِمٍ ، عدِيُّ بنُ حاتِمٍ ! قالَ : فدخَلْتُ عَلَى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ لِي : يا عَدِيُّ بنَ حاتِمٍ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ (ثلاثاً) . قال ، قلْتُ : إِنِّي على دِينٍ ، قالَ : أَنا أَعْلَمُ بدِينِكَ مِنْكَ ! فقلْتُ : أَنْتَ أَعْلَمُ بدِينِي مِنِّي ؟ قالَ : نَعَمْ ، أَلَسْتَ مِنَ الركُوسِيَّةِ[٢] وأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ[٣] قومِكَ ؟ قلْتُ : بَلَى ، قالَ : فإِنَّ هَذَا لايَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ . قالَ : فَلَمْ يَعْدُ أَنْ قَالَهَا ، فَتَوَاضَعْتُ لَهَا[٤] ! فقالَ : أَمَا إِنِّي

---

(١) عدى بن حاتم : هو عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائى ، صحابى شهير ، ممن ثبت على الإسلام فى الردة ، وحضر فتوح العراق وحروب على ، وكان قبل إسلامه على دين النصرانية . قال ابن القيم : وكان من رؤساء النصارى الذين دخلوا فى الإسلام لما تبين لهم أنه الحق . الرئيس المطاع فى قومه عدى بن حاتم الطائى . اهـ . مات سنة ثمان وستين ؛ عن مائة وعشرين سنة .

(٢) هو دين بين النصارى والصابئين .

(٣) المرباع : ربع الغنيمة ، كان الرئيس فى الجاهلية يأخذه خالصا له .

(٤) أى لم يجاوز النبى صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة حتى تواضعت لها وسلمت وعلمت أنه الحق .

أَعْلَمُ مَا الَّذِى يَمْنَعُكَ مِنَ الإسلام ، تقولُ : إِنَّمَا اتَّبَعَهُ ضَعَفَةُ النَاسِ وَمَنْ لا قُوَّةَ لَهُ ، وقَدْ رَمَتْهُمُ العَرَبُ(١) ! أَتَعْرِفُ الحِيرةَ(٢) ؟ . قلتُ : لَمْ أَرَهَا ، وقَدْ سَمِعْتُ بهَا . قالَ : فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ(٣) حتَّى تخرُجَ الظَّعِينَةُ(٤) مِنَ الحِيرَةِ حتَّى تطوفَ بالبَيْتِ فى غيرِ جوارِ أحدٍ ، ولَيَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى بن هِرْمُزَ ! قالَ : قُلْتُ : كِسْرَى بنُ هِرْمُزَ ! قالَ : نَعَمْ ، كِسْرَى بنُ هِرْمُز ، ولَيُبْذَلَنَّ المالُ حتى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ! قالَ عدىُّ بنُ حاتِمٍ : فهذِهِ الظَّعِينَةُ تخرجُ مِنَ الحِيرَةِ فتطوفُ بالبيتِ فى غيرِ جوارٍ ! ولَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى ابنِ هِرْمُزَ ! والَّذِى نَفْسِى بيدِهِ لتكُونَنَّ الثالثة(٥) ، لِأَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قدْ قَالَهَا » .

(رواه أحمد فى المسند ، ورواته ثقاة ، وفيه راومبهم) .

---

(١) أى نيلتهم لضعفهم .

(٢) الحيرة ، بكسر المهملة وسكون الياء التحتية وفتح الراء : بلد ملوك العرب الذين كانوا تحت حكم فارس .

(٣) أى دين الإسلام .

(٤) بفتح الظاء المعجمة وكسر العين المهملة : المرأة فى الهودج .

(٥) معناه : أنه تحقق وقوع الأمرين الأولين ، وهما أمان الظعينة ، وفتح كنوز كسرى ، وستقع الثالثة ، وهى بذل المال وعدم وجود من يقبله . قيل : إن ذلك قد وقع فعلا على عهد عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى العادل ، وقيل : إن ذلك سيكون فى آخر الزمان ، حينما ينزل عيسى بن مريم عليه السلام ويحكم بشريعته صلى الله عليه وسلم . واستظهر صاحب الفتح المعنى الأول ، لقوله صلى الله عليه وسلم لعدىّ فى بعض الروايات : لئن طالت بك حياة لترينّ المال يبذل حتى لايقبله أحد .

عن عديٍّ بن حاتِم قالَ : جاءتْ خَيْلُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأنَا بعَقْرَب[١] ، فأخَذُوا عَمَّتِي[٢] وناساً . قالَ : فلَمَّا أتَوْا بهمْ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فَصُفُّوا لَهُ ، قالَتْ : يا رسولَ اللهِ ، نَأَى الوَافِدُ[٣] وانْقَطَعَ الوَلَدُ ، وأنَا عَجُوزٌ كَبيرةٌ مابِى مِنْ خِدْمَة ، فَمُنَّ عَلَيَّ مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ ، قالَ : «مَنْ وَافِدُكِ» ؟ قالتْ : عديُّ بنُ حاتم . قالَ : «الذى فَرَّ مِنَ اللهِ ورسولِهِ» ؟ قالتْ : فَمَنَّ عَلَيَّ . قالتْ : فلمَّا رجَعَ ورَجُلٌ إلى جَنْبِهِ ترى أنَّهُ عَلِيٌّ ، قالَ : سَلِيهِ حُمْلَاناً[٤] ، قالَ : فسأَلَتْهُ فأَمَرَ لَهَا . قالَ (أىْ عَدِيّ) : فأَتَتْنِى فقالَتْ : لَقَدْ فَعَلْتَ فَعْلَةً ما كانَ أبُوكَ يَفْعَلُها[٥] ! قالتْ : إيتِهِ راغباً أَوْ راهِباً ، فقَدْ أتاهُ فلانٌ فأَصابَ مِنْهُ ، وأتَاهُ فلانٌ فأَصابَ مِنْهُ . قالَ : فأَتَيْتُهُ ، فإذا عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وصِبْيانٌ أَوْ صَبِيٌّ ، فذكَرَ قُرْبَهُمْ مِنَ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فَعَرَفْتُ أنَّهُ لَيْسَ

---

(١) العقرب ، ويقال العقرباء : منزل من أرض اليمامة ، وكان بعث هذه الخيل بقيادة على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة ، فهدم صنمهم وغنم سبيا ونعما وشاء وفضة ، وكان فى السبى سفانة بنت حاتم أخت عدى بن حاتم ، فمنّ عليها النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك من أسباب إسلام أخيها عدىّ . وأسلمت هى أيضاً وحسن إسلامها .

(٢) الذى ذكره ابن إسحق أن المأخوذ أخته سفانة كما سبق ، وما فى كتب الحديث أصح .

(٣) نأى الوافد : أى بعد الذى يفد إليك من رجالنا .

(٤) أى دابة تحملها إلى بلادها .

(٥) تعنى هربه من مقابلة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وتركها حتى أسرتها الخيل .

مُلْكَ كِسْرَى وَلَا قَيْصَرَ[١] . فقالَ لهُ : « يا عَدِيُّ بنَ حاتِمٍ ، ما أَفَرَّكَ[٢] أَنْ يُقَالَ : لا إلٰهَ إلَّا اللهُ ، فهلْ مِنْ إلٰه إلَّا اللهُ ؟ ما أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ : اللهُ أَكْبَرُ ، فهلْ شيءٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ ؟ » . قَالَ : فأَسْلَمْتُ ، فرأَيْتُ وجْهَهُ اسْتَبْشَرَ ، وقالَ : « إنَّ المَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ اليهودُ ، وإنَّ الضَّالِّينَ النصارَى » ، ثُمَّ سأَلُوهُ[٣] ، فَحَمِدَ اللهَ تعالَى وأَثْنَى عليْهِ ثُمَّ قالَ : « أَمَّا بَعْدُ ، فلكُمْ أَيُّهَا الناسُ أَنْ تَرْضَخُوا مِنَ الفَضْلِ[٤] . ارْتَضَخَ امْرُؤٌ بصَاعٍ أَو ببعضِ صاعٍ ، بقَبْضَة ، ببَعْضِ قَبْضَة » (قالَ شُعْبَةُ : وأَكْثَرُ عِلْمِي أَنَّهُ قَالَ : بتَمْرَةٍ ، بشقِّ تَمْرَة) ، وإنَّ أَحَدَكُمْ لَاقِي اللهَ عزَّ وجلَّ فقائِلٌ ما أَقولُ : أَلَمْ أَجْعَلْكَ سَمِيعاً بَصِيرًا ؟ أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ مالًا وولَدًا ؟ فماذا قَدَّمْتَ ؟ فينظُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، ومِنْ خَلْفِهِ ، وعنْ يَمِينِهِ ، وعنْ شِمَالِهِ ، فلا يَجِدُ شيئاً ، فما يَتَّقِي النارَ إلَّا بوجهِهِ ، فاتَّقُوا النارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ! فإنْ لَمْ تَجِدُوهُ

---

(١) استدل عديٌّ بقرب المرأة والصبي من النبي صلى الله عليه وسلم لقضاء حاجتهما ، على تواضعه وكرمه وحسن خلقه ، وأنه نبي لاملك .

(٢) « ما أفرّك » ، بفتح الهمزة والفاء وتشديد الراء : أى ما الذى حملك على الفرار من لقائى ؟ وقوله : « أن يقال : لا إله إلا الله » هو على حذف همزة الاستفهام ، والتقدير : أَلِأَنْ يقال : « لاإله إلا الله » فررت ؟ فهل من إله غير الله ؟ أَلِأَن يقال : « الله أكبر » فررت ؟ فهل من شيء أكبر من الله عز وجل ؟ .

(٣) أى سأله أناس كانوا عنده صلى الله عليه وسلم المعونة والصدقة ، فرأى رثاثة حالهم ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم رغّب أصحابه فى التصدق عليهم بقدر الطاقة . يدل لما ذكرنا ما جاء فى رواية الترمذى لهذا الحديث : « قال : فبينما أنا عنده عشية ، إذ جاءه قوم فى ثياب من الصوف من هذه الغمار ، فحث عليهم . . . إلخ » .

(٤) معناه : أن تعطوا الفقراء ما زاد عنكم من أموالكم .

فبكَلِمَةٍ طيبةٍ ! إنى لا أَخْشى علَيْكُمُ الفاقَةَ(١) ، لَيَنْصُرَنَّكُمُ اللهُ تعالَى ، وليُعْطِيَنَّكُمْ ، أَوْ ليَفْتَحنَّ لَكُمْ حَتَّى تَسِيرَ الظَّعِينةُ بَيْنَ الحِيرَةِ وَيَثْرِبَ أَوْ أَكْثَرَ ، ما تخافُ السَّرِقَ عَلَى ظَعِينَتِهَا(٢) » .

(رواه أحمد ، واللفظ له ، والترمذى وقال : هذا حديث حسن غريب) .

سَلْمَانُ الفارِسِىُّ(٣)

عن عبدِ اللهِ بن عباسٍ رضى اللهُ عنهما قالَ : (حدَّثَنِى سَلْمَانُ الفارِسِىُّ رضى اللهُ عنه حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ ، قالَ : كُنْتُ رَجُلًا فارِسِيًّا مِنْ

---

(١) الفاقة : الفقر .

(٢) أى لا تخشى اللصوص على مطيتها .

(٣) سلمان الفارسى : هو أبو عبد الله سلمان الخير ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . سئل عن نسبه فقال : أنا سلمان ابن الإسلام . أصله من فارس ، من قرية يقال لها « جَىّ » بفتح الجيم وتشديد الياء ، قرية من قرى أصبهان . وسبب إسلامه مشهور . وقد تضمنه الحديث الأول الذى ذكرناه ، وهو حديث ابن عباس ، وخلاصته : أنه هرب من أبيه ، وكان مجوسيا ، فلحق براهب ، ثم بآخر ، وهكذا ، يصحبهم إلى وفاتهم ، إلى أن دلّه الأخير على الذهاب إلى الحجاز ، وأخبره بظهور النبى صلى الله عليه وسلم ، فقصده مع عرب ، فغدروا به وباعوه فى وادى القرى ليهودى ، ثم اشتراه منه يهودى آخر من قريظة ، فقدم به المدينة ، فأقام بها مدة حتى قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه بصدقة فلم يأكل منها ، ثم بعد مدة أتاه بهدية فأكل منها ، ثم رأى خاتم النبوة ، وكان الراهب الأخير وصف له هذه العلامات الثلاث للنبى صلى الله عليه وسلم ، قال سلمان : فرأيت الخاتم فقبلته وبكيت ، فأجلسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ، فحدثته بشأنى كله ، وفاتنى معه بدر وأُحُد بسبب الرق ، وقال لى : « يا سلمان : كاتب عن نفسك » ، فلم أزل بصاحبى حتى

أهل أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قرية مِنْهَا يقالُ لهَا (جَيّ) . وكانَ أبى دِهْقَان(١) قريتِهِ ، وكنتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إليْهِ ، فلَمْ يَزَلْ بهِ حُبُّهُ إيَّايَ حتّى حَبَسَنِى فى بَيْتِهِ — أىْ مُلَازِمَ النارِ — كما تُحبَسُ الجارِيَةُ ، واجْتَهَدْتُ فى المجوسيَّةِ حتى كنتُ قَطِنَ النار(٢) ، الذى يوقِدُها لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو(٣) ساعةً . قالَ : وكانَتْ لأَبِى ضَيْعَةٌ عظيمةٌ ، قالَ ، فشُغلَ فى بُنْيَانٍ لَهُ يوماً ، فقالَ لِي : يا بُنَيَّ إنِّى قَدْ شُغِلْتُ فى بُنْيَانِى هذَا اليومَ عنْ ضَيْعَتِى ،

= كاتبه، على أن أغرس له ثلثمائة نخلة ، وعلى أربعين أوقية من الذهب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أعينوا أخاكم سلمان بالنخل » ، فأعانونى حتى اجتمعت لى ، فوضعها صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فى الحفر التى أعدت لها ، وكان يسوى عليها بالتراب ! فوالذى بعثه بالحق نبيا ما ماتت منها واحدة ، وبقى الذهب ، فجاء رجل بمثل البيضة من ذهب من بعض المغازى ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خذ هذه فأدّ بها ما عليك يا سلمان» ، فوزنت لهم منها أربعين أوقية . وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق وما بعدها . وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبين أبي الدرداء . ثبت ذلك فى صحيح البخارى . وكان من فضلاء الصحابة وزهادهم وعلمائهم ، وذوى القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو الذى أشار بحفر الخندق فى غزوة الأحزاب ، وسكن العراق ، وكان يعمل الخوص بيده فيأكل منه ، وكان عطاوه خمسة آلاف ، فإذا خرج تصدق به . ونقلوا اتفاق العلماء على أنه عاش مائتين وخمسين عاما ، واختلفوا فيما وراءها إلى ثلثمائة وخمسين عاما . توفى سلمان بالمدائن فى أول سنة ست وثلاثين . روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة : على وعمار وسلمان» . (قال الترمذى : حديث حسن) .

(١) الدهقان بكسر الدال : يطلق على رئيس القرية ، وهو المراد هنا .

(٢) قطن النار بكسر الطاء : خازنها وخادمها .

(٣) أى يخمد لهبها ، والفعل من باب علا .

فاذهبْ فاطَّلِعْها ، وأَمَرَني فِيهَا ببَعْضِ مايُرِيدُ . فخرجْتُ أُريدُ ضَيْعَتَهُ ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كنائِسِ النصارى ، فسمِعْتُ أَصواتَهُمْ فيها وهُمْ يُصَلُّون ، وكنتُ لا أَدْرى ما أَمْرُ الناسِ ، لِحَبْسِ أَبِى إِيَّاىَ فى بَيْتِهِ ، فلَمَّا مررْتُ بهِمْ وسَمِعْتُ أَصواتَهم ، دخَلْتُ عليهِمْ أَنظُرُ ماذَا يَصْنَعُون . قال : فَلَمَّا رأَيتُهُمْ أَعْجَبَتْنِى صلاتُهُمْ ،ورَغِبْتُ فى أَمْرِهِمْ ، وقلْتُ : هذا واللهِ خيرٌ مِنَ الدينِ الذى نَحْنُ عليْهِ ، فواللهِ ما تركْتُهُمْ حتَّى غَرَبَتِ الشمسُ ، وتركتُ ضَيْعَةَ أَبى ولَمْ آتِهَا . فقلتُ لَهُمْ : أَيْنَ أَصْلُ هذا الدِّين ؟ فقالوا : بالشام . قالَ : ثُمَّ رجَعْتُ إِلى أَبى ، وقدْ بَعَثَ فى طَلَبِى ، وَشَغَلْتُه عَنْ عَملِهِ كُلِّهِ ! قالَ فَلَمَّا جِئْتُهُ قالَ : أَىْ بُنَىَّ ، أَيْنَ كُنْت ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ ماعَهِدْتُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : ياأَبَتِ ، مَرَرْتُ بناس يُصَلُّونَ فى كَنِيسَةٍ لَهُمْ ، فَأَعْجَبَنِى مارَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ ، فَوَاللهِ مازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشمسُ.. قالَ : أَىْ بُنَىَّ ، لَيْسَ فى ذَلِكَ الدِّين خَيْرٌ ! دِينُكَ ودينُ آبائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ . قالَ : قُلْتُ : كلَّا واللهِ ، إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا . قالَ : فَخَافَنِى ، فَجَعَلَ فى رجْلِى قَيْدًا ، ثُمَّ حَبَسَنِى فى بَيْتِهِ . قالَ : وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصارَى ، فقُلْتُ لَهُمْ : إِذا قَدِمَ عليْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ ، تُجَّارٌ مِنَ النصارَى ، فأَخْبِرُونِى بهمْ . قالَ : فقدِمَ علَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشامِ تُجَّارٌ مِنَ النصارَى ، قالَ : فأَخْبِرُونِى بهمْ ، قالَ : فقلْتُ لهُمْ : إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ ، وأَرادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ ، فآذِنُونِى[1] بهمْ . قالَ : فلمَّا أَرادوا الرَّجْعَةَ إِلى بلادِهِمْ أَخْبَرُونِى بهمْ ، فأَلْقَيْتُ الحدِيدَ مِنْ رجْلَىَّ ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ ، فَلَمَّا قَدِمْتُها

---

(١) آذنونى بهم بمد الهمزة : أعلمونى بهم .

قلْتُ : مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ ؟ . قالوا : الْأَسْقُفُ[١] فِى الكَنِيسَةِ ، قالَ : فجئْتُه فقلْتُ : إِنِّى قدْ رَغِبْتُ فِى هذا الدِّينِ ، وأَحبَبْتُ أَنْ أَكونَ مَعَكَ ، أَخْدِمُكَ فى كَنِيسَتِكَ ، وأَتعَلَّمُ مِنْكَ . وَأُصَلِّى مَعَكَ . قَالَ : فادْخُلْ . فدخَلْتُ مَعَهُ ، قَالَ : فكانَ رَجُلَ سوءٍ يأْمُرُهُمْ بالصَّدَقَةِ ويرغِّبُهُمْ فيها ، فإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ منها أشياءَ اكْتَنَزَهُ لنفسهِ ، ولَمْ يُعْطِهِ ، المساكِينَ ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَب وَوَرِقٍ[٢] ! قالَ : وأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شديدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ ، ثُمَّ ماتَ ؛ فاجْتَمَعَتْ إليهِ النصارَى ليدفِنوهُ ، فقلْتُ لَهُمْ : إِنَّ هَذَا كانَ رَجُلَ سوءٍ . يأْمُرُكُمْ بالصَّدَقَةِ ويُرَغِّبُكُمْ فِيها ، فإِذا جِئْتُمُوهُ بها اكْتَنَزها لِنَفْسِهِ ، ولَمْ يُعْطِ المَسَاكِينَ مِنْهَا شيئاً ! . قالوا : وما عِلْمُكَ بذلِكَ ؟ . قال : قلتُ : أنا أَدُلُّكُمْ على كَنْزِهِ ، قالوا : فدُلَّنَا عَلَيْهِ ، قال : فأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ ، قالَ : فاستَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةً ذَهَباً ووَرِقاً ، قالَ : فلمَّا رأَوْهَا قالوا : واللهِ لا نَدْفِنُهُ أَبدًا ، فصلَبُوهُ ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بالحجارةِ ، ثُمَّ جاءُوا برجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بمَكَانِهِ . قالَ : يقولُ سَلْمَانُ : فَمَا رأَيْتُ رجُلًا لا يُصَلِّى الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ أَزْهَدَ فى الدُّنْيَا ولَا أَرْغَبَ فى الآخرةِ ، ولا أَدْأَبَ لَيْلًا ونهارًا مِنْهُ . قالَ : فأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مِنْ قَبْلِهِ ، وأَقَمْتُ مَعَهُ زماناً ثُمَّ حَضَرَتْهُ

---

(١) السقف بفتحتين طول فى انحناء يقال : رجل أسقف ، قال ابن السكيت : ومنه اشتق « أسقف النصارى » بضمتين بينهما سين مهملة ساكنة ، وآخره فاء مشددة أو مخففة ، لأنه يتخاشع ، وهو رئيس من رؤسائهم فى الدين .

(٢) القلة بالضم : إناء للعرب كالجرة الكبيرة ، يجمع على قلل وقلال . والورِق بفتح أوله وكسر ثانيه : الدراهم المضروبة من الفضة .

الوفاةُ ، فقلْتُ لَهُ : يا فُلانُ ، إنِّى كُنْتُ مَعَكَ وأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مِنْ قَبْلِكَ ، وقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللهِ ، فإِلَى مَنْ تُوصِى بى؟وما تأْمُرُنِى ؟ قالَ : أَىْ بُنَىَّ ، واللهِ ما أَعْلَمُ أَحَدًا اليوْمَ علَى ما كُنْتُ عَلَيْهِ ، لقَدْ هَلَكَ الناسُ وبَدَّلُوا ، وَتَرَكُوا أَكْثَرَ ما كانوا عَلَيْهِ ، إلَّا رَجُلًا بالموْصِلِ(١) ، وهُوَ فلانٌ ، فهُوَ على ما كُنْتُ علَيْهِ ، فالْحَقْ بهِ . قالَ : فلمَّا ماتَ وغُيِّبَ ، لَحِقْتُ بصاحب المَوْصِلِ ، فقُلْتُ لَهُ : يا فلانُ ، إنَّ فُلاناً أَوْصَانِى عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بكَ ، وأَخبرَنِى أَنَّكَ علَى أَمْرِهِ . قالَ : فقالَ لِى : أَقِمْ عِنْدِى . فأَقَمْتُ عِنْدَهُ ، فوجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ علَى أَمْرِ صاحِبِهِ ، فلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ماتَ ، فلَمَّا حضَرَتْهُ الوفاةُ قلْتُ لَهُ : يافلان ، إنَّ فُلاناً أَوْصَى بِى إليْك ، وأَمَرَنِى باللُّحُوق بك ، وقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللهِ عزَّ وَجَلَّ ما تَرَى ، فإِلَى مَنْ تُوصِى بِى ؟ وما تأْمُرُنِى ؟ قالَ : أَىْ بُنَىَّ ، واللهِ ما أَعْلَمُ رَجُلًا علَى مِثْلِ ما كُنَّا عَلَيْهِ ، إلَّا رجُلًا بنَصِيبِينَ(٢) ، وهُوَ فلانٌ ، فالْحَقْ بهِ ، فلمَّا ماتَ وغُيِّبَ ، لَحِقْتُ بصاحِبِ نَصِيبِينَ ، فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِى ، وما أَمَرَنِى بِهِ صاحِبِى . قالَ : فأَقِمْ عِنْدِى ، فأَقَمْتُ عِنْدهُ ، فوجَدْتُهُ علَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ . فأَقَمْتُ مع خَيْرِ رجُلٍ ، فوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الموتُ ، فلمَّا حُضِرَ(٣) قلْتُ لَهُ : يافلانُ ، إنَّ فُلاناً كانَ أَوْصَى بى إلَى فلان ، ثُمَّ أَوْصَى بِى فلانٌ إليكَ ، فإِلَى منْ تُوصِى بِى ؟

---

(١) الموصل ، بفتح الميم وكسر الصاد بينهما واو ساكنة : مدينة قديمة على طرف نهر دجلة .

(٢) نصيبين ، بالفتح ثم الكسر : مدينة كبيرة على شاطىء الفرات .

(٣) حضر ، بضم أوله وكسر ثانيه ، معناه : حضره الموت .

وما تأْمُرُنِى ؟ قالَ : أَىْ بُنَىَّ ، واللهِ ما نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِىَ علَى أَمْرِنا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ ، إلَّا رجُلًا بعمُّورِيَّة(١) ، فإِنَّهُ بمِثْلِ ما نَحْنُ عليْهِ ، فإِنْ أَحْبَبْتَ فأْتِهِ ، فإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنا ـ قالَ : فلمَّا ماتَ وغُيِّبَ ، لَحِقْتُ بصاحِبِ عَمُّورِيَّة ، وأَخْبَرْتُهُ خبَرِى . فقالَ : أَقِمْ عِنْدِى . فأَقَمْتُ مَعَ رجُلٍ على هَدْىِ أَصحابِهِ وأَمْرِهِمْ . قالَ : واكتَسَبْتُ ، حَتَّى كانَ لِى بَقَرَاتٌ وغُنَيْمَةٌ . قالَ : ثُمَّ نَزَلَ بهِ أَمْرُ اللهِ . فلمَّا حُضِرَ قلْتُ لَهُ : يافلانُ ، إنِى كنْتُ معَ فلان ، فأَوْصَى بِى فلانٌ إلى فلان ، وأَوصَى بِى فلانٌ إلى فلان ، وأَوْصَى بى فلانٌ إلى فلانٍ ، ثم أَوصَى بى فلانٌ إلَيْكَ ، فإلى مَنْ توصِى بى ؟ وما تأْمُرُنِى ؟ فقالَ : أَىْ بُنَىَّ ، واللهِ ما أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ على ماكُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الناسِ آمُرُكَ أَنْ تأْتِيهُ ، ولكنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زمانُ نَبِىٍّ(٢) هُوَ مَبْعُوثٌ بدينِ إبراهيمَ ، يخْرُجُ بأَرْضِ العربِ ، مُهَاجَرُهُ إلَى أَرْض بَيْنَ حرَّتَيْنِ(٣) بَيْنَهُمَا نَخْلٌ ، بهِ علاماتٌ لَا تَخْفَى ، يأْكُلُ الهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ(٤) ، فإنِ استَطَعْتَ أَنْ تلْحَقَ بتِلْكَ البلادِ

---

(١) عمورية ، بفتح أوله وتشديد ثانيه : مدينة فى بلاد الروم ، فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ هـ . وفتح أنقرة ، وكانت من أعظم فتوح الإسلام . أفاده فى معجم البلدان .

(٢) أى قرب منك زمانه . قال فى المختار : أظلك فلان إذا دنا منك كأنه ألقى عليك ظله ، ثم قيل : أظلك أمر وأظلك شهر كذا ، أى دنا منك . اهـ .

(٣) تثنية حَرة ، بالحاء المهملة المفتوحة وتشديد الراء : أرض ذات حجارة سود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار . والمدينة المنورة واقعة بين حرتين .

(٤) قطعة لحم صغيرة فى حجم بيضة الحمامة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم ، عليها شعرات ، وقد جعلها الله من علاماته فى الكتب السابقة .

فافْعَلْ . قالَ : ثُمَّ ماتَ وغُيِّبَ ، فمكَثْتُ بعمُّورِيَّةَ ما شاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ . ثُمَّ مَرَّ بِى نَفَرٌ مِنْ كَلْب(١) تُجَّارًا ، فقلْتُ لهُمْ : تَحْمِلُونِى إلى أَرْضِ العَرَب وأُعطِيكُمْ بَقَرَاتِى هَذِهِ وغُنَيْمَتِى هَذِهِ؟ قالوا : نَعمْ . فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا ، وحملُونِى ، حتَّى إذا قَدِموا بى وادِى القُرى ظَلَمُونِى ، فباعُونِى مِنْ رجُل مِنْ يهُود عبْدًا(٢) ، فكُنْتُ عِنْدهُ ، ورأَيْتُ النَّخْل ، ورجوْتُ أَنْ تكونَ البلَد الذى وصف لى صاحِبِى ، ولَمْ يحقَّ لى فِى نَفْسِى(٣) . فبينَما أَنَا عِنْدهُ ، قدِم علَيْهِ ابنُ عمٍّ لهُ مِن المدينةِ مِنْ بنى قُرَيْظَةَ ، فابْتاعنِى مِنْهُ ، فاحْتَملَنِى إلى المدينةِ ، فواللهِ ما هُو إلَّا أَنْ رأَيْتُها فَعَرفْتُها بصِفَةِ صاحِبِى ، فأَقمتُ بِها . وبعثَ اللهُ رسولَهُ فأَقَام بِمكَةَ ما أَقام لا أَسْمعُ لهُ بذِكْر ، مع ما أَنَا فِيهِ مِنْ شَغْل الرِّقِّ . ثُمَّ هاجر إلى المدينةِ ، فواللهِ إنِّى لَفِى رأْسِ عذْق(٤) لسيِّدِى أَعْملُ فيهِ بعْضَ العمل ، وسيِّدِى جالِسٌ ، إذْ أَقْبل ابنُ عمٍّ لهُ حتَّى وقَف علَيْهِ فقال : يا فلانُ ، قاتَل اللهُ بنِى قَيْلَةَ(٥) واللهِ إنَّهُمْ لمُجْتَمعُونَ بِقُباء(٦) علَى رجُلٍ قَدِم علَيْهِمْ مِنْ مكةَ اليوم ،

---

(١) كلب : اسم قبيلة مشهورة من قبائل العرب .

(٢) أى باعوه لرجل من اليهود على أنه عبد من العبيد .

(٣) أى رجوت ذلك ، ولكن لم أستيقنه .

(٤) العذق ، بفتح أوله وسكون ثانيه : النخلة بحملها .

(٥) يريد الأوس والخزرج قبيلتى الأنصار . وقيلة ، بالقاف المفتوحة والياء الساكنة : اسم أم لهم قديمة ، وهى قيلة بنت كاهل . قاله فى النهاية .

(٦) قباء ، بضم أوله : ضاحية من ضواحى المدينة المنورة ، يذكر ويؤنث .

يزعمونَ أنهُ نَبيٌّ !! قالَ: فلمَّا سمِعْتُهُ أَخَذَتْنِي العُرواءُ(١) حتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي سأَسقُطُ علَى سيِّدِي ! قالَ : ونزَلْتُ عنِ النخْلَةِ ، فجعلْتُ أَقولُ لابنِ عمِّهِ ذلكَ : ماذا تقولُ ، ماذا تقولُ ؟ ـ قالَ : فغضِب سيِّدِي ، فَلَكَمنِي لكْمةً شديدةً(٢) . ثُمَّ قالَ : مالَكَ ولِهذَا ؟ أَقبِلْ علَى عملِكَ . قالَ : قلْتُ : لا شَيء ، إِنَّمَا أَردْتُ أَنْ أَسْتَثْبتَ عَمَّا قالَ . وقدْ كانَ عِنْدِي شَيْءٌ جَمَعْتُهُ ، فلمَّا أَمسيْتُ أَخذْتُهُ ثم ذهبتُ بهِ إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهُوَ بقُبَاء ، فدخَلْتُ علَيْهِ فقلْتُ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنكَ رجُلٌ صالحٌ ، ومعَكَ أَصحابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حاجةٍ ، وهذا شَيءٌ كانَ عِنْدِي للصدَقَةِ ، فرأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بهِ مِنْ غَيْرِكُمْ . قالَ : فقربْتُهُ . إليهِ فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «كُلوا» ، وأَمْسَكَ يدَهُ فَلَمْ يأْكُلْ . قالَ : فقُلْتُ فى نَفْسِي : هذِهِ واحدةٌ . ثم انصرفْتُ عنْهُ ، فجَمَعْتُ شيئاً ، وتحوَّلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إِلى المدينةِ ، ثم جئْتُ به ، فقلْتُ : إِنِّى رَأَيْتُكَ لا تأْكُل الصدَقَةَ ، وهذِهِ هديَّةٌ أَكرمْتُكَ بِهَا ، قالَ : فأَكل رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منها ، وأَمَرَ أَصحابَهُ فأَكلوا معَهُ . قالَ : فقُلْتُ فى نَفْسِي : هاتانِ اثْنَتَانِ . ثم جِئْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهُوَ ببَقِيع الغَرْقَدِ(٣) ، قالَ : وقَدْ تَبعَ جنازَةَ رجُل مِنْ أَصحابِهِ ، عليْهِ

---

(١) العرواء ، بضم أوله وفتح ثانيه وبالمد : الرعدة من الخوف . وهو فى الأصل برد الحمى . أفاده فى النهاية .

(٢) لكمه : ضربه بجمع كفه ، وبابه نصر .

(٣) الغرقد ، بالغين المعجمة بوزن الفرقد : شجر ، وبقيع الغرقد مقبرة المدينة ، والبقيع فى الأصل مكان الشجر ، قال فى المختار : والبقيع موضع فيه أروم الشجر «أى أصوله» من ضروب شتى ، وبه سمى بقيع الغرقد ، وهى مقبرة المدينة . اهـ .

شَمْلَتَان (١) لهُ ، وهُوَ جالسٌ فى أَصحابِهِ ، فسلَّمْتُ علَيْهِ ، ثُمَّ استَدَرْتُ أَنْظُرُ إلى ظَهْرِهِ هلْ أَرَى الخَاتَمَ الذى وصَفَ لِى صاحِبِى ، فلمَّا رآنِى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ استَدَرْتُ ، عَرَفَ أَنِّى أَسْتَثْبِتُ فى شىء وُصِفَ لِى . قالَ : فأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ ، فنظرْتُ إلى الخَاتَمِ فَعَرَفتُهُ ، فانكَبَبْتُ عليْهِ أُقَبِّلُهُ وأَبْكِى ! فقالَ لِى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تَحَوَّلْ » ، فتحولْتُ ، فَقَصَصْتُ عليْهِ حَدِيثِى كَمَا حَدَّثْتُكَ يا ابْنَ عباسٍ . قالَ : فأَعْجَبَ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَنْ يسمَعَ ذلِكَ أَصحابُهُ ، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فاتَهُ مَعَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بَدْرٌ وأُحُدٌ . قالَ : ثُمَّ قالَ لِى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كاتِبْ (٢) ياسَلْمَانُ » ، فكاتَبْتُ صاحِبِى على ثلثمِائَةِ نَخْلَةَ أُحْيِيهَا لَهُ بالنُّقَيْرِ (٣) ، وبأَرْبَعِينَ أُوقيَّةً . فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأَصحابِهِ : « أَعِينُوا أَخَاكُمْ » ، فأَعانُونِى بالنَّخْلِ : الرجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً (٤) ، والرجلُ بعشرينَ ، والرجُلُ بخَمْس عَشْرة . والرجُلُ بعَشْرٍ ، يُعِينُ الرجُلُ بِقَدْرِ ما عِنْدَهُ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِى ثَلثمِائَة وَدِيَّة ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ

---

(١) الشملة . بوزن النملة : كساء يشتمل به الإنسان ، أى يتلفف به .

(٢) فعل أمر من المكاتبة ، وهى أن يتعاقد العبد مع السيد على أن يسعى فى تحصيل ثمنه ويعتقه .

(٣) النقير ، كزبير : موضع قرب خيبر ، والنقير ، بوزن العظيم : المكان السهل يحفر فيه حفر متناسقة .

(٤) الودى كغنى : صغار النخل . الواحدة ودية كغنية .

عليهِ وسلَّمَ : «اذهبْ يا سلْمَانُ فنقِّرْ[(١)] لها ، فإذا فَرَغْتَ فائْتِنِى أكونُ أنا أضَعُهَا بِيَدِى» ، فَنَقَّرْتُ لها ، وأعَانَنِى أصحابِى ، حتَّى إذا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فأَخْبَرْتُهُ ، فخرجَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَعِى إليْهَا ، فَجَعَلْنَا نقَرِّبُ له الوَدِىَّ وَيَضَعُهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بيدِهِ ، فوالذى نَفْسُ سلْمَانَ بيدِهِ ، ما ماتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ واحدةٌ ، فأَدَّيْتُ النَّخْلَ ، وبَقِىَ عَلَىَّ المالُ ، فأُتِىَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بمِثْلِ بَيْضَةِ الدجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ المَغَازِى ، فقالَ : «ما فَعَلَ الفارِسِىُّ المُكَاتَبُ» ؟ قال : فدُعِيتُ لَهُ ، فقالَ : «خُذْ هذِهِ فأَدِّ بِهَا ما عَلَيْكَ يا سَلْمَان» ، فقلْتُ : وأَيْنَ تَقَعُ هذِهِ يا رسولَ اللهِ مِمَّا عَلَىَّ ؟ (وفى رواية : أخَذَها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقَلَّبَهَا علَى لسانِهِ) ، قالَ : «خُذْها فَإِنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ سَيُؤَدِّى بها عَنْكَ» ، قالَ : فَأَخَذْتُهَا ، فوزَنْتُ لهُمْ مِنْهَا ، والذى نَفْسُ سلْمَان بِيَدِهِ ، أربعينَ أُوقِيَّةً ، فأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ ، وعُتِقْتُ ، فَشَهِدْتُ مَعَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الْخَنْدَقَ ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِى مَعَهُ مَشْهَدٌ) .

(رواه أحمد ، والطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن إسحق فإنه ثقة مدلس ، وقد صرح بالسماع من شيخه ، فانتفت تهمة التدليس عنه فى هذا الحديث) .

---

(١) التنقير والتنقير : الحفر ، أى احفر لها .

زيدٌ بنُ سَعْنَةَ (١)

عن عبدِ اللهِ بنِ سَلَام قالَ : « إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لما أرادَ هدى زَيْدِ بن سَعْنَةَ ، قالَ زيدُ بنُ سَعْنَةَ : ما مِنْ علاماتِ النُّبُوةِ شيء إلَّا وقَدْ عرَفْتُهَا فى وجْهِ محمد صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إليْهِ ، إلَّا اثْنَتَيْن لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ : يَسْبِقُ حلمُهُ جهْلَهُ ، ولا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الجهْلِ عليْهِ إلَّا حِلْماً ! قالَ زَيْدُ بنُ سَعْنَةَ : فخرَجَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَوْماً مِنَ الْحُجُرَاتِ ، ومَعَهُ علىُّ بنُ أَبِى طالبٍ رضىَ اللهُ عنهُ ، فأتاهُ رجُلٌ على راحِلَةٍ كالبَدَوِىِّ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، لى نَفَرٌ فى قَرْيةِ بنى فُلان قدْ أَسْلَمُوا ودَخَلوا فى الإسلامِ ، وكنتُ حَدَّثْتُهُمْ إنْ أَسْلَموا أتاهُمُ الرِّزْقُ رَغَدا (٢) ، وقَدْ أصابَتْهُمْ سَنَةٌ وشِدَّةٌ وَقَحْطٌ مِنَ الغَيْثِ (٣) ، فأنا أَخْشَى يا رسولَ اللهِ أنْ يَخْرُجُوا مِنَ الإسْلامِ طمَعاً ، كما دَخَلُوا فيهِ طَمَعاً (٤) ! فإذا رأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إلَيْهِمْ بشىء تُغِيثُهُمْ بهِ فَعَلْتَ .

---

(١) زيد بن سعنة كان من أحبار اليهود ، و « سعنة » بالنون على الأكثر ، وقيل بالتحتانية . عرف علامات النبوة كلها فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا علامتين لم يخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما ، فخبرهما فى قصة تضمنها هذا الحديث ، فأسلم ، وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم مشاهده ، واستشهد فى غزوة تبوك مقبلا غير مدبر . رحمه الله ورضى عنه .

(٢) واسعا طيبا .

(٣) السنة : هى الشدة ، فقوله « وشدة » عطف تفسير . والغيث : المطر . وقحط المطر : احتبس ، وبابه خضع وطرب .

(٤) معناه أخاف أن يخرجوا من الإسلام طمعا فيما يبذله لهم أهل الكفر من مال ، كما دخلوا فى الإسلام رجاء سعة العيش .

فنظَرَ إلى رجُل إلى جَنْبهِ أُرَاهُ عَلِيًّا (١) ، فقالَ : يارسولَ اللهِ ، ما بَقِيَ مِنْهُ شيْءٌ (٢) ، قال زيْدُ بنُ سَعنَةَ : فَدَنَوْتُ إليْهِ فقلْتُ : يا محمدُ ، هلْ لكَ أنْ تَبيعَنِي تَمْرًا مَعْلوماً فى حائِطِ بَنِى فلان ، إلى أَجَل مَعْلُوم ، إلى أَجَلِ كَذَا وكَذَا (٣) ؟ قالَ : « لا تُسَمِّ حائط بنِى فلان » . قلتُ : نَعَمْ ، فبايَعَنى ، فأَطْلَقْتُ هِمْيانِى (٤) ، فأَعْطَيْتهُ ثمانينَ مثقالًا منْ ذهب فى تَمْرٍ مَعْلُومٍ ، إلى أَجَلٍ كَذَا وكَذَا ، فأَعْطَاهَا الرَّجُلَ وقالَ : « اعْدِلْ عَلَيْهِمْ وأَغِثْهُمْ بِهَا » ، قالَ زيدُ بنُ سَعْنَةَ : فلمَّا كانَ قَبْلَ مَحل الأَجَلِ (٥) بيومَيْن أَوْ ثلاثة ، خرجَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ومعهُ أَبو بكر وعُمَرُ وعثْمانُ فى نَفَرٍ منْ أَصحابهِ ، فلمَّا صلَّى علَى الجنازَةِ ودَنَا إلى الجدَارِ لِيَجْلِسَ إليْهِ ، أَتيتُهُ فأَخَذْتُ بمجَامِعِ قَميصِهِ ورِدائِهِ ، ونظرتُ إليهِ بوجه غليظٍ (٦) ، قلتُ لهُ : يا محمدُ ، أَلا تَقْضِينِى حَقِّى ؟ فَوَاللهِ ما عِلِمْتُكُمْ

---

(١) أُراه ، بضم الهمزة : أى أظنه .

(٢) ما بقى منه شىء ، أى من المال المعهود بينهما .

(٣) الحائط : البستان ، ومعنى التركيب : أنه عرض على النبى صلى الله عليه وسلم أن يشترى منه تمرا معينا فى حائط معين إلى أجل معلوم ، وهو المعروف عند الفقهاء بعقد السَّلَم . فرضى النبى صلى الله عليه وسلم بما عرض عليه ، ولكن بعد تصحيح العقد ، إذ قال له «لاتسمِّ حائط بنى فلان» لجواز ألا يخرج من التمر شيئا ، ويكفى أن يكون التمر المعقود عليه موصوفا معينا .

(٤) هميان ، بكسر أوله وسكون ثانيه : حزام يشد على الوسط وتوضع فيه النقود .

(٥) أى قبل حلول الأجل والموعد المتفق عليه لتسليم التمر .

(٦) أى عابس .

بَنِي عبْدِ المُطَّلِب إلَّا مُطْلًا(١) ! ولقد كان لى بمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ !!

ونظَرْتُ إلى عُمَرَ وعيْنَاهُ تَدُورَانِ فى وجْهِهِ كالفَلَكِ المُسْتَدِير ، ثُمَّ رمَانِى ببَصَرِهِ ، فقالَ : يا عَدُوَّ اللهِ ، أتقولُ لرسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَا أَسْمَعُ ؟ وتَصْنَعُ بهِ ما أَرَى ؟ فَوَالذى نفْسِى بيَدِهِ لوْلَا ما أُحاذِرُ فَوْتَهُ(٢) لضَرَبْتُ بسيْفِى رأْسَكَ ! ورسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ينظرُ إلَىَّ فى سُكونٍ وتُؤَدَةٍ . فقالَ : «ياعُمَرُ . أَنَا وهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إلى غَيْرِ هَذَا ، أَنْ تأْمُرَنِى بحُسْنِ الأَدَاءِ ، وتأْمُرَهُ بحُسْنِ اتِّبَاعِهِ ، اذهَبْ بهِ ياعُمَرُ فأَعْطِهِ ، وزِدْهُ عشرينَ صاعاً مِنْ تَمْرٍ مَكَانَ مَارُعْتَهُ(٣) » . قالَ زيدٌ : فذهبَ بِى عُمَرُ ، فأَعْطَانِى حَقِّى وزَادَنى عشرينَ صاعاً مِنْ تَمْرٍ . فقلْتُ : ماهَذِهِ الزيادةُ يا عُمَرُ ؟ . قالَ : أَمَرَنِى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ ما رُعْتُكَ . قالَ : وتعْرِفُنِى يا عُمَرُ ؟ . قال : لَا ، قلتُ : أَنا زيْدُ بنُ سَعْنَةَ ، قالَ : الحِبْرُ(٤) ؟ قلتُ : الحِبْرُ . قال : فما دَعَاكَ إِلَى أَنْ فَعَلْتَ برسولِ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ ما فَعَلْتَ ؟ وقلْتَ لَهُ

(١) «مطلا» ، بضم الميم وسكون الطاء المهملة . معناه : مسوفين فى أداء الحقوق ، مفرده ماطل .

(٢) أى لولا ما أخشىَ أن يفوتنى من رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لضربت رأسك بسيفى .

(٣) أى خوفته وأفزعته ، يقال : راعه من باب قال فارتاع ، أى أفزعه ففزع ، وروعه ترويعا .

(٤) الحبر ، بفتح الحاء المهملة ، وتكسر ، مع سكون الباء الموحدة فيهما : واحد أحبار اليهود ، أى علمائهم ورؤسائهم فى الدين .

ماقُلْتَ ؟ قلتُ : يا عُمَرُ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ علاماتِ النبوَّةِ شيءٌ إلَّا وقدْ عَرَفْتُهُ فى وجْهِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إليهِ إلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخبُرْهُمَا(١) مِنْهُ :يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ(٢) ، ولا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الجهْلِ عليْهِ إلَّا حِلْماً ، وقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا ، فأُشْهِدُكَ يا عُمَرُ أَنِّى قَدْ رَضِيتُ باللهِ رَبًّا ، وبالإسلامِ ديناً ، وبمحمد نبيًّا . وأُشْهِدُ أَنَّ شَطْرَ مَالِى(٣) — فَإِنِّى أَكْثَرُهَا مالًا — صدَقَةٌ علَى أُمَّةِ محمدٍ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . قالَ عُمَرُ : أَوْ علَى بَعضِهِمْ ، فإنَّكَ لا تَسَعُهُمْ . قلتُ : أَوْ علَى بعضِهِمْ . فرجَعَ عُمَرُ وزيْدٌ إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ زيْدٌ : أَشهدُ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ ، وأشهدُ أَنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُه . وآمَنَ بهِ وصدَّقَهُ وبايَعَهُ ، وشهدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كثيرةً ، ثُمَّ تُوُفِّى فى غزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلًا غيرَ مُدْبِرٍ ، رَحِمَ اللهُ زَيْدًا(٤)

(رواه الطبرانى ورجاله ثقاة ، وروى ابن ماجه طرفا منه .. أفاده الهيثمى فى مجمع الزوائد ، جـ٨ ص٢٣٩ ، ٢٤٠) .

---

(١) خبر الأمر : علمه ، وبابه نصر ، والاسم الخبر بضم أوله وسكون ثانيه ، وهو العلم بالشيء ، وخبره أيضا امتحنه واختبره ، يقال : صدق الخُبْرُ الخَبَر .

(٢) الحلم ، بوزن العلم : التثبت والتأنى . والجهل : يراد به هنا السرعة فى الأمور والعجلة فيها ، وقوله : «وقد اختبرتهما » ، أى بحثت عنهما فوجدتهما .

(٣) أى نصفه .

(٤) وقال الحافظ فى الإصابة فى ترجمة «زيد بن سعنة» : روى قصة إسلامه الطبرانى وابن حبان والحاكم وأبو الشيخ وغيرهم ، من طريق الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة=

=ابن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عن عبد الله بن سلام ، قال : ورجال الإسناد مُوَثَّقُونَ ، وقد صرح الوليد فيه بالتحديث ، ومداره على محمد بن أبي السرى الراوى له عن الوليد ، وثّقه ابن معين ، وقال ابن عدى : كثير الغلط . والله أعلم ، قال : ووجدت لقصته شاهدا من وجه آخر عند ابن سعد ، اهـ . بتصرف يسير جدا .

الباب الرابع

«دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحى عليه»

وفيه تسعة فصول

الفصل الأول

«القرآن الكريم»

١ ـ قالَ اللهُ تعالى فى سورة الأعراف : «ولَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ على عِلْمٍ ، هُدًى ورحْمةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» ـ الآية ٥٢

٢ ـ وقال تعالى فى سورة الشُّعراء : «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ . وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الْأَوَّلِينَ . أَولَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِى إِسْرَائِيلَ» ـ الآيات من ١٩٢ ـ ١٩٧ .

٣ ـ وقال تعالى فى سورة المائدة : «يَٰأَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ

رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » الآيتان ١٥ ، ١٦ .

٤ — وَقَالَ تعالى فى سورة العنكبوت : «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ ، فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ . وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ، إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ » — الآيتان ٤٧ ، ٤٨ .

٥ — وقال تعالى فى سورة البقرة : «وإِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَادْعُو شُهَدَاكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ، وَلَنْ تَفْعَلُوا ، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » — الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

٦ — وقال تعالى فى سورة الإسراءِ : «قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » — الآية ٨٨ .

٧ — وقال تعالى فى سورة العنكبوت : «وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » — الآيتان ٥٠ ، ٥١ . (والآيات فى هذا كثيرة) .

الكلام فى القرآن الكريم يتناول عدة أمور .

«الأول : القرآنُ آيةُ محمد على إرسالِه»

عن أبى هريرة رضىَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قَالَ : «مَامِنَ الأنبياء مِنْ نَبِىٍّ إلّا قَدْ أُعْطِىَ مِنَ الآياتِ مامِثْلُهُ آمَنَ عليْهِ البَشَرُ ، وإنَّمَا كَانَ الذى أُوتِيتُ وَحْياً(١) أَوْحَى اللهُ إلَىَّ ، فأَرْجُو أنْ أكونَ أَكْثَرَهُمْ تابِعاً يومَ الْقِيَامَةِ» .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم فى كتاب الإيمان من صحيحه ، والبخارى أخرجه فى أوائل كتاب «فضائل القرآن» من صحيحه) .

عن عِياضِ بنِ حمادٍ المُجَاشِعِىِّ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ ذاتَ يوم فى خُطبتِهِ : «ألَا إنَّ ربِّى أمَرَنِى أنْ أُعَلِّمَكُمْ ماجَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِى يَوْمِى هَذَا : كُلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ(٢) عبدًا حلالٌ ، وإنِّى خلقتُ عِبَادِى حُنَفَاءَ(٣) كُلَّهُمْ ، وإنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشياطينُ فاجْتَالَتْهُمْ(٤) عنْ دِينِهِمْ ،

---

(١) «الذى أوتيتُ وحياً» : يريد القرآن الكريم . وآيته أنه معجز للبشر إلى يوم القيامة ، مشتمل على علمٍ لايعلمه إلا عالم الغيب رب العالمين .

(٢) «نَحَلْتُه» : نَحَلْتُه أَنْحَلُهُ نُحْلًا مثل قُفْل ، أى أعطيته شيئا من غير عوض بطيب نفس . والمعنى : كل مال أعطيته عبدا من عبيدى فهو حلال .

(٣) «حُنَفَاء» : أى مسلمين ، والحنيف هو المسلم ، لأنه مائل إلى الدين المستقيم . والمراد : أن الفِطرة التى فطر الله الإنسان عليها حين يولد هى الإسلام ، وانحرافهم عنه بعد ذلك هو من فِعل الشياطين ووسوستهم وتزيينهم للكفر .

(٤) «اجتالتهم عن دينهم» : أى زحزحتهم عنه . والجوَلَانُ قطع المسافات والانتقال من مكان إلى مكان .

وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ ما أَحْلَلْتُ لَهُمْ ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَالَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً ؟ . وإنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الكتابِ ، وقالَ : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيكَ وأَبْتَلِيَ بِكَ ، وأَنزلْتُ عليْكَ كتاباً لايَغْسِلُهُ الماءُ[1] ، تَقْرَؤُهُ نائماً وَيَقْظانَ » ... الحديث

(رواه مسلم أواخر صحيحه ، في باب «الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار»)

عن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهُما قالَ : (انْطَلَقَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في طائفةٍ مِنْ أَصحابِهِ عامِدينَ إلى سوقِ عُكَاظ ، وقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشياطينِ وبيْنَ خَبَرِ السماء ، وأُرْسِلَتْ عليهم الشُّهُبُ فرجَعَت الشياطينُ ، فقالوا : مالَكُمْ ؟ قالوا : حِيلَ بينَنَا وبَيْنَ خبَرِ السماءِ ، وأُرْسِلَتْ علَيْنَا الشُّهُبُ ! فقالَ : ماحالَ بينكُمْ وبيْنَ خبرِ السماءِ إلَّا ما حَدَثَ . فاضْرِبوا مشارِقَ الأَرْضِ ومغارِبَها فانْظُروا : ماهَذَا الأَمْرُ الذي حَدَثَ ؟ فانْطَلَقوا ، فَضَرَبُوا مشارِقَ الأَرضِ ومغارِبَهَا يَنْظُرُونَ : ماهَذَا الأَمْرُ الذي حالَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ خبَرِ السماءِ ؟ قالَ : فانْطَلَقَ الذينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بِنَخْلَةَ ، وهُوَ عامِدٌ إلى سوقِ عكَاظَ ، وهو يُصَلِّي بأَصحابِهِ صلاةَ الفَجْرِ . فلمَّا سَمِعوا القرآن تَسَمَّعُوا لَهُ ، فقالوا : هَذَا الذي حَالَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ خَبَرِ السماءِ ! فهنالِكَ رَجَعُوا إلى قَوْمِهِمْ ، فقالوا : ياقَوْمَنَا ، «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ، يَهْدِي

(١) «لايغسله الماء» : المقصود أن مَحْوَ القرآن من الصحف بالماء لا يؤثر فيه ولا يزيله ، لأن مكانه في الصدور ، والله سبحانه يَسَّر حِفظَه : «ولَقَدْ يَسَّرْنَا القرآنَ لِلذِّكْرِ» سورة القمر ، الآية ١٧ .

إلى الرُّشْدِ فآمَنَّا بِهِ ، ولَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » ، وأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجَلَّ على نبيِّهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ » ، وإنَّمَا أُوحِيَ إليْهِ قوْلُ الجنِّ) (سورة الجن ، الآيتان ١ و٢) .

(رواه الشيخان ، وأحمد والترمذى ، والنسائى ، واللفظ للبخارى فى تفسير سورة الجن) .

عن ابنِ عباسٍ رضى اللهُ عنهما قال : « كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكتابِ عنْ شيءٍ وكتابُكُمُ الذى أُنْزِلَ على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَحْدَثُ ، تَقْرَءُونَهُ مَحْضاً لَمْ يُشَبْ[1] . وقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الكتاب بَدَّلُوا كتابَ اللهِ وغَيَّرُوهُ ، وكَتَبُوا بأَيْدِيهِمُ الكتابَ ، وقالوا : هُوَ مِنْ عندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَليلا ! ألا يَنْهَاكُمْ ماجَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ ! لا واللهِ ما رأَيْنَا مِنْهُمْ رجلًا يَسْأَلُكُمْ عنِ الَّذِى أُنْزِلَ عليْكُمْ » .

(رواه البخارى فى باب « لاتسألوا أهل الكتاب عن شىء » من كتاب الاعتصام) .

عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ قالَ : (قالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضى اللهُ تباركَ وتعالىٰ عنهُ : خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ ، فوجدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِى إلى المسجدِ ، فقُمْتُ خَلْفَهُ ، فاسْتَفْتَحَ سورةَ الحاقَّةِ ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ تَأْلِيفِ القرآنِ ! قالَ : فقلْتُ : هَذَا واللهِ

---

(١) «مَحْضاً لَمْ يُشَبْ» : المحْضُ هو الخالص الذى لم يخالطه غيره . ولم يُشَبْ : تفسير لمحض ، أى لم يُخْلَط . والمعنى : أن أهل الكتاب بدلوا فى كتابهم وخلطوه بغيره ، وكتابكم ليس كذلك ، فكيف تسألونهم وتستفتونهم ، والمصدر الذى يرجعون إليه فى أجوبتهم مُبَدَّلٌ مُحَرَّف ؟ فهو نَهْيٌ للمسلمين عن سؤال أهل الكتاب شيئا .

شاعِرٌ كما قالتْ قريْشٌ ! قالَ : فقرَأَ : « إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُول كَرِيمٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ، قليلًا ما تُؤْمِنُونَ » قالَ : قلْتُ : كاهِنٌ ! قالَ : «وَلَا بِقَوْلِ كاهِنٍ قليلًا ما تَذَكَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(١) . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ(٢) . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ(٣) » . . . إلَى آخرِ السورةِ(٤) قالَ : فَوَقَعَ الإِسْلَامُ فِى قَلْبِى كُلَّ مَوْقِعٍ) سورة الحاقة ، الآيات ٤٠ — ٤٧ .

(رواه أحمد فى المسند ، والطبرانى فى الأوسط . قال الهيثمى : ورجاله ثقات ، إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر : الفتح الربانى ، ج٢٠)

عن عِكْرِمَةَ فِى قِصَّةِ الوَلِيدِ بن المُغِيرَةِ — وكَانَ زعيمَ قريشٍ فى الفَصَاحَةِ — أنهُ قالَ للنبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : اقْرَأْ عَلَيَّ . فَقَرَأَ عليهِ : «إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » ، قالَ : أَعِدْ ، فأَعادَ صلى اللهُ

---

(١) «لأخذنا منه باليمين» : اليمين هنا القوة والقدرة . والمعنى : لو أن محمدا صلى الله عليه وسلم قال شيئا من تلقاء نفسه ونسَبَه إلى الله تعالى لأخذه جل شأنه بقوته وقدرته عقاباً له

(٢) «ثم لقطعنا منه الوتين» : الوتين نياط القلب ، وهو عِرْق متصل به إذا انقطع مات صاحبه . أى لَوْ فعل محمد صلى الله عليه وسلم ما تقدمت الإشارة إليه ، لقطعنا نياط قلبه فيموت .

(٣) «فما منكم من أحد عنه حاجزين» : أى لايستطيع أحد منكم أن يحول بيننا وبين عقوبة محمد عليه الصلاة والسلام لو أنه جاراكم وتقوّل على الله مالم يَقُل .

(٤) «إلى آخر السورة» ، تمام السورة : «وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ . وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ . وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكَافِرِينَ . وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِين . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» — سورة الحاقة : الآيات ٤٠—٥٢

عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : واللهِ إنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً ، وإنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً (١) ، وإنَّ أَعْلَاهُ لمُثْمِرٌ ، وإنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ (٢) ، وما يقولُ هذا بَشَرٌ !! ثُمَّ قالَ لقومِهِ : واللهِ مافيكُمْ رجُلٌ أَعْلَمَ بالأشعارِ مِنِّى ، ولا أَعْلَمَ برَجَزِهِ ولا بأشعار الجنِّ مِنِّى ! واللهِ مايُشْبِهُ الذى يقولُ شيئاً مِنْ هذا ! واللهِ إنَّ لقَوْلِهِ الذى يقولُ لَحَلَاوَةً ، وإنَّ عليْهِ لَطَلَاوَةً ، وإنَّهُ لمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ ، وإنَّهُ ليَعْلو ولَا يُعْلَى عَلَيْهِ ، وإنَّهُ ليَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ !!

(رواه البيهقى مرسلًا) .

عن عكرمةَ أنَّ الوليدَ بْنَ المغيرةِ جاءَ إلى النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقرأَ عليْهِ القرآنَ ، فكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ ، فبلَغَ ذلكَ أَبا جَهْلِ بنِ هِشَامٍ ، فأَتاهُ فقالَ : أَىْ عَمِّ ، إنَّ قَوْمَكَ يريدونَ أَنْ يَجْمَعُوا لكَ مالاً . قالَ : لِمَ ؟ قالَ : يُعْطُونَكَهُ ، فإنَّكَ أتيتَ محمدًا تَتَعَرَّضُ لِمَا قِبَلَهُ . قالَ : قد عَلِمَتْ قريشٌ أَنِّى أَكْثَرُهَا مالاً . قالَ : فقُلْ فيهِ قولاً يعلَمُ قومُكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لمَا قالَ ، وأَنَّكَ كارهٌ لَهُ ! قالَ : فماذَا أَقولُ فيهِ ، فَوَاللهِ مامِنْكُمْ رجُلٌ أَعلمَ بالأشعارِ مِنِّى ، ولا أَعلمَ برجَزِهِ ولا بِقَصِيدِهِ ولا بأَشْعَارِ الجنِّ !!

---

(١) «وإن عليه لطلاوة» : طلاوة بفتح الطاء وضمها بَهْجَة ، أى أن القرآن الذى يتلوه محمد صلى الله عليه وسلم عليه بهجة .

(٢) «وإنَّ أسفله لمُغْدِق» : المُغْدِقُ هو الكثير ، يقال غَدِقَتِ العين غَدَقاً من باب تَعِب ، أى كثر ماؤها . والشجرة المغدِقَةُ هى التى لا ينقطع عنها المدد بأسباب الحياة من الرى وخصوبة الأرض . فالوليد بن المغيرة يُشَبِّه القرآن الذى سمعه من محمد صلى الله عليه وسلم بالشجرة فى الأرض الخصبة ، بجامع وفرة الثمر والإمداد بأسباب الحياة والبقاء فى كلٍّ .

واللهِ ما يُشبهُ الذى يقولُهُ شيئاً مِنْ هذا ! واللهِ إنَّ لِقَوْلِهِ الذى يقولُهُ لحَلَاوَةً! وإنَّهُ لَيَحْطِمُ(١) ما تَحْتَهُ ! وإنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى ! قالَ : واللهِ لا يَرْضَى قومُكَ حَتَّى تقولَ فيهِ . قالَ : فدَعْنِى حَتَّى أُفكِّرَ فيهِ . فلمَّا فكَّرَ قالَ : إنْ هَذَا إلَّا سِحْرٌ يُؤثِرُهُ عَنْ غَيْرِهِ ! فنَزَلَتْ : «ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا . وبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا(٢) . إِنَّهُ فكَّرَ وقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ(٣) . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ(٤) . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ . لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » سورة المدثر ، الآيات ١١ — ٣٠ .

(رواه ابن جرير . قال ابن كثير : وقد ذكر محمد بن اسحق وغير واحد نحوا من هذا) .

عن محمدِ بنِ كَعْبٍ قالَ : (حُدِّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ قالَ ذاتَ يوم ، وهوَ جالسٌ فى نادى قريش ؛ ورسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جالسٌ وحْدَهُ

---

(١) «وإنه ليَحْطِمُ ماتحته» : أى يكسر ماتحته من الكلام ، مهما بلغت فصاحته وحَطِمَ حَطَماً من باب تَعِب تكسَّر .

(٢) «سأُرهقه صَعُودًا» : أى سأُكلفه مشقة من العذاب ، أو جبلا من نار يصعد فيه ثم يهْوى أبدا .

(٣) «ثم عَبَسَ وَبَسَرَ» : عبس ، أى قبَضَ وجهه ضِيقاً بما يقول . وَبَسَرَ ، أى زاد فى القبض .

(٤) «ثم أدبر واستكبر» : أدبر عن الإيمان . واستكبر عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم

فِى المسجدِ: يا معشرَ قريش ، أَلَا أَقومُ إِلَى هذا فأَعْرِضَ عليهِ أُموراً ، لَعَلَّهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنَّا بعْضَها . ويَكُفَّ عَنَّا ، قالوا : بلَى يا أَبا الوَليدِ. فقامَ عتبةُ حَتَّى جلَسَ إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : يا ابنَ أخى ، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قد عَلِمْت مِنَ السِّطَةِ[1] فى العشيرةِ ، والمكانِ فى النسبِ ، وإِنَّكَ قدْ أَتيْتَ قومَكَ بِأَمْرٍ عظيمٍ فرَّقْتَ بهِ جماعَتَهُمْ ، وسفَّهْتَ بهِ أَحلامَهُمْ ، وعِبْتَ بهِ آلهتَهُمْ ودِينَهُمْ ، وكفَّرْت مَنْ مَضَى مِنْ آبائِهِمْ !! فاسْمَعْ مِنِّى أَعْرِض عليكَ أُموراً تَنْظُرُ فِيهَا ، لعلَّكَ تَقْبَلُ مِنَّا بعْضَها ! فقالَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «قُلْ يا أَبا الْوَلِيدِ ، أَسْمَعْ» ،قالَ : يا ابنَ أخى ، إنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهذَا تَطْلُب مَالًا ، جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَموالِنَا حَتَّى تكونَ أَكْثَرَنَا مالًا ، وإِنْ كُنْتَ تطلبُ الشرفَ فينا ، فَنَحْنُ نُسَوِّدُكَ عَلَيْنَا حتَّى لا نَقْطَعَ أَمْرًا دونَكَ ! وإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا ! وإِنْ كانَ هَذَا الأَمْرُ الذى يأْتيكَ رَئِيًّا[2] قَدْ غَلَب عليْكَ بَذَلْنَا أَمْوالَنَا فى طَلَب الطِّبِّ حَتَّى نُبْرِئَكَ أَوْ نُعْذَرَ[3] !!

فلَمَّا فرغَ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «أَفَرَغْتَ يا أَبا الْوَليدِ» ؟ قالَ : نَعَمْ . قالَ : «فاسْمَعْ مِنِّى» قالَ : فافْعَلْ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ

---

(١) «من السِّطَةِ فى العشيرة» : السطة هى السطوة . والمقصود أن عشيرتك بلغت من القوة والسطوة حدا بعيدا ، فمكانك منا عظيم لا يمكن إنكاره .

(٢) «رَئِيًّا» : أى تابعا من الجن . يعنى : إن كان هذا الذى يأتيك ، وتقول عنه إنه جبريل ، تابعاً من الجن ، خلصناك منه بالعلاج مهما كلفنا الأمر .

(٣) «حتى نبرئك أو نُعْذَرَ» : عَذَرَ يَعْذِرُ من باب ضرب . والمعنى : أننا نداوم على علاجك حتى نبرئك أو يُرفَعَ عنا اللوم .

عليهِ وسلَّمَ : « بسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . حٰمٓ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ... » ، فَمَضَى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَهَا عُتْبَةُ أَنْصَتَ لها ، وأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عليهما يَسْتَمِعُ مِنْهُ ، حَتَّى انْتَهَى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إِلَى السَّجْدَةِ[1] فَسَجَدَ فِيهَا . ثُمَّ قالَ : «سَمِعْتَ يا أَبا الوليدِ؟» قال : سمِعْتُ . قالَ :

---

(١) «إلى السجدة» : والآيات بتمامها هى : «حٰمٓ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِى آذَانِنَا وَقْرٌ ، وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ، فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ . قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَىَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ ، فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ، وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِين . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ . قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا . ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِنْ فَوْقِهَا ، وَبَارَكَ فِيهَا ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ، فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ . ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِىَ دُخَانٌ ، فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا . وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ، ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ . إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ . قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ . وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ، أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَرًا فِى أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ . لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْىِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ . وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ، فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا =

«فأَنْتَ وذاكَ» . فقامَ عُتْبَةُ إلى أصحابِهِ ، فقالَ بعضُهُمْ لبعض : نَحْلِفُ باللهِ لقَدْ جاءَكُمْ أبو الوليدِ بغَيْرِ الوجْهِ الذى ذهَبَ بهِ ! فلمَّا جلَسَ قالوا : ما وَرَاءَكَ يا أَبا الوليدِ ؟ . قالَ : واللهِ قد سمِعْتُ قوْلًا ماسمِعْتُ بمثلِهِ قَطُّ ! واللهِ ما هُوَ بالشِّعْرِ ولا بالسِّحْرِ ولا الكهانَةِ ! يامعشرَ قريش ، أطيعونى وخَلُّوا بين هذا الرَّجُلِ وبيْنَ ما هُوَ فيهِ ، فواللهِ ليكونَنَّ لقولِهِ الذى سمِعْتُ نَبَأٌ ، فإنْ تُصِبْهُ العربُ فقد كُفِيتُمُوهُ ، وإنْ يَظْهَرْ على العرب فمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ ، وعِزُّهُ عِزُّكُمْ ، وكُنْتُمْ أَسْعَدَ الناسِ بهِ !! قالوا : سَحَرَكَ يا أبا الوليدِ بلسانِهِ ! قالَ : هذا رَأْيِى فيهِ ، فاصنعوا ما بَدَا لَكُمْ»

(رواه البيهقى وغيره) .

= وكَانُوا يَتَّقُونَ . وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ، قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ، وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ . وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ . فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ، وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ . وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ، لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ . فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ، نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ . إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ ، =

عن عبدِ اللهِ بنِ الصَّامِتِ قالَ : قالَ أَبُو ذَرٍّ : (خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارٍ ، وكَانُوا يُحِلُّونَ الشهرَ الْحَرَامَ ، فَخَرَجْتُ أَنَا وأَخِي أُنَيْسٌ وأُمُّنَا ، فَنزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا ، فأَكْرَمَنَا خالُنَا وأَحْسَنَ إِلَيْنَا ، فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ ، فقالوا : إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خالَفَ إِلَيْهِمْ أُنَيْسٌ ! فَجَاءَ خالُنَا ، فَنَثَا[١] عَلَيْنَا الذى قِيلَ لَهُ ، فقُلْتُ : أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَدَّرْتَهُ ، وَلَا جِمَاعَ لَكَ فِيمَا بَعْدُ ! . فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا[٢] فاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا وتَغَطَّى خَالُنَا ثَوْبَهُ ، فَجَعَلَ يَبْكِي ! فَانْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ[٣] مَكَّةَ ، فَنَافَرَ[٤] أُنَيْسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا ، فَأَتَيَا الكاهِنَ ، فَخَيَّرَ أُنَيْساً ، فَأَتَانَا أُنَيْسٌ بِصِرْمَتِنَا ومِثْلِهَا مَعَهَا . قَالَ : وَقَدْ صَلَّيْتُ يا ابْنَ أَخِي قَبْلَ

=وَلَكُمْ فِيهَا مَاتَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَاتَدَّعُونَ . نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ . وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَما يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ، فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ، وَاسْجُدُوا لِلهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » .

(الآيات من أول سورة فصلت إلى الآية ٣٧) .

(١) «فنثا علينا الذى قيل له » نثا ، بنون ثم مثلثة ، أى أشاعه وأفشاه .

(٢) «فقربنا صرمتنا » ، بكسر الصاد القطعة من الإبل ، مابين العشرة إلى الأربعين . وتطلق أيضا على القطعة من الغنم . والمراد بها هنا الأول .

(٣) «بحضرة مكة » : حَضْرَةُ الشيء فِنَاؤه وقُرْبُه . أى حتى نزلنا بالقرب من مكة .

(٤) «فنافر أنيس عن صرمتنا » الخ ... : المنافرة هى المفاخرة والمحاكمة ، فيفخر كل واحد من الرجلين على الآخر ، ثم يتحاكمان إلى رجل ليحكم : أيهما خير وأعز نفرا.=

أنْ أَلْقَى رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بثلاثِ سنينَ. قلتُ : لِمَنْ ؟ قالَ : للهِ . قلتُ : فأَيْنَ تَوَجَّهُ ؟ قالَ : أَتَوَجَّهُ حيثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي ، أُصَلِّي عِشَاءً ، حتى إذا كانَ مِنْ آخرِ اللَّيْلِ أُلْقِيتُ كأَنِّي خِفَاءٌ[1] ، حَتَّى تَعْلُونِي الشمسُ ! فقالَ أُنَيْسٌ : إِنَّ لِي حاجَةً بمكَّةَ فَاكْفِنِي ، فانْطَلَقَ أُنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مكةَ ، فَرَاثَ[2] عَلَيَّ ، ثُمَّ جاءَ ، فقلتُ : ما صَنَعْتَ ؟ قالَ : لَقِيتُ رَجُلا بمكةَ عَلَى دِينِكَ ، يزعُمُ أَنَّ اللهَ أَرسلَهُ ! قلتُ : فَمَا يقولُ الناسُ ؟ قالَ : يقولون : شاعِرٌ ! كاهنٌ ! ساحرٌ ! وكانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشعَرَاءِ . قالَ أُنَيْسٌ : لقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الكَهَنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ ! وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ[3] الشِّعْرِ ، فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ ! واللهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ .

(مختصر من مسلم «فى فضائل أبى ذر رضى الله عنه») .

عن ابنِ عباس : (أَنَّ الوَلِيدَ بنَ المُغِيرةِ جَمَعَ قريشاً عندَ حُضور الموسِمِ وقالَ : إِنَّ وُفُودَ العربِ تَرِدُ ، وقَدْ سمِعُوا بأَمرِ صاحِبِكُمْ ، فأَجْمِعُوا فِيهِ

= وكانت هذه المفاخرة فى الشعر : أيهما أشعر ؟ ومعنى (نافر عن صرمتنا وعن مثلها) : تراهن هو وآخر ، أيهما أفضل؟ وكان الرهن صِرْمَةَ هذا وصرمة ذلك (أى جملة الصرمتين) فأيهما كان أفضل أخذ الصرمتين . فتحاكما إلى الكاهن ، فحكم بأن أنيسا أفضل ، وهو معنى قوله : (فخيَّر أنيسا) أى جعله الخيار والأفضل .

(١) «أُلقيت كأنى خِفَاء» ، بكسر الخاء المعجمة وتخفيف الفاء وبالمد : هو الكِسَاء . وجمعه أخفية ، ككساء وأكسية !

(٢) «فراث علىّ» : راث من باب باع ، أى أبطأ .

(٣) «أقراء الشعر» : أى طرقه وأنواعه . استقرأت الأشياء تتبعت أفرادها لمعرفة أحوالها وخواصها ، فكأنه قال : قارنت قول النبى صلى الله عليه وسلم بأنواع الشعر فما وجدته يشبه شيئاً منها .

رَأْيًا لايُكَذِّبُ بعضُكُمْ بعْضاً . فقالوا : نقولُ : إنَّهُ كاهِنٌ ! قالَ : واللهِ ماهُوَ بكاهِنٍ ، ما هو بزَمْزَمَتِهِ ولا سَجْعِهِ ! قالوا : مجنونٌ ! قالَ : ما هُوَ بمجنون ولا بخَنْقِهِ ولا بِوَسْوَسَتِهِ ! قالوا : فنقولُ : شاعِرٌ ! قالَ : وما هو بشاعِرٍ ، قَدْ عَرَفْنَا الشِّعْرَ كلَّهُ رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ ومَبْسُوطَهُ ومَقْبُوضَهُ[1] ما هُوَ بشاعِرٍ ! قالوا : فنقولُ : ساحرٌ ! قالَ : وما هُوَ بساحِرٍ ولا نَفْثِهِ[2] ولا عَقْدِهِ ! قالوا : فما تقولُ ؟ قالَ : واللهِ إنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً ، وإنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ، وإنَّ أَصْلَهُ لَعِذْقٌ[3] ، وإنَّ فَرْعَهُ لَجَنَاة[4] ، فما أَنتمْ قائِلُونَ مِنْ هذا شيْئًا إلَّا وأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ باطِلٌ ! وإنَّ أَقْرَبَ القَوْلِ فِيهِ أَنْ تقولوا : ساحِرٌ جاءَ بقولٍ هُوَ سِحْرٌ . يُفَرِّقُ بَيْنَ المرْءِ وأَبيهِ . وَبَيْنَ المرْءِ وأَخيهِ . وبَيْنَ المرءِ وزَوْجِهِ . وبيْنَ المرْءِ وعشِيرَتِهِ ! فَتَفَرَّقُو عنْهُ بِذَلِكَ . فَجَعَلُوا يَجْلِسُونَ لِسُبُلِ النَاسِ حِينَ قَدِمُوا الموسِمَ . لا يَمُرُّ بِهِمْ

---

(١) «رَجَزَهُ وهزَجه» إلخ : الرجز والهزج والقريض والمبسوط والمقبوض . هى أوزان الشعر وعِلَلُه .

(٢) «ولا نَفْثِه ولا عَقْدِه» : نَفَثَ من باب ضَرَبَ إذا بَزَق . ومنهم من يقول : إذا بزق ولا ريق معه . ونَفَثَ فى العُقْدَةِ عند الرُّقى . وهو البصاق اليسير . ويقال كذلك : نَفَثَه أى سَحَرَهُ . والمقصود : أننا لم نره يفعل فعل السحرة من النفث فى العُقَد .

(٣) «وإنَّ أَصْلَهُ لَعِذْقٌ» . العِذْقُ الكِبَاسَة . وهو جامع الشماريخ . والمقصود : أن أصل القرآن الذى يتلوه محمد صلى الله عليه وسلم كأصل النخلة : من حيث إن كُلًّا منهما جماع الخير .

(٤) «وإن فَرْعَهُ لَجَنَاة» : الْجَنَى ما يُجْنَى من الشجر مادام غَضًّا . وأَجنَت الأَرض كثر جَنَاها . والمعنى : أن القرآن مثمر رطب فى جميع الأوقات ، كالشجرة التى لا ينقطع ثمرها أبدا .

أحدٌ إلّا حذَّرُوهُ إيّاهُ ، وَذَكَرُوا لهُمْ أَمْرَهُ . فصَدَرَتِ العَرَبُ مِنْ ذلِكَ الموسِمِ بأَمْرِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فانْتَشَرَ ذِكْرُهُ فى بلادِ العربِ كلِّهَا) .

(رواه ابن إسحق . والبيهقى بإسناد جيد ، كما قاله الزرقانى فى «شرح المواهب») .

عن عَوْنِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ : (حَلَّ أصحابُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حِلَّةً[1] ، فقالوا : يا رسولَ اللهِ حَدِّثْنَا . فأَنْزَلَ اللهُ : «اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ»[2] ، ثُمَّ حَلُّوا حِلَّةً أُخْرَى ، فقالوا : يارسولَ اللهِ حَدِّثْنَا فَوْقَ الحديثِ ودُونَ القُرْآنِ — يَعْنُونَ الْقَصَصَ — فأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ : «الٓر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ» . فَأَرادُوا الحديثَ ، فَدَلَّهُمْ على أَحْسَنِ الحديثِ ، وأَرادوا الْقَصَصَ ، فدَلَّهُمْ عَلَى أَحْسَنِ الْقَصَصِ) الآيات ١ ، ٢ ، ٣ من سورة يوسف .

(البداية والنهاية لابن كثير ، جـ ٢ ، ص٤٦٧) .

---

(١) «حِلَّة» : الحلة بكسر الحاء وتشديد اللام المفتوحة ، معناها القوم النازلون بمكان . وتطلق الحِلَّة على البيوت مجازا ، تسمية للمحلِّ باسم الحال . وهى مائة بيت فما فوقها . والمقصود : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر مع أصحابه ، فلما نزلوا آخر النهار ببعض الأمكنة سألوه أن يحدِّثهم ... الخ .

(٢) سورة الزمر ، من الآية ٢٣ .

عنْ جابر قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ : «أمَّا بَعْدُ ، فَإنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كتابُ اللهِ ، وَخَيْرَ الهَدْى هَدْىُ محمد ، وشَرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وكُلُّ بِدْعَة ضَلَالَةٌ » .

(رواه مسلم) .

«الثانى – نزول القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم»

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ (١) – فى قَوْلِهِ تَعَالَى : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ (٢) شَفَتَيْهِ فقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكَ كَمَا كَانَ (٣) رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّكُهُمَا . وقَالَ سَعِيدٌ (٤) : أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ (٥) يُحَرِّكُهُمَا . فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ (٦) بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا

---

(١) ابن عباس : هو عبد الله الحبر ، ترجمان القرآن ، أبو الخلفاء . المتوفى بالطائف سنة ثمان وستين بعد أن عَمِى ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة . فى أيام ابن الزبير . وله فى البخارى مائتا حديث وسبعة عشر حديثا .

(٢) «مِمَّا يُحَرِّكُ شفتيه» : أى رُبَّمَا كان يفعل ذلك ، حتى لاينسى .

(٣) «كما كان رسول الله» الخ : من المعلوم أن ابن عباس لم ير النبى صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه ، لأن آية القيامة نزلت قبل مولده الذى كان قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وكان نزول الآية فى بدء الوحى ، ولذلك قال ابن عباس : «كما كان رسول الله» . ولم يقل : كما رأيت .

(٤) «وقال سعيد» : هو ابن جبير .

(٥) «كما رأيت ابن عباس» : وذلك لأن سعيدًا رأى ذلك من ابن عباس قطعا .

(٦) «لتعجل به» : لتأخذه على عجلة مخافة أن يَنْفَلِت منك .

جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا (١) قَرأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) ،قَالَ : فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ (٢) ، (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ (٣) . فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَرَأَ.

(أخرجه البخارى جـ ١ فى باب بدء الوحى) .

« الثالث – نزول القرآن بلغة قريش والعرب »

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ .فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » (٤) .

(البخارى ص٦٩ جـ٩) .

عَنْ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى ابْنِ مَسْعُود : « إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، فَأَقْرِىء النَّاسَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ لَا بِلُغَةِ هُذَيْلٍ » (٥) .

(رواه أبو داود) .

---

(١) « فإذا قرأناه » : أى قرأناه عليك بلسان جبريل .

(٢) « فاستمع له وأنصت » : تفسير لقوله تعالى : « فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ » .

(٣) ثم إن علينا أن تقرأه » : تفسير لقوله تعالى : « ثم إن علينا بيانه » .

(٤) نزل القرآن على سبعة أحرف جمعت أهم لغات العرب ولهجاتهم . ولسان قريش كان أفصح لسان فى العرب . لذلك نزل القرآن أول مانزل بلغة قريش . ثم أنزل عليه بسائر الحروف كما بين فى الحديث .

(٥) « ولابلغة هذيل » : هذيل من مضر ، وهو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وقيل : هذيل قبيلة من خِنْدِف . وإنما خص عمر هذيلا من بين قبائل العرب لاشتهارها بالفصاحة والشعر . فهى تقارب قريشا فى ذلك .

عَنْ أَنَسِ بْن مالِك قَالَ : (أَمَرَ عُثْمَانُ زَيْدَ بْنَ ثَابت وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْر وَعَبْدَ الرَّحْمَن بْنَ الْحَارِثِ بْن هِشَام أَنْ يَنْسُخُوهَا (١) فِى الْمَصَاحِفِ . وَقَالَ لَهُمْ : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابتٍ فِى عَرَبِيَّةٍ مِنْ عَرَبيَّةِ(٢) الْقُرْآنِ . فَاكْتُبُوهَا بِلِسانِ قُرَيْش ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزلَ بِلِسَانِهِمْ . فَفَعَلُوا) .

(البخارى ج٩ ص٧) .

عَنْ عُرْوَةَ بْن الزُّبَيْر أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَن بْنَ عَبْدِ الْقَارى حَدَّثَاهُ : أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب يَقُولُ : (سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِى حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ . فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوف كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ (٣) فِى الصَّلَاةِ ، فَتَبَصَّرْتُ (٤) حَتَّى سَلَّمَ . فَلَبَّبْتُهُ (٥) بردَائِهِ . فَقُلْتُ : مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِى سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ ؟ قَالَ : أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ :

---

(١) أن ينسخوها » : الآيات .

(٢) «فى عربية من عربية القرآن» : أى فى لهجة من لهجاته أو لغة من لغاته . يريد : إذا اختلفتم فى كلمة مثلا . هل هى بلسان حمير أو هذيل أو قريش . فاكتبوها بلغة قريش.

(٣) «فكدت أساوره» : المساورة هى المواثبة والمغالبة . ومقصوده : كدت أشتبك معه فى صراع .

(٤) «فتبصرت» : أى انتظرت .

(٥) «فلبَّبته بردائه» : لبَّة البعير منحره . وتستعمل هذه الكلمة فى كل ما يقابل هذا المكان من الحيوان والإنسان . والمعنى على هذا : (لببته بردائه) أخذت من ثيابه ما يقع على موضع اللبب .

كَذَبْتَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْر مَا قَرَأْتَ . فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : إِنِّى سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ» . ثُمَّ قَالَ : «اقْرَأْ يَاعُمَرُ» ، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِى أَقْرَأَنِى ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ . إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ») .

(البخارى ج٩ ص٢٠) .

«الرابع ـ الوصاية بالقرآن»

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّف ، قَالَ : (سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِى أَوْفَى رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا : هَلْ كَانَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَى ؟ فَقَالَ : لا .فَقُلْتُ : كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةُ ، أَوْ[1] أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ ؟ قَالَ : أَوْصَى بِكِتَابِ اللهِ[2] .

(رواه البخارى ج ٤ ص٣) .

عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «تَرَكْتُ فِيكُمْ بَعْدَ وَفَاتِى أَمْرَيْن ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ اللهِ

---

(١) «أَوْ» شك من الراوى فى أى اللفظين قال :

(٢) إنما سأله عن الوصيَّة فى المال فقال : لا . وذلك لأن ماتركه النبى صلى الله عليه وسلم لا وارث له : «نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ . مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ» . فلما اعترض المعترِضُ عليه بفَرْضِ الوصية أو بالأمر بها ، قال : أوصى بكتاب الله ، لأنه الموروث بعده إلى يوم القيامة .

وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ » . وَهَذَا الْبَلَاغُ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي ، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ » .

(وقد أخرجه ابن عبد البر من حديث كثير بن عبد الله بن عمر ابن عوف عن أبيه عن جده : شرح الزرقانى على الموطأ ص٨٦، جزء٤) .

عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ التَّيْمِيِّ قَالَ : (انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ صَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ : لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا ! رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ ، وَصَلَّيْتَ مَعَهُ . لَقَدْ رَأَيْتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا ! حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَبِرَتْ بِي سِنِّي ، وَقَدُمَ عَهْدِي ، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوهُ ، وَمَالَا فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ . ثُمَّ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْماً خَطِيباً فِينَا ، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأُجِيبَ ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ » ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ . قَالَ : « وَأَهْلُ بَيْتِي[1] ، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ

---

(١) الوصاية بأهل بيته أن يعرفوا لهم فضلهم ، ولا يخرجوهم فى الإطراء عن وضعهم =

بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» ، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ : وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ؟ قَالَ : إِنَّ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَكِنْ أَهْلَ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ . قَالَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالَ : آلُ عَلِيٍّ ، وَآلُ عَقِيلٍ ، وَآلُ جَعْفَرٍ ، وَآلُ عَبَّاسٍ . قَالَ : أَكُلُّ هٰؤُلاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ) .

(رواه أحمد : الفتح الربانى ص ١٨٥ جـ ١) .

«الخامس – عرض جبريل عليه السلام القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم» .

عَنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ : (أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ جِبْرِيلَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي») .

(البخارى معلقا جـ ٩ ص ٣٥) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : (كَانَ يُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنُ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً ، فَعُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ ، وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْرًا ، فَاعْتَكَفَ عِشْرِينَ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ) .

(البخارى جـ ٩ ص ٣٧) .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، لِأَنَّ

= ولا يكذبوا عليهم . وكأنه صلى الله عليه وسلم يحذر مما فعله الشيعة بأهل بيته عليه الصلاة والسلام من جانب . وما فعله بنو أمية بهم من جانب آخر .

جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِى كُلِّ لَيْلَةٍ فِى شَهْرِ رَمَضَانَ ، يَنْسَلِخُ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآن ، فَإِذَا لَقِيهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَد بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ!) .

(البخارى جـ٩ ص ٣٦) .

«السادس – كتابته فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم» .

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ ابْنَ السبَاقِ قَالَ : (إِنَّ زَيْدَ بْن ثَابِتٍ قَالَ : أَرْسَلَ إِلَىَّ أَبُو بَكْر رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّكَ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْىَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاتَّبِعِ الْقُرْآنَ . فَتَتَبَّعْتُ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ أَبِى خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِىِّ [١] ، لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ : «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ» ... إِلَى آخِرِهَا) [٢] .

(البخارى جـ٩ ص ١٨) .

«السابع – النهى عن كتابة غير القرآن»

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ

---

(١) أى وجدتها مكتوبة عنده ولم أجدها مكتوبة مع أحد غيره ، لأنه كان من مصدرين : الحفظ والكتابة .

(٢) إلى آخرها : هما الآيتان ١٢٨ ، ١٢٩ وتمامها : «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِىَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا تَكْتُبُوا عَنِّى شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ . مَنْ كَتَبَ شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ»[١] .

(أحمد جـ١ ص ١٧١ ومسلم) .

عَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ : (دَخَلَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، فَحَدَّثَهُ حَدِيثًا ، فَأَمَرَ إِنْسَانًا أَنْ يَكْتُبَ ، فَقَالَ زَيْدٌ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ نَكْتُبَ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ ، فَمَحَاهُ) .

(أحمد جـ ١ ص١٩٢) .

«الثامن — جَمْعُهُ فى عهد أبى بكر»

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِت رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : (أرسل إلىَّ أبو بكر الصديق ، مقتل أهل اليمامة[٢] ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : إِنَّ عُمَرَ أَتَانِى فَقَالَ : إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ[٣] ، وَإِنِّى أَخْشَى إِنِ اسْتَمَرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِى الْمُوَاطِنِ[٤]

---

(١) وذلك خوف أن يختلط بالقرآن قبل تواتره ، أمَّا إذا تواتر القرآن ، فقد أجمع من يعتد بإجماعهم على جوازه بل على وجوبه الكفائى ، لأن فيه صونا للسنة من الضياع ، وبصيانتها تحفظ شريعة الله .

(٢) يريد فى الواقعة التى اشتبك فيها المسلمون بمسيلمة الكذاب ، فى أهل اليمامة ، زمن الردة .

(٣) أى اشتد وكثر . قيل : قتل من الصحابة سبعمائة ، وقيل أكثر .

(٤) أى فى الأماكن التى يحصل فيها القتال .

فَيَذْهَبُ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ(١) . وَإِنِّى أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ . قُلْتُ لِعُمَرَ : كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢) قَالَ عُمَرُ : هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ . فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِى ، حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِى لِذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ فِى ذَلِكَ الَّذِى رَأَى عُمَرُ . . قَالَ زَيْدٌ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ ، لَانَتَّهِمُكَ ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْىَ(٣) لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ . . . فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِى نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَىَّ مِمَّا أَمَرَنِى بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ ! قُلْتُ : كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ . فَلَمْ يَزَلْ أَبُوبَكْرٍ يُرَاجِعُنِى حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِى لِلَّذِى شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ، فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ(٤) ، وَاللِّخَافِ(٥) ، وَصُدُورِ

---

(١) أى بذهاب حملته . والمراد . يقل عن عدد التواتر فى نقل القرآن الكريم . وإذا قل عن عدد التواتر كان ظنيا فلا يؤمن الغلط فيه . أما لوجمع ممن يستحيل تواطوهم على الكذب أخذ هذا المجموع صبغة التواتر ، فيؤمن الرجوع إليه .

(٢) إنما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم . لأن النزول كان يتجدد يوما فيوما ، فاكتفى بكتابته بين يديه صلى الله عليه وسلم . وكتابة الصحابة له ، وحفظهم إياه . وألهم الله الخلفاء من بعده بجمعه فى مصحف واحد .

(٣) ذكر الصفات الأربعة التى تؤهله لأن يتولى هذه المهمة الخطيرة . أما كونه شابا فلأنه يكون أنشط فيما يطلب منه . وأما كونه عاقلا فلأنه يكون أوعى له . وكونه لايتهم يجعل النفس تطمئن إليه ، وكونه كان يكتب الوحى يجعله بمأمن من الخطإ لكثرة ممارسته له

(٤) جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض .

(٥) الحجارة الرقيقة .

الرِّجَالِ[١] حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ[٢] : «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ» حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَة فَكَانَتْ الصُّحُفُ) عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ . ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) .

(أخرجه البخارى ج٩ ص٨) .

«التاسع – جمعه فى عهد عثمان»

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عَهْدِ عُثْمَانَ ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ ، مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ . فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ والنَّصَارَى ! فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ . فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الحٰرِثِ بْنِ هِشَامٍ ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ . وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ . فَفَعَلُوا ، حَتَّى إِذا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ . وأَرْسَلَ

---

(١) أى حفظهم . يريد : أنه كان يجمع بين المكتوب والمحفوظ ، حتى يكون كل منهما مؤيدا للآخر .

(٢) يريد لَمْ أجدها مكتوبة عند أحد غيره . وإلا فهو كان يحفظها . وغيره كثير مثله ، فكانوا لا يكتبون إلا ماتواتر عندهم .

إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا ، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِى كُلِّ صَحِيفَةٍ أَو مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ . قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وأَخْبَرَنِى خَارِجَةُ بْنُ زَيْد بْنِ ثَابِت : سَمِعَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ قالَ : فَقِدَتْ (١) آيَةٌ مِنَ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ ، قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا ، فَالْتَمَسْنَاهَا ، فَوَجَدْنَاهَا (٢) مَعَ خُزَيْمَةَ بْن ثَابِتٍ الْأَنْصَارِىِّ : «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ (٣) » ، فَأَلْحَقْنَاهَا فِى سُورَتِهَا فِى الْمُصْحَفِ».

(رواه البخارى جـ٦ ص ١٨٤ – الفتح الربانى جـ٩ ص١٦)

«العاشر – الكتب المنزلة على الرسل وهيمنة القرآن الكريم عليها»

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ ، يَقُولُ : «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إلى غُرُوب الشَّمْسِ . أُعْطِىَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ . ثُمَّ عَجَزُوا ، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطاً (٤) ، ثُمَّ أُعْطِىَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صَلَاةَ الْعَصْرِ ، ثُمَّ عَجَزُوا . فَأُعْطُوا قِيرَاطاً قِيراطاً ، ثُمَّ أُعْطِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غُرُوبَ الشَّمْسِ . فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ (٥) .

---

(١) أى من نسخة حفصة . (٢) أى مكتوبة .

(٣) هى الاية رقم ٢٣ من سورة الأحزاب ، وتمامها : «مِنَ الْمُؤْمِنِين رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» .

(٤) القيراط جزء من أجزاء الدينار ، وأهل الشام يجعلونه جزءًا من أربعة وعشرين . والمقصود أنهم أعطوا من الأجر ما يوازى عملهم . (٥) المراد مضاعفة الجزاء .

قَالَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ : رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَقَلُّ عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا ! . قَالَ : هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟ قَالُوا : لا . فَقَالَ : فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ ») .

(البخارى ١٣٨ج١٣) .

عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : (ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَقَالَ : « وَذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ » ، قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ : وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا ، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ أُمِّ لَبِيدٍ ، إِنْ كُنْتُ لَأُرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ الرِّجَالِ بِالْمَدِينَةِ ! . أَوَ لَيْسَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ، لَا يَنْتَفِعُونَ مِمَّا فِيهِمَا بِشَيْءٍ (١) ؟ ! ») .

(أحمد ص ١٨٢ ج١) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا آوَى إِلَى فِرَاشِهِ : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ ، وَرَبَّ الأَرْضِ ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا ، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الْحَبِّ والنَّوَى ، ومُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ

---

(١) أما اليهود فأخذوا بأحكام التلمود . وادعوا أنه شرح للروايات اللسانية (المشنا) التي تلقوها عن موسى عليه السلام ، وهو من وضع أحبارهم ، وتركوا التوراة . وأما النصارى فاتبعوا رسائل من سموهم حواريين : بولس وبطرس وغيرهما ، وتركوا نصوص الإنجيل ، وأولوا جميع أحكام التوراة ، فغضب الله على اليهود لتركهم كتاب الله إلى غيره ، وضل النصارى عن كتب ربهم بتأويلاتهم الكاذبة ، فكلا الفريقين لم ينتفع بكتابه ! .

آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ (١) . اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ (٢) فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ (٣) ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ (٤) ، فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ . اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ (٥) ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ » .

(أخرجه مسلم فى باب الدعاء عند النوم) .

عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : (جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ مِنْ قُرَيْظَةَ ، فَكَتَبَ لِي جَوَامِعَ مِنَ التَّوْرَاةِ — أَلَا أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ ؟ قَالَ : فَتَغَيَّرَ (٦) وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! قَالَ عَبْدُ اللهِ : فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ عُمَرُ :

---

(١) «أنت آخذ بناصيته» : أى من شر كل شىء من المخلوقات ، لأنها كلها فى سلطانه ، وهو آخذ بنواصيها .

(٢) «وأنت الآخر» أى الباقى بصفاته ، من العلم والقدرة وغيرهما ، التى كان عليها فى الأزل ، ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقُدرهم وحواسهم وتفرق أجسامهم .

(٣) «وأنت الظاهر» : هو من الظهور ، بمعنى القهر والغلبة وكمال القدرة . ومنه ظهر فلان على فلان .

(٤) «وأنت الباطن» : أى المحتجب عن خلقه . وقيل : العالم بالخفيات .

(٥) «اقض عنا الدين» : يحتمل أن المراد بالدين هنا حقوق الله وحقوق العباد كلها من جميع الأنواع .

(٦) «تغير وجه رسول الله» : وذلك إنكار على عمر لأخذه من اليهودى .

رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولاً .
فَسُرِّىَ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى . ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِى ، لَضَلَلْتُمْ ! إِنَّكُمْ حَظِّى مِنَ الْأُمَمِ (١) ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ») .

(أحمد جـ١ ص ١٧٦) .

---

(١) فمن اتبع رسولا سواه من منذ بعث إلى يوم القيامة لايقبل منه ، مصداق ذلك قوله تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ؛ وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

الفصل الثانى

«وقوع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات دليلٌ على صدقه صلى الله عليه وسلم فى نبوته»

عن عَدِىٍّ بنِ حاتِمٍ قالَ : (بَيْنَا أنا عِنْدَ النبىِّ صلىالله عليهِ وسلَّمَ ، إذْ أتاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إليْهِ الفاقَةَ ، ثُمَّ أتاهُ آخَرُ فَشَكا قَطْعَ السَّبِيلِ ، فقالَ : «ياعَدِىُّ ، هلْ رأيْتَ الحِيرَةَ» ؟ قلتُ : لَمْ أرَهَا ، وقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا . قالَ : «فَإنْ طالَتْ بِكَ حَياةٌ لتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ[1] تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ[2] حَتَّى تَطُوفَ بالكعبةِ ، لاتخافُ أحَدًا إلَّا اللهَ» . قلْتُ فيما بَيْنِى وبَيْنَ نَفْسِى : فأَين دُعَّارُ[3] طَيِّىءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا[4] البلادَ ؟ «ولَئِنْ طالَتْ بِكَ حياةٌ لَتُفْتَحَنَّ كنوزُ كِسْرَى» قلت : كِسْرى بنُ هِرْمُزَ ؟ قال : «كِسْرَى بنُ هِرْمُزَ . ولئِنْ طالَتْ بِكَ حياةٌ لتَرَيَنَّ الرجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أوْ فِضَّة ، يطلُبُ مَنْ يقبَلُهُ مِنْهُ ، فلا يَجِدُ

---

(١) «الظعينة» : الطعينة هى المرأة . لأن زوجها يظعن بها . أى يرتحل بها . والظَّعْن الارتحال .

(٢) «الحيرة» : بكسر الحاء ، بلد قريب من الكوفة .

(٣) «فأين دُعَّارُ طَيِّىءٍ» : الدعار جمع داعر . والمقصود به هنا الرجل الشرس .

(٤) «سَعَّرُوا البلاد» : سَعَرَت النارُ سَعْرا . وأسْعَرْتُها إسعارا أوقدْتُهَا . وهذه الجملة صفة لقوله قبل ذلك «دُعَّارُ طيىء» . ولعل المقصود أن هؤلاء الناس ، لشراستهم وغلظ طباعهم ، يشعلون نيران الفتن والحروب بما يقومون به من قطع الطريق ، والإغارات على القبائل الأخرى ، أى أنهم لن يكون لهم وجود بعد سيادة الإسلام واستتباب الأمن .

أحدًا يقبَلُهُ مِنهُ ! ولَيَلْقَيَنَّ اللهَ أحدُكُمْ يومَ يَلْقَاهُ وليْسَ بَيْنَهُ وبيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ ، فيقولَنَّ : أَلَمْ أَبْعَثْ إليكَ رسولًا فيُبَلِّغكَ ؟ فيقولُ : بلَى ، فيقولُ : أَلَمْ أُعْطِكَ مالًا وَوَلَدًا وأُفْضِلْ عليْكَ ؟ فيقولُ : بلَى . فينظُرُ عنْ يمينِهِ فلا يَرَى إلَّا جهَنَّمَ ، وينظُرُ عن يَسَارِهِ فلا يَرَى إلَّا جهنمَ » ! قالَ عَدِيٌّ : سمعتُ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ : «اتَّقوا النارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ . فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّ تَمْرَة فبِكَلِمَة طيبةٍ » . قالَ عَدِيٌّ : فرأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتحِلُ مِنَ الحِيرَةِ : حتَّى تَطُوفَ بالكعبةِ لاتخافُ إلَّا اللهَ ! وكُنْتُ فيمَنِ افْتَتَحَ كنوزَ كِسْرَى بن هِرْمُزَ ! ولئِنْ طالتْ بِكُمْ حياةٌ لتَرَوُنَّ ما قالَ النبيُّ أبو القاسِمِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ : يُخرِجُ مِلءَ كَفِّهِ ... ») .

(رواه البخارى فى علامات النبوة ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، ج٤) .

عن أَبِي هريرةَ رضى اللهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «إذا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ ، وإذا هَلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، والَّذِي نَفْسِي بيدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فى سبيلِ اللهِ » .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى فى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم «أحلت لكم الغنائم» من كتاب الجهاد ، ومسلم رواه فى كتاب الفتن ، ورروياه عن جابر بن سمرة أيضا) .

عن أَبِي سعيد رضى الله عنه أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «لتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وذِرَاعاً بِذِرَاع ، حتَّى لَوْ سَلَكُوا

جُحْرَ ضَبٍّ[1] لسلكْتُمُوهُ » ! قُلْنَا : يا رسولَ اللهِ ، اليهودَ والنصارَى ؟ قالَ : « فَمَنْ » ؟

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى فى باب « ماذكر عن بنى إسرائيل » ، ومسلم رواه فى « كتاب العلم »)

عن أبى هريرة رضى الله عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ نَعَى[2] لَهُمُ النَّجَاشِيَّ صاحِبَ الحَبَشَةِ فِى اليومِ الذى مَاتَ فِيهِ ، وقالَ : « اسْتَغْفِروا لِأَخيكُمْ » .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى » .

عن جابرٍ رضى اللهُ عنهُ : قالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حِينَ مات النجاشِيُّ : « ماتَ اليوْمَ رجُلٌ صالحٌ ، فقومُوا فصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ[3] أصحمة[4] » .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى) .

---

(١) « جُحْرَضَبٍّ » : الضب دابة . وهى أنواع تتفاوت فى الصغر والكبر . حتى إن منها ما يكون دون العَنْزِ . وسياق الحديث يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم يقصد أصغرها حجماً ، فهو يخبر بأنه سيأتى على المسلمين وقت يبالغون فى التشبه بغيرهم ومتابعتهم أينما ساروا ، حتى لو دخلوا جُحْر هذه الدابة الضئيلة لدخله المسلمون وراءهم .

(٢) « نَعَى لهم النجاشى » : نَعَى من باب نَفَعَ . أَخْبَرَ بموته . والمعنى : أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبرهم بموت النجاشى فى نفس اليوم الذى مات فيه . من غير أن يخبره بذلك أحد من الناس .

(٣) « فصَلّوا على أخيكم » : أى صلاة الجنازة . وهى المعروفة بصلاة الغائب . وذلك بأن يصفَّ الإمامُ الناسَ صفوفاً ويصلى بهم على الميت الغائب صلاة الجنازة ، كأن نعشه أمامهم .

(٤) « أصحمة » : هو اسم ملك الحبشة الذى نعاه النبى صلى الله عليه وسلم .

عنْ أَبِي هريرةَ (أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ علَى حِراءٍ ، هو وأبوبَكْر وعُمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبيرُ ، فتحركت الصخرةُ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : «إهْدَأْ فما عليكَ إلَّا نبي أَوْ صدّيقٌ أَوْ شهيدٌ[١]» . وفي رواية عنه أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ كانَ على جبلِ حِراءٍ . فتحرَّكَ . فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «اسْكُن حِراءُ ، فما عليكَ إلَّا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أَوْ شَهيدٌ» ، وعليهِ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطلْحةُ والزبيرُ وسعدُ بنُ أبي وقاص) .

(رواهما مسلم في فضائل طلحة والزبير رضى الله عنهما) .

عن أَبِي سفيانَ عن جابرٍ (أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قَدِمَ المدينةَ مِنْ سفَر ، فلمَّا كانَ قُرْبَ المدينةِ هاجَتْ ريحٌ شديدةٌ تكادُ أَنْ تَدْفِنَ الراكبَ . فزعمَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «بُعِثَتْ هذه الريحُ لموتِ منافق» ، فلمَّا قَدِمَ المدينةَ فإذا منافقٌ عظيمٌ من المنافقين قَدْ ماتَ) ! .

(رواه مسلم «في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم» أواخر صحيحه)

---

(١) «نَبِيٌّ أو صِدِّيق أو شهيدٌ» : يشير بقوله : (نبي) إلى نفسه عليه الصلاة والسلام ، وبقوله : (أوصديق) إلى أبي بكر ، وبقوله : (أوشهيد) إلى عمر ، ومن المعروف أنه قُتل شهيدا وهو يؤم الناس في صلاة الصبح بالمسجد . قتله أبو لولوة المجوسى ، تنفيذًا لوعيده . وأما العبارة التي في الرواية الثانية ، فهو عليه السلام يشير إلى من تقدم ذكرهم . وإلى عثمان وعلي وطلحة والزبير بقوله : (أوشهيد) ، فإنهم جميعا قُتِلوا على النحو المعروف ، في الفتن أو الغزوات .

عنْ أَبِي ذَرٍّ قالَ ، (قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «إنكُمْ ستَفْتَحُونَ مِصْرَ . وهِيَ أرضٌ يُسَمَّى فيها القيراطُ ، فإذا فَتَحْتُموها فأَحْسِنوا إلى أَهْلِهَا ، فإنَّ لهُمْ ذِمَّةً ورَحِماً» ، أَوْ قالَ : «ذمةً وصِهْرًا» ، «فإذا رأَيْتَ رجلَيْنِ يختَصِمَانِ فيها في مَوْضِعِ لَبِنَة فاخرُجْ مِنْهَا» ، قالَ : فرأَيْتُ عبدَ الرحمن بنَ شرحْبِيلَ بن حَسَنَةَ ، وأخاهُ ، رَبيعةَ ، يختصمانِ في موضِعِ لَبِنَة ، فخرجْتُ مِنْها) .

(رواه مسلم في «باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر»)

عن جابر رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : (قالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «هل لكُمْ مِنْ أنْمَاطٍ»[1] ؟ قلْتُ : وأنَّى يكونُ لَنَا الأَنْماطُ : قالَ : «أما إنَّهُ سيكونُ لكُمُ الأنماطُ» ، فأَنَا أقولُ لها — يَعْني امرأَتَهُ — : أَخِّرِى عَنِّى أنْماطَكِ . فتَقولُ : أَلَمْ يَقُلِ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّهَا ستكونُ لكمُ الأنماطُ . فأَدعها) .

(رواه الشيخان . واللفظ للبخارى في «باب علامات النبوة في الإسلام»).

عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضى اللهُ عنه قالَ : (انْطَلَقَ سعدُ بنُ مُعاذ مُعْتَمِرًا ، قالَ : فنزلَ علَى أُمَيَّةَ بنِ خلَف أَبِي صَفْوَانَ . وكانَ أُمَيَّةُ إذا انْطَلَقَ إلى الشامِ فمَرَّ بالمدينةِ نزلَ علَى سعْد ، فقالَ أُميةُ لسعد : انْتَظِرْ حتَّى إذَا انْتَصفَ النهارُ وغَفَلَ الناسُ . انطلَقْتَ فطُفْتَ[2] . فَبَيْنَا سعدُ

---

(١) «أنماط» : أنماط جمع نَمط . بفتح النون والميم . وهو ثوب من صوف ذو لون من الألوان . والمقصود أنه تحقق بهذا الحديث ما أخبر عليه الصلاة والسلام بوقوعه في المستقبل : أنه ستكون لهم الأنماط .

(٢) كان سعد قد طلب من أمية أن يتحرى له وقتا مناسبا للطواف بالكعبة . فأرشده أمية إلى وقت الظهيرة ، حيث يَقيلُ الناس ولا يتنبه إليه أحد من قريش فيؤذيه .

يطوفُ ، إذا أَبو جَهْل ، فقال : مَنْ هَذا الَّذِى يطوفُ بالكعبةِ ؟ فقالَ سعدٌ : أَنا سعدٌ . فقالَ أَبو جهل : تطوفُ بالكعبةِ آمناً وقد آوَيْتُمْ محمدا وأَصحابَهُ ! فقالَ : نَعَمْ . فَتَلاحيا(١) بَيْنَهُما ، فقال أُميةُ لسعد : لا تَرْفَعْ صَوتَكَ عَلَى أَبِى الْحَكَمِ ، فإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوادِى ثُمَّ قالَ سَعْدٌ : واللهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِى أَنْ أَطُوفَ بالْبَيْتِ ، لأَقْطَعَنَّ مَتْجَرَكَ بالشَّامِ قالَ : فجعل أُمَيَّةُ يقولُ لِسعدٍ : لا ترفعْ صَوْتَكَ ، وجعل يُمْسِكُهُ ، فغضبَ سعدٌ فقالَ : دَعْنَا عَنْكَ فإِنى سَمِعْتُ محمدًا صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يَزْعُمُ أَنَّهُ قاتِلُك ! قالَ : إِيَّاىَ ؟ ! قالَ : نعَمْ . قالَ : واللهِ ما يَكْذِبُ محمدٌ إِذَا حَدَّثَ ! فرجَعَ إِلى امْرَأَتِهِ فقالَ : أَمَا تعْلَمِينَ ما قالَ لى أَخِى اليثربىُّ ؟ قالتْ : وما قالَ ؟ قالَ : زعَمَ أَنَّهُ سمِعَ محمدا صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يزعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِى ! قالتْ : فواللهِ ما يكْذِبُ محمدٌ . قالَ : فلَمَّا خرَجوا إِلى بَدْر ، وجاءَ الصَّرِيخُ ، قالَتْ لهُ امرأَتُهُ : أَمَا ذَكَرْتَ ما قالَ لكَ أَخوكَ اليَثْرِبِىُّ ؟ قالَ : فأَرادَ أَلَّا يَخْرُجَ ، فقالَ لهُ أَبو جهل : إِنكَ مِنْ أَشرافِ الْوَادِى ، فَسِرْ يوْماً أَوْ يَوْمَيْنِ ، فسارَ معهُمْ فَقَتَلَهُ اللهُ) .

(رواه البخارى فى «باب علامات النبوة فى الإِسلام») .

عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ (أَنَّ النبىَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خرجَ يوماً فصَلَّى علَى أَهْلِ أُحُد صلاتَهُ علَى الميِّتِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلى المنْبَرِ فقالَ : «إِنِّى فَرَطُكُمْ»(٢) وأَنَا شهيدٌ عليكُمْ . إِنِّى واللهِ لأَنْظُرُ إِلى حَوْضِى الآنَ ، وإِنِّى قدْ أُعطِيتُ

---

(١) «فتلاحيا» : أى ارتفعت أصواتهما .

(٢) «إِنى فرطكم» : الفَرَطُ هو المتقدم فى طلب الماء . والمقصود : أن النبى صلى الله عليه وسلم يتقدم أمته إِلى الحوض .

مَفَاتِيحَ خزائن[1] الأَرضِ ، وإنِّى واللهِ ما أخافُ بَعْدِى أَنْ تُشْرِكُوا ، ولكنْ أخافُ أَنْ تَنَافَسوا فِيها ! ») .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى فى «باب علامات النبوة فى الإسلام» ، ومسلم رواه فى «باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته») .

عن أَبى هريرةَ رضى اللهُ عنهُ قالَ : (سمعتُ الصادِقَ المصْدوقَ يقولُ : «هلاكُ أُمَّتِى علَى أَيْدى غِلْمَة من قريش»[2] ، فقالَ مروانُ : غِلْمَة ؟ قالَ أَبو هريرةَ : إنْ شِئْتَ أَنْ أُسَمِّيَهُمْ بَنِى فلان وبنى فلان) .

(رواه الشيخان واللفظ للبخارى فى «باب علامات النبوة فى الإسلام» ومسلم أخرجه فى «كتاب الفتن» بلفظ : «يُهْلِكُ أُمَّتِى هَذَا الْحَىُّ مِنْ قُرَيْش . قالوا : فما تَأْمُرُنَا ؟ قالَ : لَوْ أَنَّ الناسَ اعْتَزلوهُمْ») .

(رواه البخارى ، جـ٤ ، ص ١٩٩) .

عن شقِيق ، عنْ حُذَيْفَةَ ، قالَ : (كُنا عِندَ عُمرَ فقالَ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حديثَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فى الفِتْنَةِ كما قالَ ؟ . قالَ : فقلتُ : أنا . قالَ : إنَّكَ لجَرِىءٌ ! وكيفَ قالَ ؟ قالَ : قلتُ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يقولُ : «فتنةُ الرجُلِ فى أهلِهِ . ومالِهِ ، ونفسِهِ ، وولدِهِ ، وجارِهِ ، يُكَفِّرُهَا الصيامُ . والصلاةُ . والصدقةُ ،

---

(١) «مفاتيح خزائن الأرض» : إشارة إلى ما سيصل إليه ملك المسلمين فى الأرض . وقد تحقق قوله بهذه الفتوحات العظيمة التى تمت فى عهد الخلفاء .

(٢) «على أيدى غلمة من قريش» : هذا الحديث والأحاديث بعده ، تشير كلها إلى الفتنة التى ابتدأت بقتل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه . وما تلا ذلك من انقسام المسلمين إلى معسكرين : يقود أحدهما علىٌّ والآخر معاوية .

والأمرُ بالمعروفِ . والنهىُ عن المنكرِ » . فقالَ عمرُ : ليس هذا أُريدُ ، إنَّما أُرِيدُ التى تمُوجُ كموْجِ البحْرِ . قالَ : فقلتُ : مالَكَ ولها يا أَميرَ المؤمنينَ ! إنَّ بينَكَ وبيْنَها باباً مُغْلَقاً . قالَ : أفيُكْسَرُ البابُ أَمْ يُفْتَحُ ؟ قال : قلتُ : لَا بَلْ يُكْسَرُ . قالَ : ذلكَ أحْرَى ألَّا يُغْلَقَ أبدًا . قالَ : فقُلْنَا لحذيْفةَ : هل كانَ عمرُ يعلمُ مَن البابُ ؟ قالَ : نعمْ ، كما يعْلمُ أنَّ دون غدٍ الليلةَ ! إنِّى حدَّثْتُهُ حديثاً ليسَ بالأَغاليطِ . قالَ : فهبْنَا أن نَسْأَلَ حذيْفَةَ : مَنِ البابُ ؟ فقُلنا لمسروق : سَلْهُ . فسأَلَهُ ، فقالَ : عُمَرُ !.) .

(أخرجه الشيخان ، واللفظ لمسلم فى « كتاب الفتن » من صحيحه ، والبخارى أخرجه فى «باب علامات النبوة فى الإسلام ») .

عن أَبِى هريرةَ رضىَ اللهُ عنهُ عنِ النبىِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «لا تقومُ الساعةُ حتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتانِ ، فيكونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عظيمةٌ ، دعواهما واحدة . ولا تقوم الساعةُ حتى يُبعثَ دجا لون كذابون ، قريبًا مِنْ ثلاثينَ ، كلُّهمْ يزعمُ أنهُ رسولُ اللهِ » .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى فى «علامات النبوة» ، ومسلم رواه فى «الفتن» حديثين اثنين) .

عن أَبِى بَكْرَةَ رضى اللهُ عنهُ : (أَخْرَجَ النبىُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذاتَ يوم الْحَسَنَ فَصَعِدَ بهِ علَى المِنْبَر فقالَ : «ابْنِى هَذا سَيِّدٌ ، ولَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ به[1] بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المسلمينَ ») .

(رواه البخارى ، جـ٤ ، ص ٢٠٥) .

---

(١) «يصلح به بين فئتين عظيمتين» : إشارة إلى صنيع الحسن رضى الله عنه بعد ذلك ، فإنه لمَّا آلت إليه الخلافة تنازل عنها لمعاوية . حَقناً لدماء المسلمين .

عن أنس رضى اللهُ عنهُ ، (أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ نَعَى زَيْدًا وجعْفَرًا وابْنَ رَوَاحَةَ للناسِ ، قَبْلَ أنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ ، فقالَ : «أَخَذَ الرايةَ زيدٌ فأُصِيبَ ، ثُمَّ أخذَهَا جعفرٌ فأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَها ابْنُ رَوَاحَةَ فأُصيب وعيناه تذرفان ، حَتَّى أَخَذَهَا سيفٌ[١] مِنَ سُيوفِ اللهِ ، حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ») .

(رواه البخارى فى «مناقب خالد بن الوليد وفى غزوة مؤتة») .

عنْ أَبِي سعيد الخُدْرىِّ رضى اللهُ عنهُ ، قال : (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا[٢] ، أتاهُ ذو الخُوَيْصِرَةِ[٣] ، وهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، اعْدِلْ . فقالَ : «وَيْلَكَ !

---

(١) «حتى أخذها سيفٌ من سيوف الله» : المقصود به خالد بن الوليد . فإن الجيش جعل له القيادة بعد استشهاد الثلاثة ، ودبَّر خطة بارعة لينسحب المسلمون انسحابا يعتبر نصرًا مبينا ، كما هو معروف فى موضعه .

(٢) «وهو يَقْسِمُ قسما» : هذا الذى كان يقسمه النبى صلى الله عليه وسلم ذَهَبٌ بعث به على بن أبى طالب رضى الله عنه من اليمن . فقسمه عليه الصلاة والسلام بين أربعة نَفَرٍ .

(٣) «ذو الخويصرة» : بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وسكون الياء وكسر الصاد ، هو حرقوص بن زهير التميمى . ذكر الطبرى أن له فى فتوح العراق أثرا . وأنه الذى افتتح سوق الأهواز ، ثم كان مع على فى حروبه ثم صار مع الخوارج فقُتِلَ معهم .

والخوارج طائفة خرجت عن الدين وابتدعت فيه . وهم من أهل العراق . وأَوَّلُ أمرهم أن بعض أهل العراق أنكروا سيرة بعض أقارب عثمان . فطعنوا فى عثمان بذلك ، وكان يقال لهم القُرَّاء لشدة اجتهادهم فى التلاوة والعبادة ، إلَّا أنهم يتأولون القرآن على غير المراد منه ، ويستبدون بآرائهم ، ويبالغون فى الزهد والخشوع . فلما قُتل عثمان قاتلوا مع على . ولمَّا حدث ما حدث بين على ومعاوية ، ورفع أهل الشام المصاحف ، وطلبوا الاحتكام إلى كتاب الله =

وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ ! » ، فقال عُمَرُ : يا رسولَ اللهِ ، إِيذَنْ لِي فيهِ فأضربَ عنقَهُ ؟ فقالَ : « دَعْهُ ، فإنَّ لَهُ أَصْحَاباً (١) يَحْقِرُ أَحدُكُمْ صلاتَهُ معَ صَلاتِهِمْ ، وصيامَهُ مع صِيَامِهِمْ . يَقْرَءُونَ القرآنَ لايُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ (٢) ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، ينظُرُ إِلَى نَصْلِهِ (٣) فلا يوجدُ فِيهِ شيءٌ ، ثم

= تَرَكَ القتالَ كثير ممن كانوا مع على ـ خصوصاً القراء ـ واحتجوا بقوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ » (آل عمران ، الآية ٢٣) ، ولكنهم عادوا وأنكروا الاحتكام ، وفارقوا عَلِيًّا ـ وكانوا ثمانية آلاف ـ ونزلوا بمكان يقال له حَرُورَاء ، فأرسل علىٌّ إليهم ابن عباس ، فناظرهم ، فرجع كثير منهم معه ، ثم خرج إليهم على فأطاعوه ، ودخلوا معه الكوفة ، ثم أشاعوا أنهم رجعوا لأن عَلِيًّا عَدَلَ عن رأيه فى الاحتكام ، وتنادَوْا : (لاحُكْمَ إلَّا لله) ، فقال على : (كلمة حق يراد بها باطل) ! وما زال أمر هذه الطائفة يتطور من سيء إلى أسوأ ، إلى أن كَفَّرُوا عليًّا ، وعاثوا فى الأرض فسادا ، فخرج إليهم علىٌّ بالجيش الذى كان قد هَيَّأه لمعاوية ، فأوقع بهم فى (النهروان) ، ولم ينج منهم إلَّا دون العشرة . ومن هذه الطائفة ابن ملجم الذى قتل عليًّا بعد ذلك .

(١) « فإن له أصحابا » : قصد النبى صلى الله عليه وسلم بترك قتْله مصلحة التأليف ، وإلَّا فإن ما أظهره من مواجهته عليه السلام بما واجهه يقتضى قتْله .

(٢) « تَرَاقِيَهُمْ » : جمع تَرْقُوَة ، وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق . والمعنى : أن قراءتهم لايرفعها الله ولا يقبلها . وقال بعضهم : إن المراد أنهم ليس لهم فيه حظ إلَّا مروره على ألسنتهم ، ولا يَصِل إلى حلوقهم فضلا عن قلوبهم ، لأن المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه فى القلب .

(٣) « ينظر إلى نَصْلِه » : أى نصل السهم ، وهو الحديدة المركبة فيه .

ينظرُ إلَى رَصَافِهِ (١) فلا يوجَدُ فيهِ شيء ، ثم ينظرُ إلى نَضِيِّهِ (٢) — وهُوَ قِدْحُهُ — فلا يوجَدُ فيهِ شيء ، ثم ينظرُ إلى قُذَذِهِ (٣) فلا يوجَدُ فيهِ شيء ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ والدمَ ، آيَتُهُمْ رجُلٌ أَسْوَدُ إحدى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ (٤) تَدَرْدَرُ (٥) . ويخرجون علَى حِين فُرْقَةٍ مِنَ الناسِ » ! قالَ أبو سعيد : فأشهدُ أنى سَمِعْتُ هذا الحديثَ مِنْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأشهدُ أنَّ عَلِيَّ بنَ أبِى طالب قاتلَهُمْ وأنا مَعَهُ ، فَأَمَرَ بذلِكَ الرجُلِ فالتُمِسَ ، فأُتِىَ بهِ حتَّى نظرْتُ إليْهِ علَى نَعْتِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الذى نَعَتَهُ) .

(رواه البخارى فى «باب علامات النبوة فى الإسلام » ، جـ٤ ، ص٢٠٠) .

---

(١) «ثم ينظر إلى رَصَافِه » : الرِّصَاف ، اسم للعقب الذى يُلْوَى فوق السهم .

(٢) «ثم ينظر إلى نَضِيِّه » : النَّضِيُّ : سهم فسد من كثرة ما رمى به . فصار بلانصل ولا ريش .

(٣) «ثم ينظر إلى قُذَذِهِ» : جمع قُذَّة ، بضم القاف وتشديد الذال المعجمة ، وهى ريش السهم . والمقصود : أن الرامى إذا أراد أن يعرف هل أصاب أم لا . نظر إلى السهم والنصل : هل بهما شيء من دم المصاب ؟ فإن لم يجد قال : إنْ كنتُ أَصَبْتُ فإنَّ بالنَّضِيِّ أو الريش شيئاً من الدم . فإذا نظر فلم يجد شيئاً . عرف أنه لم يُصِب . وهذا مثلٌ ضربه النبى صلى الله عليه وسلم للخوارج ، أبان به أنهم يخرجون من الإسلام لا يَعْلَقُ بهم منه شيء ، كما أنه لم يعلق بالسهم من الدم والفرْثِ شيء .

(٤) «البَضْعَة » : بفتح الباء وسكون الضاد . هى القطعة من اللحم .

(٥) «تَدَرْدَر » : بفتح التاء ودالين مفتوحتين بينهما راءٌ ساكنة ، أى تتحرك وتذهب وتجيء .

عن أَبِى هريرةَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «لا تقومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرجَ نارٌ مِنْ أَرْضِ الحجازِ تُضِيءُ أَعْنَاق الإِبِلِ بِبُصْرَى» .

(رواه مسلم فى «الفتن») .

عن ثَوْبَانَ قالَ : (قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «إِنَّ اللهَ زَوى[١] لِيَ الأَرْضَ، فرأَيْتُ مشارقَها ومغارِبَها ، وإِنَّ أُمَّتِى سيبْلُغُ مُلكُها ما زُوِىَ لى مِنْهَا ، وأُعْطِيتُ الكنْزَيْنِ الأَحمَرَ والأَبيضَ . وإِنِّى سأَلْتُ ربِى لأُمَّتِى أَن لَا يُهلِكهَا بسَنَة[٢] عامة ، وأَن لَايُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنفُسِهِمْ[٣] ، فيستبيحَ بَيْضَتَهُمْ . وإِنَّ ربِى قالَ : يا محمدُ ، إِنِّى إِذا قضيْتُ قضاءً فإِنه لايُرَدُّ ، وإِنِّى أَعطيتُكَ لأُمَّتِك أَن لَا أُهلِكَهم بسَنَةٍ عَامَّةٍ ،وأَن لا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهم يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ ، ولَوِ اجتمعَ علَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِها ــ أَوْ قالَ : مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِها ــ حتَّى يكون بعضُهُمْ يُهْلِكُ بعضاً ، ويَسْبِى بَعْضُهُمْ بَعْضاً» !!

(رواه مسلم فى كتاب «الفتن»).

عن أَبِى هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «مَنَعَتِ العِرَاقُ دِرْهَمَها وقَفِيزَها ، ومَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَها ودِينارَهَا ، ومَنَعَتْ مِصْرُ

---

(١) «زَوى لى الأَرض» : أَى جَمَعها .

(٢) «بِسَنَةٍ عامة» : أَى لا يهلكهم بقحطٍ يعمُّهم ، بل إن وقع قحط فيكون فى ناحية يسيرة بالنسبة إِلى باقى بلاد الإسلام .

(٣) «مِنْ سِوَى أَنفُسِهم» : إِشارة إِلى ما سيحصل بين المسلمين من اختلاف وفُرْقة تجعل أَمرهم يخرج من بين أَيديهم ، ويكون ذلك سببا لتدخل أَعدائهم فى شئونهم . وليس الذى نراه الآن من سيطرة الاستعمار الأُوروبى على بعض بلاد الإسلام إِلَّا إحدى نتائج اشتغال المسلمين بحرب بعضهم ، وتغليبهم المصالح الخاصة على مصالح المسلمين لعامة .

إِرْدَبَّهَا ودِينَارَها (١) ، وعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ ، وعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدأْتُمْ ، وعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ ، شَهِدَ علَى ذلك لَحْمُ أَبِي هريرةَ ودَمُهُ » .

(أخرجه مسلم فى «كتاب الفتن» من صحيحه)

عنْ سالِمِ بنِ عبدِ اللهِ بن عُمَرَ ، (قالَ : ياأَهْلَ العِرَاقِ ، ما أَسْأَلَكُمْ عَن الصَّغِيرةِ وأَرْكَبَكُم للكَبِيرَةِ ! سمِعْتُ أَبِي عبدَ اللهِ بنَ عُمَرَ يقولُ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : «إِنَّ الفِتْنَةَ تجيءُ مِنْ هاهُنَا — وأَوْمَأَ بيدِهِ نحوَ المشرقِ — مِنْ حيثُ يطلُعُ قَرْنَا الشيطانِ ، وأَنْتُمْ يَضربُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بعض ! وإِنَّمَا قَتَلَ مُوسى الذِى قَتَلَ مِنْ آلِ فرعَوْنَ خطَأً ، فقالَ اللهُ عَزَّ وجلَّ لَهُ : «وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً») (سورة طه من الآية ٤٠) .

(رواه مسلم فى «باب الفتنة من المشرق من كتاب الفتن») .

عَنْ أُسَيْدِ بن جابرٍ قالَ : (كانَ عُمَرُ بْنُ الخطاب إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ (٢) سأَلَهُمْ : أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بنُ عامر ؟ حتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْس ،

---

(١) «منعت العراق درهمها وقفيزها» إلخ : القفيز مكيال معروف لأهل العراق . قال الأزهرى : ثمانية مكاكيك ، والمكوك صاع ونصف . والمُدْىُ . على وزن قُفْل ، مكيال معروف لأهل الشام ، يسع خمسة عشر مَكُوكا . والإردب مكيال معروف لأهل مصر ، يسع أربعة وعشرين صاعا . والمقصود بقوله عليه السلام «منعت العراق درهمها .. الخ» . أن أهل هذه البلاد جميعا يُسْلِمُون فتسقط عنهم الجزية . وهناك احتمال آخر ، وهو الأقرب ، وذلك أن العجم والروم يستولون على البلاد فى آخر الزمان ، فيمنعون حصول ذلك للمسلمين .

(٢) «أمداد أهل اليمن» : هم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام فى الغزو ، واحدهم مَدَد .

فقالَ : أنْتَ أُوَيْسُ بنُ عامر ؟ قالَ : نَعَمْ . قالَ : مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرَن(١) ؟ قالَ : نَعَمْ . قالَ : فكانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ (٢) مِنْهُ إلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قالَ : لَكَ والِدَةٌ ؟ قالَ : نَعَمْ . قالَ : سمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : «يأْتِي عليْكُمْ أُوَيْسُ بنُ عامر مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ . كانَ بهِ بَرَصٌ فبَرَأَ مِنْهُ إلَّا مَوْضِعَ دِرْهم . لَهُ وَالِدةٌ هُوَ بهَا بَرٌّ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ (٣) ، فإنِ استطَعتَ أنْ يستغفِرَ لكَ فافْعَلْ» . فاسْتَغْفِرْ لِي . فاستَغْفَرَ لَهُ ، فقالَ لهُ عُمَرُ : أيْنَ تُرِيدُ ؟ قالَ : الكُوفَةَ . قالَ : ألَا أَكْتُبُ لَكَ إلَى عَامِلِهَا ؟ قالَ : أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ(٤) أَحَبُّ إلَيَّ . قالَ : فلمَّا كانَ مِنَ العامِ المُقْبِلِ حَجَّ رجلٌ مِنْ أشرافِهِمْ (٥) ، فوافَقَ عُمَرَ ، فسأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ ، قَالَ : تَرَكْتُهُ

---

(١) «قَرَن» : قبيلة باليمن يقال لهم بنو قَرَن ، وإليهم ينسب أويس .

(٢) «فَبَرَأْتَ» : بفتح الراء وكسرها من بابَيْ نفع وتعب . أى شُفِيت .

(٣) «لو أقسم على الله لأبَرَّه» : أى لو أقسم على شيء ، حصل ذلك الشيء وأبَرَّه الله فى قَسَمِهِ . ويوضح هذا ما روى عن أنس بن النضر من أن الرُّبيِّعَ ، عَمَّته ، كسرت ثنية جارية ، فطلبوا إليها العفوَ فأَبَوْا فعرضوا الأرش ، فأبوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَبَوْا إلَّا القصاص فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال أنس : يا رسول الله ، أتكْسِرُ ثَنِيَّةَ الربيع ؟ . لا ، والذى بعثك بالحق لاتكسر ثنيتها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أنس . كتاب الله القصاص» ، فرضى القوم فَعَفَوْا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنَّ من عباد الله من لو أقسم على الله لأَبَرَّه» .

(٤) «فى غبراء الناس» بفتح الغين ، وإسكان الباء : أى ضعافهم وصعاليكهم وأخلاطهم الذين لايؤبه لهم .

(٥) «من أشرافهم» : يعنى من أشراف أهل الكوفة التى انتقل إليها أويس .

رَثُّ البَيْتِ(١) ، قليلَ المتاعِ . قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : «يأتِي عليكُمْ أُوَيْسُ بنُ عامرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ، كانَ بهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ والدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ ، لوْ أَقسمَ علَى اللهِ لأَبَرَّهُ ، فإنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لكَ فَافْعَلْ» . فأَتَى أُوَيْساً فقالَ : استغْفِرْ لِي . قالَ : أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا(٢) بِسَفَرٍ صالحٍ ، فاسْتَغْفِرْ لِي . قَالَ : لَقِيْتَ عُمَرَ ؟ قالَ : نَعَمْ . فاستَغْفَرَ لَهُ(٣) . فَفَطِنَ لَهُ النَاسُ ، فانْطَلَقَ عَلَى وجهِهِ . قال أُسَيْدٌ : وكَسَوْتُهُ بُرْدَةً ، فكانَ كُلَّمَا رآهُ إِنسانٌ قالَ : مِنْ أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هذِهِ البُرْدَةُ ؟) .

(أخرجه مسلم فى «باب فضائل أويس القرنى من كتاب الفضائل»)

عنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ ابنَ عباسٍ قالَ لَهُ ولعَلِيِّ بنِ عبدِ اللهِ : إيتِيَا أبا سعيد فاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ ، فأَتَيْنَاه ، وهُوَ وأَخُوهُ فى حائطٍ(٤) لهُمَا يَسْقِيانِهِ ، فَلَمَّا رَآنا جاءَ فاحْتَبَى(٥) وجَلَسَ ، فقالَ : كُنَّا نَنْقُلُ لَبِنَ(٦) المسجدِ

---

(١) «رَثُّ البيت» : رَثَّ الشيءُ يَرُثُّ ، من باب قَرُبَ . يعنى خَلُقَ وبَلِيَ .

(٢) «أَحْدَثُ عهدا بسفر صالح» : أى أنكَ قادم من الأماكن المقدسة بعد أن أديتَ فريضة الحج ، وانطبق عليك قول النبى صلى الله عليه وسلم : «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كيَوْمِ ولَدَتْهُ أُمُّه» فأنا أَحَقُّ أن أطلب إليك أن تستغفر لى .

(٣) «فاستغفر له» : أويس هو الذى استغفر لعمر .

(٤) «حائط» : بستان .

(٥) «احْتَبَى» : أى جمع ظهره وساقَيْه بثوب أو غيره ، وقد يحتبى بيديه والاسم الحِبْوَة بكسر الحاء .

(٦) «لَبِن المسجد» : اللبن هو الطوب الذى لم يُحْرَق .

لَبِنَةً لَبِنَةً . وكانَ عَمَّارٌ (هُوَ ابنُ ياسر) يَنْقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْن ، فَمَرَّ بهِ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ومَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الْغُبَارَ ، وقالَ : «وَيْحَ عَمَّار ! تقتلُهُ الفِئَةُ الباغِيَةُ ! (١) عَمَّارٌ يَدْعوهُمْ إلى اللهِ ، ويدعونَهُ إلى النارِ » .

(رواه البخارى فى باب «مسح الغبار عن الناس فى السبيل ، من كتاب الجهاد») .

عن عائشةَ أُمِّ المؤمنينَ رضى اللهُ عنها . قالتْ : (قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقاً بِى أَطْوَلُكُنَّ يَدًا » . قالتْ : فكُنَّ يتطاوَلْنَ (٢) أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يدًا ؟ قالتْ : فكانتْ أطولَنَا يَدًا زينبُ (٣) لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بيَدِهَا وتَصَدَّقُ) .

(رواه مسلم فى «فضائل زينب أم المؤمنين رضى الله عنها») .

عن حُذَيْفَةَ قالَ : (قامَ فينا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مقاماً ، ما تَرَكَ شَيْئًا يكونُ فى مَقامِهِ ذلكَ إلى قِيامِ الساعةِ إلَّا حَدَّثَ بهِ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ، ونَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ، قَدْ عَلِمَهُ أصحابى هؤلاء ، وإنَّهُ لَيَكُونُ

---

(١) «تقتله الفئة الباغية» : يشير عليه الصلاة والسلام إلى ما حدث بعد ذلك بين علىٍّ ومعاوية وذلك من دلائل نبوته .

(٢) «فكُنَّ يتطاوَلْنَ» : أى كُنَّ يَقِفْنَ إلى الجِدَار ويمددن أيديهن إلى أعلى ، لينظرن أيتهن أطول يدا ؟ ظنا منهن أن قصْدَه عليه السلام الطول الذى هو ضد القِصَر ! .

(٣) «فكانت أطولنا يدا زينب» الخ : أراد عليه الصلاة والسلام بطول اليد فعل الخير ، فهى أطولهن يدا : أى أكثرهن فعلًا للخير . وذلك من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ، حيث وقع بعد ذلك ما أخبر به . وكانت زينب أول من لحق به من أمهات المؤمنين .

مِنْهُ الشيءُ قدْ نَسِيتُهُ فأَرَاهُ ، فأَذْكُرُهُ كَمَا يذكُرُ الرجلُ وجْهَ الرجُلِ إذَا غابَ عنهُ ثُمَّ إذا رآهُ عَرَفَهُ) .

(رواه مسلم «فى الفتن» من صحيحه) .

عنْ أبى زيْد (يعنى عَمْرَو بنَ أخْطَب) قالَ : (صَلَّى بنا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الفَجْرَ ، وصَعِدَ المِنْبَرَ ، فخطَبَنَا حتَّى حَضَرَت الظُّهْرُ ، فَنَزَلَ فَصَلَّى ، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَت العصْرُ ، ثُمَّ نزَلَ فَصَلَّى ، ثُمَّ صَعِدَ المنبرَ ، فَخطَبَنَا حَتَّى غَرَبَت الشمسُ ، فأَخْبَرَنَا بمَا كان وبما هُوَ كائنٌ ، فأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا) .

(رواه مسلم فى «كتاب الفتن» من صحيحه) .

عنْ عُمَيْر بنِ هانىء ، قالَ : (سمِعْتُ معاويةَ على المِنْبَر يقولُ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يقولُ : «لاتزالُ طائفةٌ مِنْ أُمَّتِى قائمةً بأَمْر اللهِ ، لايَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خالَفَهُمْ ، حَتَّى يأْتِىَ أَمْرُ اللهِ وهُمْ ظاهِرُونَ علَى الناسِ») .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم فى أواخر «كتاب الجهاد والسير»)

عنْ أبى هريرةَ قالَ : (قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «صِنفانِ مِنْ أَهْلِ النارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كأَذْنَابِ البقرِ يَضْرِبون بها الناسَ ، ونِسَاءٌ كاسياتٌ عارياتٌ (١) مُمِيلاتٌ (٢) مائِلاتٌ ، رُؤُوسُهُنَّ

---

(١) «كاسيات عاريات» : أى تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا لجمالها . وقيل : تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها .

(٢) «مميلات مائلات» : مميلات ، أى يعلمن غيرهن فعلهن المذموم . ومائلات عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ، فيمشين مُتَبَخْتِرَات فى الطرقات .

كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ[(١)] ، لا يَدْخُلْنَ الجنةَ ولا يَجِدْنَ رِيحَها ، وإنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مسيرةِ كذا وكذا ») .

(رواه مسلم فى « باب النار يدخلها الجبارون » إلخ . ورواه أيضا فى « باب النساء الكاسيات العاريات ، من كتاب اللباس والزينة ») .

---

(١) « رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ المائلة » : البُخْتُ بضم الباء وتسكين الخاء ، نوع من الإبل . وتشبيه رؤوسهن بأسنمة هذا النوع من الإبل ، معناه أنهن يكرمن شعورهن ويعظمنها ، بلف عمامة أو عصابة أو نحوها ، أو يمشطن شعورهن على نحو يجعل رؤوسهن على هيئة السنام .

الفصـــل الثـالث

«إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم»

عن الجُعَيْدِ بن عبدِ الرحمن : (رأيتُ السائبَ بنَ يزيدَ بْنَ أربع وتسعينَ ، جَلْدًا (١) مُعْتَدِلا ، فقالَ : قدْ عَلِمْتُ مامتِّعتُ به سَمْعِى وبَصَرِى إلَّا بدُعاءِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّ خَالَتِى ذَهَبَتْ بِى إليْهِ ، فقالتْ : يا رسولَ اللهِ ، إنَّ ابنَ أختِى شاكٍ (٢) ، فادْعُ اللهَ لهُ . قالَ : فدَعَا لِى) . (البخارى ، جـ٤ ، ص ١٨٦) .

عن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : (أصابَتِ الناسَ سَنَةٌ ، على عهْدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فبينا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يخطبُ على المِنْبَرِ يوْمَ الجمعةِ ، قامَ أعْرَابِىٌّ فقالَ : يارسولَ اللهِ ، هلَكَ المالُ ، وجاعَ العيالُ ، فادْعُ اللهَ لنا أنْ يَسْقِيَنَا . قالَ : فرفَعَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يديْهِ وما فى السماءِ قَزَعَةٌ (٣) ! قالَ : فثارَ سَحابٌ أمْثَالُ الجبالِ ، ثم لَمْ يَنْزِلْ عنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رأيْتُ المطرَ يَتَحادَرُ (٤) علَى لِحْيَتِهِ ! قالَ : فمُطِرْنا يومَنَا ذلِكَ ، وفِى الغَدِ ، ومِنْ بَعْدِ الغدِ ، والذى يَلِيهِ ، إلى الجمعةِ الأُخْرى . فقامَ ذلِكَ الأعرابِىُّ ، أوْ رجُلٌ غيرُهُ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، تَهَدَّمَ البناءُ ،

---

(١) «جَلْدًا» : أى قَوِيًّا .

(٢) «شاك» : أى يشكو ألمًا أو مرضاً .

(٣) «قَزَعَة» : القَزَعُ ، القِطَع من السحاب المتفرقة ، الواحدة قَزَعَة

(٤) «يتحادر» : يتساقط .

وغَرِقَ المَالُ ، فادْعُ اللهَ لَنَا . فَرَفَعَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يديْهِ وقالَ : «اللهُمَّ حَوالَيْنا ولَا عَلَيْنَا» [١] ، قالَ : فما جَعَلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ يُشِيرُ بيدِهِ إلى ناحية من السماءِ إلَّا تَفَرَّجَتْ ، حتَّى صارتِ المدينةُ فى مثل الجَوْبَةِ [٢] ! حَتَّى سالَ الوادِى شهرًا ! قالَ : فلمْ يَجِئْ أَحدٌ مِنْ ناحية إلَّا حَدَّثَ بالجَوْدِ [٣] .

(أخرجه البخارى ، واللفظ للبخارى فى أبواب «الاستسقاء») .

عنْ مَسْرُوق قالَ : (أَتَيْتُ ابنَ مَسْعود فقالَ : إنَّ قُرَيْشاً أَبْطَأُوا عن الإِسلامِ ، فدعَا عَلَيْهِمُ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ [٤] حتَّى هَلَكُوا فِيهَا ، وأَكَلُوا المَيْتَةَ والعِظَامَ ! فَجَاءَهُ أَبو سُفْيَانَ فقالَ : يا محمد ، جِئْتَ تأْمُرُ بصِلَةِ الرَّحِمِ ، وإنَّ قَوْمَكَ قدْ هَلَكُوا ، فادْعُ اللهَ ، فَقَرَأَ : «فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بدُخَانٍ [٥] مُبِين» .. الآيات ، ثم عَادُوا إلَى كُفْرِهِمْ ، فذلِكَ قولُهُ تعالى : «يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الكُبْرَى ، إِنَّا مُنْتَقِمُون» ، (يَوْمَ بَدْر) .

---

(١) «حوالينا ولا علينا» : أى أبعد المطر عنا ، واجعله ينزل حوالينا ولا ينزل علينا .

(٢) «الجوبة» ، بفتح الجيم وسكون الواو ، الحفرة ، والمكان الواطئ ، وفجوة ما بين البيوت ، أو فضاء أملس ما بين أرضين .

(٣) «الجود» ، بفتح فسكون : المطر الغزير أولا مطر فوقه .

(٤) «سَنَة» : مجاعة وقحط .

(٥) «بدخان مبين» : تصوير لحال أهل مكة حين أصابتهم هذه الحالة ، فإنهم من شدة ما نزل بهم من الجوع رأوا ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان . والآيات من سورة الدخان ، من ١٠ ـ ١٦ .

عن سَلَمَةَ رضى اللهُ عنه قالَ : (خَفَّتْ أَزْوَادُ الناسِ ، وأَمْلَقُوا[١] ، فأَتَوا النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم فى نَحْرِ إبلِهِمْ ، فأَذِنَ لَهُمْ ، فلَقِيَهُمْ عُمَرُ ، فأَخْبَروهُ ، فقالَ : ما بقَاؤُكُمْ بعْد إبِلِكُمْ؟ فدَخَلَ عُمَرُ علَى النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم فقالَ : يارسولَ اللهِ ، ما بَقَاؤُهُمْ بعْدَ إبِلِهِمْ؟ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : «نَادِ فى الناسِ يأْتُونَ بفَضْلِ أَزْوادِهِمْ» فدعا وبرَّكَ[٢] عليْهِ ، ثُمَّ دعاهُمْ بِأَوْعِيتِهِمْ ، فاحْتَثَى[٣] الناسُ حتَّى فَرغُوا ، ثُمَّ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : «أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وأنِّى رسولُ اللهِ») ..

(رواه البخارى ، فى «باب حمل الزاد فى الغزو» من كتاب الجهاد)

عن قَيْس عنْ جرير قالَ : (قالَ لى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : «ألَا تُرِيحُنِى مِنْ ذِى الخَلصة» ؟ فقلْتُ : بَلَى ، فانْطَلَقْتُ فى خَمْسينَ ومِائةِ فارسٍ مِنْ أَحمَسَ ، وكانُوا أَصْحَابَ خيل ، وكنتُ لَا أَثْبُتُ علَى الخيْل ، فذكرْتُ ذلكَ للنبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فضربَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِى حَتَّى رأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فى صَدْرِى فقالَ : «اللهُمَّ ثَبِّتْهُ ، واجْعَلْهُ هادِياً مَهْدِيًّا» ، قالَ : فما وَقَعْتُ عنْ فَرَس بَعْدُ . قالَ : وكانَ ذُو الخَلصةِ بَيْتًا باليَمَنِ لِخَثْعَمَ وبُجَيْلَةَ ، فيهِ نُصُب تُعْبَدُ[٤] ، يقالُ لهُ الكَعْبَة ، قال : فأتاها فحرقَهَا بالنارِ وكَسَرها — وفى الحديثِ — : ثُمَّ بعثَ جَرِيرٌ رجُلًا

---

(١) «أَمْلَقُوا» : افتقروا واحتاجوا .

(٢) «وبَرَّكَ» : أى دعا بالبركة .

(٣) «فاحتثى الناس» : أى صاروا يقبضون من الطعام بأيديهم ويضعونه فى أوعيتهم .

(٤) «نُصُب» : النُّصُبُ حَجر نصب وعبد من دون الله . وجمعه أنصاب .

مِن أَحمَسَ ، يُكْنَى أَبَا أَرْطَاةَ ، إِلَى النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُبَشِّرُهُ بذلِكَ ، فلمَّا أَتَى النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : يارسولَ اللهِ ، والذى بَعَثَكَ بالحقِّ ماجئْتُ حتى تركتُها كأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ ! قالَ : فبرَّكَ(١) النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علَى خَيْلِ أَحمَسَ ورجالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ) .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى فى «غزوة ذى الخلصة» ، ومسلم رواه فى «فضائل جرير بن عبد الله رضى الله عنه») .

عن أَبِى هريرة قال : (كُنْت أَدْعُو أُمِّى إِلَى الإِسلامِ وهِيَ مُشْرِكَةٌ ، فَدَعَوْتُها يوماً ، فأَسْمَعَتْنِى فى رسولِ اللهِ ما أَكْرَهُ . فأَتَيْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأَنَا أَبْكِى . قُلْتُ : يا رسولَ اللهِ ، إِنِّى كُنْتُ أَدْعُو أُمِّى إلى الإِسلامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ ، فَدَعوْتُهَا اليومَ فأَسْمَعَتْنِى فيكَ ما أَكْرَهُ ، فادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِىَ أُمَّ أَبِى هريرةَ . فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِى هريرةَ» . فخرجْتُ مُسْتَبْشِرًا بدعْوةِ نبيِّ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلَمَّا جِئْتُ فصِرْتُ إِلى البابِ ، فإِذا هُوَ مُجَافٌ . فَسَمِعتْ أُمِّى خَشْفَ قَدَمَيَّ ، فقالتْ : مكانَكَ يا أَبا هريرةَ ! وسمِعْتُ خَضْخَضَةَ الماءِ ؛ قال : فاغْتَسَلَتْ ولَبِسَتْ دِرْعَها وعَجِلَتْ عن خِمَارِها ، فَفَتَحَت البابَ ثُمَّ قالتْ : يا أَبا هُرَيرةَ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وأَشهدُ أَنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه . قالَ : فرجَعْتُ إِلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأَتَيْتُهُ وأَنا أَبْكِى مِنَ الفَرَحِ . قالَ : قُلْتُ : يارسولَ اللهِ ، أَبْشِرْ ، قد استجابَ اللهُ دعْوَتَكَ ، وهَدَى أُمَّ أَبِى هريرةَ . فحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى علَيْهِ وقالَ خيرًا . قالَ : قُلْتُ يارسولَ اللهِ : ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِى

---

(١) «فَبَرَّكَ» : أى دعا بالبركة لخيل أحمس ورجالها .

أَنا وأُمِّي إلى عبادِهِ المؤمنينَ ، ويُحَبِّبَهُمْ إلينَا . قال : فقال رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هذا — يَعْنِي أَبا هريرةَ — وأُمَّهُ إلى عبادِكَ المؤمنين ، وحَبِّبْ إليهِمُ المؤمنين» . فَمَا خُلِقَ مُؤمِنٌ يسْمعُ بِي ولا يَرَانِي إلَّا أَحَبَّنِي!) .

(رواه مسلم فى «فضائل أبي هريرة الدوسي رضى الله عنه») .

عن أنسٍ قالَ : (جاءَتْ بِي أُمِّي ، أُمُّ أَنَس ، إلَى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قدْ أَزَّرَتْنِي[1] بنِصْفِ خِمارِها ، وردَّتْنِي[2] بنِصْفِهِ . فقالتْ : يا رسولَ اللهِ ، هذا أُنَيْس ابْنِي ، أَتَيْتُكَ بهِ يَخْدِمُكَ ، فادْعُ اللهَ لَهُ ، فقالَ : «اللهُمَّ أَكْثِرْ مالَهُ وَوَلَدَهُ» قالَ أَنَس : فَوَاللهِ إنَّ مالِي لكثِيرٌ ، وإنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي ليتعادُّونَ عَلَى نحْوِ المِائَةِ اليومَ!) .

وفى رواية عنهُ قالَ : (مَرَّ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَسَمِعَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْم صَوْتَه ، فقالَتْ : بأَبِي وأُمِّي يارسولَ اللهِ أُنَيْسٌ . فَدَعَا لِي رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثلاثَ دَعَوَات ، قدْ رأَيْتُ مِنها اثْنَتَيْنِ فى الدنيا ، وأَنَا أَرْجو الثالثَةَ فِي الآخرةِ) .

(رواهما مسلم فى «باب فضائل أنس بن مالك رضى الله عنه» فى الفضائل) .

---

(١) «أزرتني» : أى جعلت نصف خمارها لى إزارا . والإزار هو ما يُلَف على وسط الإنسان ليستر منه نصفه الأسفل .

(٢) «وردَّتني بنصفه» : أى جعلت نصف خمارها الباقى كالرداء لى ، فلَفَّته على منكبيَّ

الفصل الرابع

«وقاية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وعصمته من الناس»

قال الله تعالى فى سورة المائدة : «يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» ـ الآية ٦٧ .

وقال تعالى فى سورة الأنفال : «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ ، واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» ـ الآية ٣٠ .

وقال تعالى فى سورة التوبة : «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِىَ اثْنَيْنِ ، إِذْهُمَا فِى الْغَارِ ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ، فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ، وَكَلِمَةُ اللهِ هِىَ الْعُلْيَا ، وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ـ الآية ٤٠ .

وقال تعالى فى سورة الحجر : «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» ـ الآيتان ٩٥ ، ٩٦ .

وقال تعالى فى سورة الطور : «وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا» الآية ٤٨ ـ والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

عن سعيدٍ الجريرىِّ ، عنْ عبدِ الله بن شَقيق ، عنْ عائشةَ قالتْ : (كانَ النبىُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُحْرَسُ ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : «وَاللهُ

يَعْصِمُكَ مِن النَّاسِ »_، فأَخْرَجَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأْسَهُ مِنَ القُبَّةِ ، فقالَ لَهُمْ : «يأَيُّهَا النَّاسُ ، انْصَرفوا ، فَقَدْ عَصَمَنِى اللهُ »)

(رواه الترمذى ، وقال : هذا حديث غريب . والحاكم فى مستدركه وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . ثم قال الترمذى : وقد روى بعضهم هذا الحديث عن الجريرى عن ابن شقيق ، قال : كانَ النبىُّ صلى اللهُ وسلَّمَ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هذِهِ الآية ، ولَمْ يَذْكُرْ عائِشَةَ) .

عن أَبى حازِم ، عن أَبى هريرةَ ، قالَ :_(قالَ أَبو جَهْل : هَلْ يَعْفِرُ[1] محمدٌ وجههُ بيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟ قالَ : فقيلَ : نَعَمْ . فقالَ : واللَّاتِ والعُزَّى ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذلِكَ لأَطَأَنَّ[2] عَلَى رقبتِهِ ، ولأَعفِرَنَّ وجْهَهُ فِى التراب ! قالَ : فأَتَى رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهو يُصَلِّى ـ زَعَمَ ـ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ ! قالَ : فَما فجِئهمُ[3] مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ[4] على عَقِبَيْهِ ويَتَّقِى[5] بيدَيْهِ ! قالَ : فقيلَ لهُ : مالَكَ ؟ فقالَ : إِنَّ بيْنِى وبَيْنَهُ لَخَنْدَقاً مِنْ نارٍ ، وهَوْلًا وأَجْنِحَةً ! فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «لَوْدَنَا مِنِّى لاخْتَطَفَتْهُ الملائكةُ عُضْوًا ، عُضْوًا » قالَ : فَأَنْزَلَ

---

(١) «يَعْفِرُ» : يريد به السجود .

(٢) «لأَطَأَنَّ على رقبته» : أى أجعل رقبته تحت قَدَمَىَّ .

(٣) «فما فَجِئَهُمْ» : فَجِئْت الرجل جئته بَغْتَةً ، يعنى أن رجوع أبى جهل كان مفاجأة لهم ، أى أنهم بوغتوا برجوعه إليهم بهذه السرعة وعلى هذه الحالة ! .

(٤) «يَنْكُصُ» : يرجع .

(٥) «ويَتَّقِى بيديه» : أى يضع يديه على وجهه ، يحاول أن يمنع بذلك ما يتهدده من النار والهول .

اللهُ عَزَّ وجَلَّ ـ لَا نَدْرِي فِي حديثِ أَبِي هريرةَ أَوْ شيء بَلَغَهُ ـ : «كَلَّا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى . أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى . إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى . أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى . أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى » . يَعْنِي أَبا جَهْل «أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى . كَلَّا ، لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ[1] بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَة كَاذِبَة خَاطِئَة[2] . فَلْيَدْعُ نَادِيَه[3] . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ[4] . كَلَّا لَا تُطِعْهُ» ـ زَادَ عُبَيْدُ اللهِ فِي حديثِهِ قالَ : «وَأَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ» ، وزاد ابن عبد الأعلى «فليدع ناديه» ـ يعني قومه) .

(رواه مسلم ، واللفظ له فى باب قوله تعالى «كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى . أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى» من كتاب «صفات المنافقين وأحكامهم» ، ورواه أحمد بن حنبل ، والنسائى ، وابن جرير) .

---

(١) «لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ» : أى لَنَجُرَّنَّ بناصيته إلى النار .

(٢) «نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ» : وصف الناصية بذلك مجاز ، والمراد صاحبها ، فهو الكاذب الخاطئ .

(٣) «فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ» : أى أهل ناديه ، وذلك أنه كان نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة ، فنهره ، فهدَّدَ النبى بقوله : لقد علِمْتَ ما بها رجل أكثر نادياً منى ! لأملأن عليك هذا الوادى إن شئت خيلا جردا . ورجالا مُرْدا .

(٤) «سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ» : الزبانية هم الملائكة الغلاظ الشداد ، سندعوهم لإهلاكه . وهذا تهديد من الله فى مقابل تهديد أبى جهل للنبى صلى الله عليه وسلم . والآيات فى سورة العلق من ٦ ـ ١٩ .

عن سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (رَأَيْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلانِ عَنْهُ – عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ – كَأَشَدِّ القِتَالِ ، مَا رَأَيْتُهما [1] قبلُ وَلَا بَعْدُ) .

(رواه البخارى) .

---

(١) «ما رأيتهما» إلخ : لاشك أنهما من الملائكة .

الفصـــل الخـــامس

«انشقاقُ القمر»

قال الله تعالى فى سورة القمر : «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ . وإنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ» ـ الآيتان ١ ، ٢ .

عنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قالَ : (بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بِمِنًى ، إذ انْفَلَقَ(١) القمرُ فِلْقَتَيْنِ ، فكانت فِلْقَةٌ وَرَاءَ الْجَبَلِ ، وفِلْقَةٌ دُونَهُ ! فقالَ لنا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «اشْهَدُوا») .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم) .

---

(١) قال ابن عبد البر : قد روى هذا الحديث ـ يعنى حديث انشقاق القمر ـ عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ، ثم نقله عنهم الجم الغفير ، إلى أن انتهى إلينا وتأيد بالآية الكريمة . وقال العلامة ابن السبكى فى شرحه لمختصر ابن الحاجب : والصحيح عندى أن انشقاق القمر متواتر ، منصوص عليه فى القرآن ، مروى فى الصحيحين وغيرهما ، وله طرق شتى ؛ بحيث لا يمترى فى تواتره . ومثل ذلك للحافظ ابن كثير فى تفسيره للآية . وقال الخطابى : انشقاق القمر آية عظيمة ، لا يكاد يعدلها شىء من آيات الأنبياء ، وذلك أنه ظهرت فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع ، فليس مما يطمع فى الوصول إليه بحيلة ، فلذلك صار البرهان به أظهر . اهـ . هذا ، ومن الواضح أن انشقاق القمر إنما حصل بقدرة الله عز وجل ، إكراما لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتأييدا لنبوته ، وقد جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية على ما بينا ، فلا ينبغى أن يرتاب فيه من يؤمن بقدرة الله عز وجل . ولكن بعض المعاصرين أثاروا حول هذه المعجزة العظيمة شبها واهية ، يريدون بها تشكيك الناس فى هذه المعجزة =

عنْ أنَسٍ بنِ مالك رضيَ اللهُ عنهُ : (أنَّ أهْلَ مكةَ سألُوا رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يُرِيَهُمْ آيَةً ، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شقَّتَيْنِ ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا !)

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى فى «باب انشقاق القمر») .

=الباهرة ! وخير ما يرد به على هذه الشبه ما قاله القاضى عياض رحمه الله فى كتاب (الشفاء) ونصه : ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول ، لأنه لو كان هذا ، لم يخف على أهل الأرض ، إذ هو شئ ظاهر لجميعهم ، إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق . ولو نقل إلينا عمن لايجوز تمالؤهم — لكثرتهم — على الكذب : لما كانت علينا به حجة ، إذ ليس القمر فى حد واحد لجميع أهل الأرض ، فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على الآخرين ، وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من أقطار الأرض ، أو يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال ، ولهذا نجد الكسوفات فى بعض البلاد دون بعض ، وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية ، وفى بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها ، ذلك تقدير العزيز العليم . قال : وآية القمر كانت ليلاً ، والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وإيجافُ الأبواب وقطع التصرف ، ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا إلا من رصد ذلك واهتم به ، ولذلك كثيرا ما يكون الكسوف القمرى فى البلاد ، وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر ، وكثيراً ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها ، من أنوار ونجوم طوالع عظام ، تظهر فى الأحيان بالليل فى السماء ، ولا علم عند أحد بها — انتهى .

الفصل السادس

«تكثير الطَّعام والشَّراب ببركته صلى الله عليه وسلم»

عن أَنَسِ بنِ مالكٍ رضي اللهُ عنهُ قالَ : (قالَ أَبو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ : قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ضَعِيفاً ، أَعْرِفُ فيهِ الجُوعَ ، فهلْ عندَكِ مِنْ شيءٍ؟ فقالتْ : نَعَمْ . فأَخْرَجَتْ أَقْراصاً مِنْ شَعِيرٍ ، ثُمَّ أَخَذَتْ خِمَارًا لَهَا ، فَلَفَّتِ الخُبْزَ ببعضِهِ ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي ، ورَدَّتْنِي ببعضِهِ ، ثم أَرسلَتْنِي إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . قالَ : فذهَبْتُ بِهِ ، فوجدتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جالِساً في المسجدِ ، ومَعَهُ الناسُ ، فقُمْتُ علَيْهِمْ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «أَرْسَلَكَ أَبو طلحةَ ؟» قالَ : فقلتُ : نَعَمْ . فقالَ : «أَلِطَعَام ؟» فقلتُ : نعمْ . فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لِمَنْ مَعَهُ : «قومُوا» قالَ : فانْطَلَقُوا ، وانطلَقْتُ بيْنَ أَيْدِيهِمْ حتى جئْتُ أَبَا طلحةَ فأَخبرتُهُ . فقالَ أَبو طلحةَ : يا أُمَّ سُلَيْمٍ ، قدْ جاءَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ بالناسِ ، وليْسَ عِندنا ما يُطْعِمُهُمْ ! فقالَتْ : اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ . قالَ : فانْطَلَقَ أَبو طلحةَ حتى لَقِيَ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأَقْبَلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَعَهُ ، حَتَّى دَخَلَا ، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يا أُمَّ سُلَيْمٍ» ، فأَتَتْ بِذَلِكَ الخُبْزِ ، فأَمَرَ بهِ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فَفُتَّ ، وعَصَرَتْ ، عليْهِ أُمُّ سُلَيْمٍ

عُكَّةٍ (١) لَهَا فَأَدَمَتْهُ (٢) ، ثم قالَ فيهِ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَا شاءَ اللهُ أَنْ يقُولَ ، ثم قالَ : «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» ، فأَذِنَ لَهُمْ ، فأَكلوا حَتَّى شبِعُوا ؛ ثم خرَجُوا ، ثم قالَ : «ائْذَنْ لِعَشَرَة» فَأَذِنَ لَهُمْ ، فأَكلوا حتى شَبِعُوا : ثم خرَجوا ، ثُمَّ قالَ : «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» حتى أَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا : والقَوْمُ سبْعُونَ رَجُلًا أَوْ ثمانون) .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم فى «باب آداب الطعام والشراب» . والبخارى أخرجه فى «باب من أكل حتى شبع» من كتاب الأطعمة ؛ وأخرجه أيضا فى «باب علامات النبوة فى الإسلام»)

عنْ عبدِ الرحمنِ بن أَبى بكر قالَ : (كُنَّا مَعَ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثلاثِينَ ومِائَةً ، فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «هَلْ مَعَ أَحَد منكُمْ طعامٌ» ؟ ، فإِذَا معَ رجُل صاعٌ مِنْ طعام أَوْ نَحْوُهُ ، فَعُجِنَ ، ثم جاءَ رجل مُشْرِكٌ مُشعانٌّ طَوِيلٌ بغَنَم يَسوقُها ، فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «أَبَيْعٌ أَمْ عَطِيَّةٌ ؟» - أَوْ قالَ : «أَمْ هِبَةٌ» - قالَ : لا ، بَلْ بَيْعٌ .فاشْتَرى مِنْهُ شاةً فصُنِعَتْ ، وأَمَرَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ بِسَوَادِ البَطْنِ أَنْ يُشْوَى . قالَ : وأَيْمُ اللهِ مَا مِنَ الثلاثينَ ومائة إِلَّا حَزَّ لهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حُزَّةً حُزَّةً (٣) مِنْ سوادِ بَطْنِهَا ! إِنْ كانَ شاهِدًا (٤) أَعْطَاهُ ،

---

(١) «عُكَّة» : وعاءٌ يحفظ به السمن أو الزيت .

(٢) «فأَدَمَتْه» : أى جعلته سائغاً بما صبّته عليه من العُكّة . والإدام ما يؤتَدَم به ، مائعا كان أو جامدا ، وجمعه أُدُم .

(٣) «حُزَّة» : أى قِطعة من اللحم تُقطع طولا .

(٤) «شاهدا» : حاضرا .

وإنْ كانَ غائِباً خَبَّأَ لهُ ـ قالَ : وجَعَلَ قَصْعَتَيْنِ ، فأَكلْنَا مِنْهُمَا أَجْمَعُونَ ، وشَبِعْنَا ، وفَضَلَ فِى القَصْعتينِ ، فَحَمَلْتُهُ علَى البعيرِ ـ أَوْ كما قالَ) .

(أخرجه الشيخان ، واللفظ لمسلم فى «باب آداب الطعام والشراب» ، والبخارى أخرجه فى «باب من أكل حتى شبع» من كتاب الأطعمة) .

عن جابرِ بن عبدِ اللهِ رضى اللهُ عنهما ، قالَ : (كانَ بالمدينةِ يهودِىٌّ ، وكانَ يُسْلِفُنِى فِى تَمْرِى إلى الجِدَادِ . وكانَتْ لجابِرٍ الأَرضُ التى بطَرِيقِ رُومَةَ [1] ، فخاسَتْ [2] ، فَخَلَا عاماً [3] ، فجاءَنِى اليهودىُّ عِنْدَ الجِدَادِ [4] ولَمْ أَجُدَّ مِنْهَا شَيْئاً [5] ، فجعَلْتُ أَسْتَنْظِرُهُ [6] إلَى قابِلٍ فيَأْبَى ، فأُخْبِرَ بذلكَ النبىُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ لأَصحابِهِ : «امْشُوا نَسْتَنْظِرْ لجابرٍ مِن اليهودىِّ ، فَجَاؤُونى فى نَخْلِى ، فَجَعَلَ النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَلِّمُ اليَهُودِىَّ ، فيقولُ : أَبَا القاسِمِ ، لا أُنْظِرُهُ . فلمَّا رَأَى النبى صلى اللهُ عليهِ وسلمَ [7] ، قامَ ، فطافَ فى النخلِ ، ثُمَّ جاءَهُ [8] فكَلَّمَهُ ، فأَبَى ، فقُمْتُ ، فجِئْتُ بقليلِ رُطَبٍ ، فوضَعْتُهُ بيْنَ يَدَىِ النبىِّ صلى اللهُ عليهِ

---

(١) «التى بطريق رُومَة» : رومة هى البئر التى اشتراها عثمان رضى الله عنه وسبَّلها . وهى فى نفس المدينة .

(٢) «فخاست» : تخلفت وتأخرت عن الإثمار .

(٣) «فَخَلَا» : من الخُلُوِّ ـ أى تأخر السلف عاما .

(٤) «الْجِدَاد» : بكسر الجيم وفتحها : أوان جَنْى تمر النخل .

(٥) «ولَمْ أَجُدَّ منها شيئا» : أى لم أقطع منها شيئا .

(٦) «أستنظره» : أى أطلب من اليهودى الدائن إنظارى ، أى إمهالى .

(٧) «فلما رأى النبىُّ صلى الله عليه وسلم» : أى لما رأى عدم استجابة اليهودى له .

(٨) «فطاف فى النخل ثم جاءه» أى جاء النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليهودى .

وسلمَ ، فأَكَلَ ثُمَّ قالَ : «أَيْنَ عَرِيشُكَ يا جَابِرُ[١]» ؟ فأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : افْرِشْ لِي فيهِ ، فَفَرَشْتُهُ ، فَدَخَلَ فَرَقَدَ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ ، فجِئْتُهُ بقَبْضَةٍ أُخْرَى ، فأَكَلَ مِنْهَا ، ثُمَّ قَامَ ، فكلَّمَ اليهودِيَّ ، فأَبَى عليْهِ ، فقامَ فِي الرطابِ فِي النَخْلِ ، الثانيةَ[٢] ، ثُمَّ قالَ : «ياجابِرُ ، جُدَّ[٣] واقْضِ» ، فَوَقَفَ فِي الجِدَادِ ، فجدَدْتُ مِنْهَا مَاقَضَيْتُهُ ، وَفَضَلَ مِثْلُهُ ، فَخَرَجْتُ حتى جِئْتُ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَبَشَّرْتُهُ ، فقالَ : «أَشْهَدُ أَنِّي رسولُ اللهِ[٤]» .

(رواه البخارى فى «باب الرطب والتمر» من كتاب الأطعمة)

(عنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فِي مَسِيرٍ ، فَأَدْلَجُوا[٥] لَيْلَتَهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَ وجْهُ الصُّبْحِ عَرَّسُوا[٦] ، فَغَلَبَتْهُمْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى ارْتَفَعَتِ الشمسُ ، فكَانَ أَوَّلَ مَنِ استيقظَ مِنْ منامِهِ أَبو بَكْرٍ ، وكانَ لا يُوقَظُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ مَنَامِهِ حَتَّى يستَيْقِظَ ، فاسْتَيقَظَ عُمَرُ ، فَقَعَدَ أَبو بكر عندَ رأْسِهِ ، وجَعَلَ يُكَبِّرُ ويَرْفَعُ صَوْتَهُ ، حَتَّى استيقَظَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فنَزَلَ

---

(١) «أين عريشك يا جابر» : أى المكان الذى اتخذته فى بستانك لتستظل به وتقيل فيه .

(٢) «فقام فى الرطاب فى النخل الثانية» : أى المرّة الثانية .

(٣) «جُدَّ» : أى اقطع ، وذلك لأن نخله كان قد طاب ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) «أشهد أنى رسول الله» : قال ذلك لما فيه من خرق العادة ، الظاهرة من إيفاء الكثير من القليل ، الذى لم يكن يظن به أن يوفى منه البعض فضلا عن الكل .

(٥) «فأدْلَجُوا ليلتهم» : أى ساروا ليلتهم كلها .

(٦) «عرّسوا» : أى نزلوا آخر الليل للاستراحة .

وصلَّى بنا الْغَدَاةَ ، فاعتزَلَ رجُلٌ مِنَ القَوْمِ لَمْ يُصَلِّ مَعَنَا ، فلَمَّا انصرَفَ قالَ : «يافلانُ ، ما يمنَعُكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا » ؟ .. قالَ : أَصابَتْنِي جَنَابَةٌ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَيَمَّمَ بالصَّعِيدِ ، ثُمَّ صَلَّى . وجَعَلَنِي رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فِي رَكُوب[1] بَيْنَ يَدَيْهِ ، وقَدْ عَطِشْنَا عَطَشاً شَدِيدًا ، فبينمَا نَحْنُ نَسِيرُ ، إذا نَحْنُ بامرأة سادِلَة رجْلَيْها[2] بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ [3] ، فقُلْنَا لهَا : أَيْنَ الماءُ ؟ فقالَتْ : إنَّهُ لا ماءَ ! فقُلْنَا : كَمْ بيْنَ أَهْلِكِ وبيْنَ الماءِ . قالَتْ : يَوْمٌ وليْلَةٌ ! فقُلْنَا : انطَلِقِي إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ . قالتْ : وما رسولُ اللهِ ؟ فَلَمْ نُمَلِّكْهَا مِنْ أَمْرها حَتَّى استَقْبَلْنا بها النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فحدَّثَتْهُ بمِثْل الذى حَدَّثَتْنَا ، غيْرَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا مُؤتِمَنَةٌ ، فأَمَرَ بمَزَادَتَيْهَا ، فَمَسَحَ فِي العَزْلَاوَيْنِ[4] ، فشَرِبْنَا عِطَاشاً أَربعينَ رجلًا حتَّى رَوِيْنَا ، فَمَلَأْنا كُلَّ قِرْبَة معنَا وإدَاوَة ، غيْرَ أَنَّهُ لَمْ نَسْق بَعِيرًا ، وهِيَ تَكَادُ تَنِضُّ[5] مِنَ المِلْءِ ، ثُمَّ قَالَ : « هَاتُوا ماعِنْدَكُمْ » ، فَجَمَعَ لَهَا مِنَ الكِسَر والتَّمْر ، حَتَّى أَتَتْ أَهْلَهَا قَالَتْ : لَقِيتُ أَسْحَرَ النَاسِ ، أَوْ هُوَ نبيٌّ كما زعَمُوا ! فَهَدَى اللهُ ذَاكَ الصِّرْمَ بتِلْكَ المرأَةِ ، فأَسْلَمَتْ وأَسْلَمُوا) .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى فى «باب علامات النبوة فى الإسلام» ، وأخرجه مسلم فى «باب قضاءِ الفائتة» من كتاب الصلاة)

---

(١) «رَكُوب» : الرَّكُوبَة هى الناقة تُركب ، ثم استعير فى كل ما يُركب .

(٢) «سادلة رجليها» : أى مرخية رجليها .

(٣) «مزادتين» : تثنية مزادة . والمزادة هىَ نصف الراوية .

(٤) «فمسح فى العزلاوين» : الواحدة عزلاء ، وهى مصب الماء من الراوية ونحوها .

(٥) «تكاد تنضّ» : نضّ الماءُ ينضُّ نضًّا ونضيضًا ، سال قليلا قليلا ، أو خرج رشحا .

عن أَنَسِ بن مالكٍ رضى اللهُ عنهُ قالَ : (خَرَجَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فى بَعْضِ مخارجه ، ومَعَهُ ناسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَانْطَلَقُوا يَسِيرونَ ، فحضَرَتِ الصلاةُ ، فلَمْ يَجدوا ماءً يتوضأُونَ ، فانْطَلَقَ رجُلٌ مِنَ القومِ فجاءَ بقَدَحٍ مِنْ ماءٍ يسيرٍ ، فأَخَذَهُ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ مَدَّ أَصابعَهُ الأَرْبَعَ عَلَى القَدَحِ ، ثُمَّ قالَ : «قومُوا فَتَوَضَّأُوا» ، فتوَضَّأَ القَوْمُ حتَّى بَلَغُوا ما يُريدُونَ مِنَ الوُضُوءِ ، وكانوا سَبْعِينَ أَوْ نَحْوَهُ) .

(رواه البخارى فى «باب علامات النبوة فى الإسلام»).

عنْ جابر ، أَنَّ أُمَّ مالِكٍ كانتْ تُهْدى للنبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فى عُكَّة لها سَمْناً ، فيأْتِيهَا بَنوها ، فيسْأَلونَ الأُدْمَ[١] . ولَيْسَ عِنْدَهُمْ شيءٌ ، فتَعْمَدُ إلى الذى كانَتْ تُهْدِى فيهِ للنبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فتَجدُ فيهِ سَمْناً ! فما زالَ يُقِيمُ لَهَا أُدْمَ بَنِيها حَتَّى عصَرَتْهُ[٢] ، فأَتَتِ النَّبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فقالَ : «عَصَرْتِهَا» ؟ قالتْ : نَعَمْ . قالَ : «لَوْ تَرَكْتِهَا مازَالَ قائِماً» .

(رواه مسلم فى «باب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم» من كتاب الفضائل» .

عنْ أَبِى هريرةَ رضى اللهُ عنهُ قالَ : (واللهِ الذِى لا إلهَ إلَّا هُوَ ، إنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بكَبِدِى علَى الأَرْضِ مِنَ الجوعِ ! وإنْ كنْتُ لأَشُدُّ الحَجَرَ على

---

(١) «الأُدْم» : هو ما يؤدم به مائعاً كان أو جامداً . ليكون الخبز سائغاً .

(٢) «حتى عَصَرَتْهُ» : كانت أم مالك تهدى للنبي صلى الله عليه وسلم السمن ونحوه فى وعاء كالقربة ، فبارك الله فى هذا الوعاء : فكان لا يخلو من السمن أبداً ، وما زال هذا شأنه حتى عصرته فى إحدى المرات فنفد ما فيه .

بَطْنِى مِنَ الجوعِ ! ولَقَدْ قَعَدْتُ يومًا على طريقهمُ الذى يَخْرُجون مِنْهُ ، فمرَّ بى النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رآنِى ، وَعَرَفَ ما فى وَجْهِى وما فِى نَفْسِى ، ثُمَّ قالَ : «أَبَا هِرّ !» قُلْتُ : لَبَّيْكَ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : «الْحَقْ» ، ومَضَى ، فاتَّبَعْتُهُ ، فدخَلَ فاسْتأْذَنَ ، فأَذِنَ لِى ، فدخَلْتُ ، فَوَجَدَ لَبَناً فِى قَدَحٍ ، فقالَ : «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ» ؟ قالوا : أَهْدَاهُ لَكَ فلانٌ أو فلانةٌ ، قالَ : «أَبَاهِرْ» ، قلْتُ : لَبَّيْك يا رسولَ اللهِ قالَ : «الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ[1] فادْعُهُمْ لِى» ، قالَ : وأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيافُ الإسلامِ لا يَأْوُونَ علَى أَهْلٍ ولَا مالٍ ولَا عَلَى أَحَدٍ ، وكان إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بها إِلَيْهِمْ ، ولَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا ، وإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ، وأَصَابَ مِنْهَا وأَشْرَكَهُمْ فيها ، فساءنِى ذلِكَ ، فقلتُ : وما هذا اللَّبَنُ فِى أَهْلِ الصُّفَّةِ[2] ! كُنْتُ أَحَقَّ أَنْ أُصِيبَ مِنْ هذا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بها ! فإذا جاءُوا وأَمَرَنِى فكُنْتُ أَنا أُعْطِيهِمْ ، وما عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِى مِنْ هذا اللَّبَنِ ! وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بُدٌّ ، فَأَتَيْتُهُمْ ، فدعَوْتُهُمْ ، فأَقْبَلُوا وَاستأْذَنوا ، فأَذِنَ لَهُمْ ، وأَخَذوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ . قالَ : «أَباهِرْ» ، قلْتُ : لَبَّيْكَ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : «خُذْ فأَعْطِهِمْ» ، قالَ : فأَخَذْتُ القَدَحَ ، فجعَلْتُ أُعْطِيهِ الرجُلَ فيشربُ حتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فأُعْطِيهِ الآخَرَ ، فيشرَبُ

---

(١) «الصُّفَّة» : الجزء المسقوف من مسجد النبي صلى الله عليه وسلمَ ، وكان يأْوى إليه الفقراء ومن لا مسكن لهم ، ومنهم أبو هريرة رضىَ الله عنه .

(٢) أى وماذا يغنى هذا اللبن فى أهل الصفة . ظن أبو هريرة أن هذا القدر من اللبن لن يكفى أهل الصفة ، وكانوا فى حدود المائة . وأيضاً فإنه لن يبقى له ما يشربه .

حتّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ اعلَّ القَدَحَ ، حَتَّى انتَهَيْتُ إلى النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، وقد رَوِىَ القَوْمُ كلُّهمْ ، فأَخَذَ القَدَحَ فوضَعَهُ على يدِهِ ، فنظرَ إلىَّ فتبسَّمَ ، فقالَ : «أباهِرّ» ، قلتُ لَبيّْكَ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : «بَقِيتُ أَنا وأَنتَ» ، قلتُ : صدَقْتَ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : «اقْعُدْ فاشْرَبْ» ، فقعدتُ فشربْتُ ! فَقَالَ : «اشْرَبْ» ، فَشَربْتُ ، فما زالَ يقولُ : اشْرَبْ ، حتَّى قُلْتُ : لَا والَّذِى بَعَثَكَ بالحَقِّ لا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكاً ، قالَ : «فأَرِنى» ، فأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ ، فَحَمِدَ اللهَ تعالى ، وسَمَّى ، وشَربَ الفَضْلَةَ) .

(رواه البخارى) .

عن المِقْدادِ قالَ : (أَقْبَلْتُ أَنا وصاحِبَانِ لِى ، وقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وأَبْصَارُنَا مِنَ الجَهْدِ[1] ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا علَى أَصحاب رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فليْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا ، فأَتَيْنَا النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فانْطَلَقَ بنَا إلى أَهْلِهِ ، فإذا ثلاثَةُ أَعْنُزٍ[2] ، فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «احْتَلِبُوا هَذا اللَّبَنَ بيْنَنَا» ، قالَ : فكُنَّا نَحْتَلِبُ فيشرَبُ كلُّ إنسانٍ مِنا نصيبَهُ ، ونَرْفَعُ للنبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ نَصِيبَهُ . قالَ : فيَجىءُ مِنَ الليْلِ فيُسَلِّمُ تَسْليما لا يوقِظُ نائِما ويُسْمِعُ اليَقْظَانَ ! قالَ : ثُمَّ يأْتِى المسجدَ فيُصَلِّى ، ثُمَّ يَأْتِى شرابَهُ فيشربُ فأَتانِى الشيطانُ ذاتَ ليلة ، وقَدْ شربْتُ نَصِيبى ، فقالَ : محمدٌ يأْتِى الأَنْصَارَ فيُتْحِفُونَهُ

---

(١) «الجهد» : بفتح الجيم المشقة ، يقال : جهد دابته وأجهدها ، إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها .

(٢) «الأعنز» ، جمع عنز بفتح العين المهملة وسكون النون : الأنثى من الماعز .

ويُصيبُ عندَهُمْ ، مابهِ حاجَةٌ إلى هذهِ الجُرْعَةِ[١] !! . فأَتَيْتُهَا فَشَربتُها ، فلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ فِى بَطْنِى[٢] ، وعَلِمْتُ أَنَّهُ ليسَ إليْهَا سَبيلٌ ، قالَ : نَدَّمَنِى الشيطانُ ، فقالَ : ويْحَكَ مَا صَنَعْتَ : أَشَربْتَ شَرَابَ محمد فيجىءُ فَلَا يَجِدُهُ ، فيدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وآخرتُكَ ! وعَلَىَّ شَمْلَةٌ[٣] إذا وَضَعْتُها عَلَى قَدَمَىَّ خرجَ رَأْسِى ، وإذا وَضَعْتُها على رأْسِى . خرجَ قَدَمَاىَ ! وَجَعَلَ لَا يَجيئُنِى النومُ ! وأَمَّا صاحِباى فَنَامَا ، ولَمْ يَصْنَعَا ما صَنَعْتُ . قالَ : فجاءَ النبىُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، فسلَّمَ كَمَا كانَ يُسَلِّمُ ، ثُمَّ أَتَى المسجدَ فَصَلَّى ، ثُمَّ أَتَى شرابهُ فكشَفَ عنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فيهِ شَيْئًا ، فرفَعَ رأْسَهُ إلى السماءِ ، فقُلْتُ : الآنَ يَدْعُو عَلَىَّ فأَهْلِكُ ! . فقالَ : «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِى ، واسْقِ مَنْ أَسْقَانِى » ، قالَ : فَعَمَدْتُ إلى الشَّمْلَةِ فشدَدْتُهَا عَلَىَّ ، وأَخذْتُ الشَّفْرَةَ[٤] فانْطَلَقْتُ إلى الأَعْنُزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ ، فأَذبحها لِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فإذا هِىَ حَافِلَةٌ[٥] ، وإذا هُنَّ

---

(١) «الجرعة» : بضم الجيم وتفتح ، الشربة الواحدة ، والفعل منه جرع من باب فهم ، وجرع من باب قطع لغة فيه أنكرها الأصمعى .

(٢) «وغلت فى بطنى» : بالغين المعجمة المفتوحة ، معناه : دخلت فى بطنى وتمكنت منه . والوغول على وزن الدخول هو الدخول فى الشىء والاختفاء فيهِ . قال فى المصباح : وغل وغلا من باب وعد توارى بشجر ونحوه ، فهو واغل . قال السرقسطى : وغل فى الشىء وغلا وغولا ، دخل . (انتهى) .

(٣) «الشملة» : بوزن النملة ، كساء يتغطى به .

(٤) «الشفرة» : بالفتح ، السكين العظيم .

(٥) «حافلة» : أى ممتلئ ضرعها باللبن ، يقال : حفل الماءُ واللبن من باب ضرب إذا اجتمع ، وحفله جمعه .

حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ (١) ، فعَمدْتُ إلى إناء لآلِ محمد صلى اللهُ عليهِ وسلمَ مَا كَانوا يَطمَعُونَ أنْ يَحْتَلِبُوا فيهِ . قالَ : فحلَبْتُ فيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ ، فجئْتُ إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، فقالَ : «أشَرِبْتُمْ شَرَابكُمُ الليْلَةَ ؟ » ، قالَ : قُلْتُ : يارسولَ اللهِ ، اشربْ ، فَشَرِبَ ، ثم ناوَلَنِي ، فقُلْتُ : يا رسولَ اللهِ ، اشرَبْ ، فشرِبَ ، ثُمَّ نَاوَلَنِي . فَلَمَّا عَرَفْتُ أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ قَدْ رَوِى وأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ ، ضحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيتُ إلى الأَرْضِ (٢) قالَ : فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : «إِحْدَى سَوْآتِكَ (٣) يامِقْدَاد» ، فقلْتُ : يا رسولَ اللهِ ، كانَ مِنْ أمْرِى كَذا وكَذَا ، وفَعَلْتُ كذا ! فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : «ماهَذِهِ إلَّا رحْمَةٌ مِنَ اللهِ ، أَفَلَا كُنْتَ آذَنْتَنِي (٤) فنُوقظَ صَاحِبَيْنَا فيُصِيبَانِ مِنْهَا ؟» قالَ : فقلتُ : والذى بَعَثَكَ بالحَقِّ ما أُبالى ، إذَا أَصَبْتَها وأَصَبْتُها مَعَكَ ، مَنْ أصابَهَا مِنَ الناسِ !) .

(رواه مسلم فى « باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ») .

(١) هذا من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم . لأنه قد كان حلب ما فيهن قبل .

(٢) «ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض» : أى سقطت عليها ووقعت . وسبب ضحكه زوال همه بما جعل الله من اللبن فى الأعنز حتى شرب النبي صلى الله عليه وسلم وروى . ثم بما أصابه من الخير ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له .

(٣) «إحدى سوآتك يا مقداد» : أى إحدى معايبك ونقائصك . جمع سوأة بفتح فسكون . والمقصود : أنك قد فعلت فعلة من الفعلات التى تسوءُ ، فما هى ؟ فأخبره المقداد بما كان ، فقال عليه الصلاة والسلام حينئذ : «ما هى إلا رحمة من الله تعالى» .

(٤) «آذنتنى» : بهمزة ممدودة : أخبرتنى .

الفصـــل الســـابـع

«بيان أنه صلى الله عليه وسلم كان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»

عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهما ، أَنَّ النبي صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «أُرِيتُ فى المنامِ أَنِّى أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكَرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ(١) ، فجاءَ أَبو بكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ(٢) ، نَزْعاً ضعيفاً . واللهُ يَغْفِرُ لَهُ(٣) ، ثُمَّ جاءَ عمرُ بنُ الخطابِ فاستحالَتْ غَرْباً(٤) ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِى فَرِيَّهُ(٥) حتى رَوِىَ الناسُ وضَرَبُوا بِعَطَنٍ(٦) !» (رواه البخارى فى مناقب عمر)

---

(١) «بكرة» : بفتح الباء وإسكان الكاف ، وحكى الفتح : الخشبة المستديرة التى يعلق فيها الدلو عند إرادة مائه . «القليب» بفتح القاف وكسر اللام ، بئر غير مبنية .

(٢) «نزع» : أخرج من ماء القليب . «ذنوبا أو ذنوبين» بفتح الذال المعجمة : أى دلوا أو دلوين ، والشك من الراوى .

(٣) «نزعا ضعيفا» : أُوِّلَ بقصر مدة خلافته . أما قوله : «والله يغفر له» ، فليس المراد أنه قصر فى حق الإسلام ، ولكنها كلمة يراد بها الدعاء ، كقولهم : «فلان يرحمه الله» .

(٤) أى تحولت الدلو فى يده دلوا عظيمة .

(٥) أى لم أر سيداً قوياً يعمل عمله النافع .

(٦) «العطن» ، بفتحتين ، معناه : مكان بروك الإبل . وهذا كله إشارة إلى ما أكرم الله به عمر ، من امتداد مدة خلافته ، والقيام فيها بإعزاز الإسلام ، واستقرار أمور الناس فى عهده حتى ضرب الناس بعطن ، أى حتى رووا وأرووا إبلهم ، وضربوا لها عطنا حول الماء . ففى هذا إشارة إلى استقرار الأمور ، واطمئنان الناس ، وازدهار الإسلام .

عن اسحقَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أبى طَلْحَةَ ، أنَّهُ سمعَ أنَس بنَ مالكٍ يقولُ : (كان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يدخلُ على أُمِّ حَرَام بنتِ مِلحَان (١) ، وكانَتْ تحتَ عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ ، فدخَلَ عليْهَا يوْماً فأَطْعَمَتْهُ ، وَجَعَلَتْ تَفْلِي رأسَهُ (٢) ، فنامَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثُمَّ استَيْقَظَ وهُوَ يَضْحَكُ ، قالتْ : فقلتُ : ما يُضحِكُكَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : «ناسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ غُزَاةً فى سبيلِ اللهِ ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هذا البحْرِ (٣) ، مُلوكاً علَى الأَسِرَّةِ ، أَوْ مِثْل الملوكِ علَى الأَسِرَّةِ » — شَكَّ إسحقُ — . قالتْ : فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، ادْعُ اللهَ أَنْ يجعلنِى منهُمْ ، فدعَا لَها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثُمَّ وضَعَ رأْسَهُ ، ثُمَّ استَيْقَظَ وهُوَ يَضْحَكُ ، فقلتُ : ما يضحِكُكَ يا رسولَ اللهِ ؟ . قالَ : «ناسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا علَىَّ غُزَاةً فى سبيلِ اللهِ » كما قالَ فى الأُولى ، قالتْ : فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِى منهُمْ ، قالَ : «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ» . فركِبَتِ البحرَ فى زمانِ مُعَاوِيَةَ (٤) بنِ أَبى سُفْيَانَ ، فصُرِعَتْ عنْ دابَّتِها حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البحْرِ ، فَهَلَكَتْ (٥) .

(رواه الشيخان واللفظ للبخارى فى باب رؤيا النهار من كتاب «تعبير الرؤيا»).

---

(١) «حرام» : بالحاء والراء المهملتين المفتوحتين . «ملحان» ، بكسر الميم وسكون اللام ، كانت أم حرام خالته صلى الله عليه وسلم من الرضاع .

(٢) «تفلى» : بفتح أوله وسكون ثانيه . معناه : تفتش شعر رأسه .

(٣) «ثبج هذا البحر» : الثبج بفتحتين ، الوسط ، أى وسط هذا البحر .

(٤) «فى زمان معاوية» : أى فى زمان ولايته على الشام ، فى خلافة عثمان رضى الله عنه

(٥) رجعت أم حرام من الغزو إلى الشام ، فركبت دابة فأسرعت بها ، فاندقت عنقها ، فماتت شهيدة رضى الله عنها .

عن سالمِ بنِ عبدِ اللهِ عنْ أَبيهِ أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ :
(رأيْتُ كأنَّ امرأةً سوداءَ ثائِرةَ الرأسِ ، خَرَجَتْ مِنَ المدينةِ حتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَة (١) ـ وهىَ الجُحْفَةُ ـ فأَوَّلْتُ أنَّ وَبَاءَ المدينةِ نُقِلَ إليْهَا) .

(أخرجه البخارى فى التعبير ، واللفظ له ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه) .

(١) «مَهْيَعَة» : بفتح الميم وسكون الهاء وفتح التحتية والعين المهملة : فسرها بقوله «وهى الجحفة» بوزن الغرفة ، ميقات أهل مصر ، وكان سكانها يهودا يؤذون الناس ، فنقل وباءُ المدينة إِلَيْهَا لعدوان أهلها ، وقد دعا صلى الله عليه وسلم : «اللهم حبب إلينا المدينة ، وانقل حمّاها إلى الجحفة» ، فاستجاب الله دعاءه ، وأرى الله ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم قبل حصوله .

الفصل الثامن

(فى الإسراء به صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى والعروج به إلى السموات العلا)

عن مَسْرُوقٍ قالَ : (كنتُ مُتكِئًا عِنْدَ عائشةَ ، فقالتْ : عَائِشَةُ ثلاثٌ مَنْ تكلَّمَ بِوَاحِدَةٍ منهنَّ فقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ[1] ! قلتُ : وما هُنَّ ؟ قالتْ : مَنْ زعَمَ أَنَّ محمدًا صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رَأَى رَبَّهُ[2] ، فقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ ! قالَ : وكنتُ مُتكِئًا فجلسْتُ فقلتُ : يا أُمَّ المؤمنينَ ، أَنْظِرِينِي ولا تعجليني ، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عزَّ وجلَّ : «ولقدْ رآهُ بالأُفُقِ المبينِ» ؟ «ولقدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى» ؟ فقالَتْ : أَنا أَوَّلُ هذهِ

(١) «الفرية» : بكسر الفاء وإسكان الراء ، وهى الكذب .

(٢) أى ليلة الإسراء . وفى المسألة خلاف بين السلف : فأنكرت الرؤية عائشة . وجاء مثله عن أبى هريرة وجماعة ، وهو المشهور عن ابن مسعود . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه رآه بعينه ، ومثله عن أبى ذر وكعب والحسن . وكان يحلف على ذلك . ووقف بعض المشايخ فى ذلك ، وقال : ليس عليه دليل واضح . ولكنه جائز . قال النووى : الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينى رأسه ليلة الإسراء . لحديث ابن عباس : «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم . والكلام لموسى . والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم» ؟ وقد روى بإسناد لا بأس به ، عن شعبة . عن قتادة . عن أنس . قال : رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ، ومثله لايقال لظن ولا اجتهاد ؛ ولا يقدح فى هذا حديث عائشة ، لأنها لم تنف الرؤية بحديث مرفوع ، وإنما نفتها متأولة لبعض الآيات ، ويمكن الجواب عما ذكرت . اهـ . ملخصا .

الأُمَّةِ ، سأَلَ عنْ ذلِكَ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : «إنما هُوَ جبريلُ ، لَمْ أَرَهُ على صورَتِهِ التى خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هاتَيْنِ المرَّتَيْنِ[1] : رأَيْتُهُ مُنْهَبطًا مِنَ السماءِ ، سَادًا عِظَمُ خَلْقِهِ مابَيْنَ السماءِ إلى الأَرْضِ» ، فقالَتْ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يقولُ : «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ» ؟ أَوَلَمْ تسمعْ أَنَّ اللهَ يقولُ : «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ، فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَايَشَاءُ ، إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ»[2] ؟ قالتْ : ومَنْ زَعَمَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ كَتَمَ شيْئاً مِنْ كتابِ اللهِ ، فقدْ أَعْظَمَ علَى اللهِ الفِرْيَةَ ! واللهُ يقولُ : «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ» ، قالتْ : ومَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بما يكونُ فى غَدٍ ، فقدْ أَعْظَمَ على اللهِ الفِرْيَةَ ! واللهُ يقولُ : «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ») .

(رواه مسلم فى «كتاب الإيمان» ج أول ، ص ١١٠ ، ط استانبول)

عنْ أَبِى ذَرٍّ قالَ : (سأَلْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هلْ رأَيْتَ ربَّكَ ؟ قالَ : «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» . [وفى رواية عن عبد الله بن شقيق] قالَ : قلتُ لأَبِى ذَرٍّ : لَوْ رأَيْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لَسَأَلْتُهُ ،

---

(١) الأولى بعد البعثة بحراء ، والثانية ليلة الإسراء فى السموات .

(٢) أجاب الجمهور عن الآية الأولى ، بأن الإدراك هو الإحاطة ، والله تعالى لايحاط به ، ونفى الإحاطة لايلزم منه نفى الرؤية بغير إحاطة ، وأجابوا عن الآية الثانية ، بأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية ، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام .

فقالَ : عَنْ أَىِّ شىء كنتَ تسأَلُهُ ؟ قالَ : كنْتُ أَسْأَلُهُ : هلْ رأَيْتَ ربَّكَ ؟ قالَ أَبو ذَرٍّ : قَدْ سَأَلْتُ فقالَ : «رأَيْتُ نُورًا» .

(رواه مسلم فى «كتاب الإيمان» ج أول ، صفحة ١١١)

عن ابنِ عباس رضى اللهُ تعالى عنهما فى قوله تعالى : «وَمَا جَعَلْنَا الرؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» ، قالَ : هِىَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيهَا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بهِ إلى بيْتِ المقْدِسِ . قَالَ : والشجرةُ الملعونةُ فى القرآنِ ، هى شجَرَةُ الزَّقُّومِ .

(رواه البخارى فى «باب المعراج» ج٥ ، ص ٥٤) .

الفصل التاسع

«بيان أنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم
عبدَ اللهِ ورسولَه ، لايَعْلَمُ من الغَيْبِ إلَّا ماأُوحِيَ إليهِ ، ولا يأْتى مِنَ الآياتِ إلَّا بما يشاءُ اللهُ عزَّ وجل»

قال الله تعالى فى سورة آل عمران : «مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ والحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِى مِنْ دُونِ اللهِ ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً ، أَيَأْمُرُكُمْ بالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» ـ الآيتان ٧٩ ، ٨٠ .

وقال تعالى فى سورة الأنعام : «قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَىَّ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ» ـ الآية رقم ٥٠ .

وقال تعالى فى سورة الأعراف : «يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى ، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ، ثَقُلَتْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلَا ضَرًّا ، إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَمَا مَسَّنِىَ السُّوءُ ، إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» ـ الآيتان ١٨٧ ، ١٨٨ .

وقال تعالى فى سورة الإسراء : «وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً ، أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُف ، أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا » ـ الآيات ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ .

وقال تعالى فى سورة الجن : «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُول فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدا » الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

وقال تعالى فى سورة الرعد : «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ، وَمَا كَانَ لِرَسُول أَنْ يَأْتِيَ بِآيَة إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ . لِكُلِّ أَجَل كِتَابٌ » ـ الآية ٣٨ .

والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

عنِ ابنِ عباسٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ يقولُ علَى المِنْبَرِ : سَمِعْتُ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : «لَاتُطْرُونِي[1] كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولوا : عَبْدُ اللهِ ورسولُهُ » .

عن خالدِ بن ذَكْوَانَ ، عنْ الربَيِّع بنتِ مُعَوِّذ . قالَتْ : (دَخَلَ علَى النبي صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ ، فجلَس علَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ

---

(١) «لاتطرونى» : أى لاتبالغوا فى مدحى وتجاوزوا الحد فيه ، حتى لايصل بكم الأمر إلى ما فعله النصارى بعيسى ، حيث أدت بهم المبالغة فى الإطراء إلى قولهم بأنه ابن الله ! .

مِنِّى ، وجُوَيْرِياتٌ يَضْرِبْنَ بالدُّفِّ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبائِى يَوْمَ بَدْرٍ ! حَتَّى قالَتْ جاريةٌ : وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ ما فِى غَدٍ ! فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «لا تَقُولِى هَكَذَا ، وقولِى ما كُنْتِ تَقُولِينَ» .

عن أُمِّ سَلَمَةَ ، عنِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «إنَّمَا أنا بَشَرٌ ، وَإنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ(١) إلَىَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكونَ أَلْحنَ(٢) بحُجَّتِهِ مِنْ بعضٍ ، فأَقْضِى لهُ علَى نحوِ ما أَسْمَعُ ! فمَنْ قضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخيهِ(٣) شيئاً ، فَلا يأْخُذْهُ ، فإنَّمَا أَقْطَعُ لهُ قِطْعَةً مِنَ النارِ» .

(أخرجه الشيخان ، واللفظ للبخارى فى «كتاب الحيل»)

عن ابنِ مسعودٍ رضى اللهُ عنهُ ، قالَ : (كنتُ معَ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فى حَرْثٍ بالمدينةِ ، وهُوَ يتوكَّأُ علَى عَسِيبٍ(٤) ، فَمَرَّ بنفَرٍ مِنَ

---

(١) «وإنكم تختصمون إلىَّ» : وجَّه عليه الصلاة والسلام هذا الكلام إلى رجلين احتكما إليه فى ميراث ، وكل منهما يدَّعِى أحقيته له ، ويدلى بحجته .

(٢) «ألْحنَ بحُجَّته» : أى أكثر اقتداراً على توضيح حجته . واللَّحْنُ : الفطنة وسرعة الفهم .

(٣) «فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا» : مراد النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه بَشَر ، وأنه لهذا قد تخفى عليه الحقيقة بفعل المُبْطِل الفَطِن القادر على اظهار حجته ، فيقضىَ له بما لا يستحق ، فهذا القضاء لا يجعله صاحب حق فى الواقع . وسيعرِّضه للاقتصاص منه فى الآخرة . ولقد كان من أثر هذا التوجيه النبوى الحكيم : أن بكى الخصمان وتنازلا عن دعواهما ، وجعل كل منهما يقول : حقى لأخى ! ولهذا ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم طلب منهما تقسيم الميراث المتنازع عليه إلى قسمين ، وأن يقترعا عليهما ، فمن وقعت قرعته على أحد القسمين أخذه .

(٤) «عسيب» جريدة من النخل مستقيمة دقيقة ، يكشط خوصها .

اليهودِ ، فقالَ بعضُهُمْ : سَلُوهُ عن الرُّوحِ ، وقالَ بعضُهُمْ : لاتَسْأَلُوهُ ، لَا يُسْمِعُكُمْ ما تَكْرَهُونَ ! فَقَامُوا إليهِ فقالوا : يا أَبا القاسِمِ ، حَدِّثْنَا عنِ الرُّوحِ ! فقامَ ساعةً ينظُرُ ، فعرفتُ أَنَّهُ يوحَى إليْهِ ، فتأَخَّرْتُ عنْهُ حَتَّى صَعِدَ الوَحْيُ ، ثُمَّ قالَ : «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى »)

عن عبدِ اللهِ (هُوَ ابْنُ مسعود) رضى اللهُ عنهُ قالَ : (صَلَّى بنَا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خَمْساً ، فقُلْنَا : يا رسولَ اللهِ ، أَزِيدَ فى الصلاةِ ؟ قال : «وما ذَاكَ» ؟ ، قالوا : صلَّيْتَ خَمْساً ! قالَ : «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، أَذكُرُ كَما تَذْكُرُونَ ، وأَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ» ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَى السَّهْوِ) .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم) .

عن ابنِ شِهَابٍ قالَ : (أَخبَرَنِى خارِجَةُ بنُ زيدِ بنِ ثابتٍ ، أَنَّ أُمَّ العَلاءِ ـ امرأَةٌ مِنَ الأَنصارِ بايَعَتِ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ أَخبَرَتْهُ : أَنَّهُ اقْتَسَمَ المهاجرونَ قُرْعَةً ، فَطَارَ لنا عثمانُ بنُ مَظْعُونٍ ، فأَنْزَلْنَاهُ فى أَبْياتِنَا ، فوجِعَ وَجَعَهُ الَّذِى تُوُفِّىَ فيهِ ، فلمَّا تُوُفِّىَ وغُسِّلَ وكُفِّنَ فِى أثوابِهِ ، دَخَلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقُلْتُ : رحْمَةُ اللهِ عليْكَ أَبَا السَّائِبِ ، فَشَهادَتِى عَلَيْكَ لقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ ، فقالَ النبى صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «ومَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَكْرَمَهُ[1] ؟ » فقُلْتُ : بِأَبِى أَنْتَ يا رسولَ اللهِ ،

---

(١) «وما يدريك أن الله قد أكرمه» : النبى صلى الله عليه وسلم لا يمنع من تزكية الميت بذكر محاسنه ، وإنما يمنع من الحكم للميت بمصيره بعد الموت ، فذلك علمه عند الله . وقد وردت عدة أحاديث تفيد جواز الشهادة بالخير للميت ، كتعديد محاسنه فى الدنيا =

فَمَنْ يُكْرِمهُ اللهُ ؟ قالَ : «أَمَّا هُوَ فقَدْ جاءَهُ اليَقِينُ ، واللهِ إنِّى لأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ ، واللهِ ما أَدْرِى ، وأَنَا رسولُ اللهِ ، ما يُفْعَلُ بِهِ» ، قالَتْ : فَوَاللهِ مَا أُزَكِّى أَحَدًا بَعْدَهُ أَبدًا) .

(رواه البخارى فى «باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج فى كفنه» من كتاب الجنائز) .

=ومن هذه الأَحاديث قول النبى صلى الله عليه وسلم : «ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من جيرانه الأَدنين ، إلّا قال الله تعالى : قبلتُ عِلْمَهم فيهِ ، وغَفَرْتُ له مالا يعلمون» .

الباب الخامس

«ما جاء على لسانه عليه الصلاة والسلام :

عن الملائكة ، وصفات الله »

وفيه فصلان

الفصل الأول

الملائكة ــ الكلام عن الملائكة يتضمن عدة أُمور :

«الأوَّل : خلق الله الملائكة من نور »

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ : (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ [1] مِنْ نَار . وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ) [2] .

(رواه مسلم فى كتاب الزهد . ص ٢٢٦ . جـ٨).

---

(١) «المارج» : اللهب المختلط بسواد النار . أى بالدخان : «وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُوم» (سورة الحجر . الآية ٢٧) .

(٢) أى فى القرآن الكريم بقوله تعالى : «مِنْ صَلْصَال مِنْ حَمَإٍ مَسْنُون» (سورة الحجر ، الآية٢٨) .

« الثانى : كثرتهم وعبادتهم »

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنِّى أَرَى مَالاتَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لَاتَسْمَعُونَ ! . أَطَّتِ[١] السَّمَاءُ ، وَحَقَّ[٢] لَهَا أَنْ تَئِطَّ ! مَافِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلهِ . وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ . وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ[٣] تَجْأَرُونَ[٤] إِلَى اللهِ ! ! لَوَدِدْتُ أَنِّى كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ! » ؟[٥] .

(أخرجه الترمذى ج٩ ص١٩٤) .

---

(١) الأطيط : صوت الأقتاب ، أى إن كثرة من فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت. وهذا تمثيل وإيذان بكثرة الملائكة . وإن لم يكن ثم أطيط . وإنما هو تقريب أريد به عظمة الله تعالى .

(٢) أى وجب لها ولزم .

(٣) «الصُّعُدَات» : الطرق ، جمع صُعُد ، وصُعُدٌ جمع صعيد كطريق .

(٤) الجُؤَارُ : رفع الصوت والاستغاثة ، جأَرَ يَجْأَرُ .

(٥) «تُعْضَدُ» : تقطع . والعضيد ما قطع من الشجر .

تمنى رسول الله أن يكون شجرة تعضد لهول ما يرى وما يسمع ! فإن الملائكة ــ وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤْمرون ــ قائمون على قدم وساق ، لا يفترون عن عبادة الله ، خاشعين وخاضعين ، فما بالك بالبشر ؟ إنَّ الأمر إذًا مهول للغاية ! ولو يعلم الناس ما علم الرسول ، لقل ضحكهم ، وكثر بكاؤهم ، وامتنع تلذذهم بالنساء ، ولخرجوا إلى الطرقات يجأرون إلى الله بالدعاء والاستغاثة .

... ...

والملائكة أصناف . منهم :

١ ـ حملة العرش : «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ . يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا» (سورة غافر . من الآية ٧) .

٢ ـ الحافُّون حول العرش : «وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ . يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» (سورة الزمر . من الآية ٧٥) .

٣ ـ أكابر الملائكة :

(١) جبريل . وهو (أولا) : أشرف الملائكة . (ثانيا : صاحب الوحي . وهو الذى يصلح به الإصلاح العام : «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ» (سورة الشعراء الآية ١٩٣ . ١٩٤) . (ثالثا) : روح القدس : «إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ» (سورة المائدة من الآية ١١٠) . (رابعا) : ينصر الله به أولياءه ويقهر به أعداءه . (خامسا) : مدحه الله وأثنى عليه بأوصاف فيه : «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ» .
(سورة التكوير . الآيات ١٩ . ٢٠ . ٢١) .

(ب) ميكائيل : «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ» (سورة البقرة الآية ٩٨) .

(جـ) إسرافيل . الموكل بنفخ الصور : «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ . فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ . إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى . فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» (سورة الزمر الآية ٦٨) .

(د) ملك الموت . عزرائيل : «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ» (سورة السجدة من الآية ١١) .

٤ ـ الموكلون بقبض الأرواح مع ملك الموت : «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا» (سورة الأنعام ، من الآية ٦١) .
(وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ) (سورة الأنفال من الآية ٥٠) .

«الثالث : كيف يكلم الله ملائكته»

حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : «إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا ، خُضْعاناً[1] لِقَوْلِهِ ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانَ»[2] — قَالَ عَلِيٌّ[3] : وَقَالَ غَيْرُهُ صَفْوَانَ — يَنْفُذُهُمْ

= ٥ — ملائكة الجنة : «والْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ» (سورة الرعد ، الآية ٢٣ ، ٢٤) .

٦ — ملائكة النار : «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ . وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً» (سورة المدثر ، الآية ٣٠ ، ٣١) ، ورئيسهم مالك : «وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ» (سورة الزخرف ، من الآية ٧٧) . وسموا الزبانية : «فَلْيَدْعُ نَادِيه . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ» . (سورة العلق ، الآية ١٧ ، ١٨) .

٧ — الموكلون ببني آدم : «عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (سورة ق ، الآية ١٧ ، ١٨) ، «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ» (سورة الرعد من الآية ١١) . «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً» (سورة الأنعام ، من الآية ٦١) .

٨ — كتبة الأعمال : «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَاماً كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» (سورة الانفطار ، الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢) .

٩ — الموكلون بأحوال هذا العالم : «والذَّارِيَاتِ ذَرْوًا . فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا . فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا . فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا» (سورة الذاريات ، الآيات ١ — ٤) .

(١) «خُضْعَاناً» : أي خاضعين طائعين .

(٢) «صَفْوان» : حجر أملس .

(٣) «قال عَلِيٌّ : وقال غيرُه : صَفَوان» : عَلِيٌّ ، هو علي بن عبد الله المديني ، شيخ =

ذٰلِكَ(١) . فَإِذَا فُزِّعَ(٢) عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا . الْحَقَّ(٣) ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ») .

(رواه البخارى فى كتاب التوحيد : القسطلانى ج١٠ ص ٣٤٧) .

«الرابع : صورة جبريل التى خلقه الله عليها»

عنْ عَبْدِ اللهِ(٤) : («مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ(٥) مَا رَأَى » قَالَ : رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ فِى حُلَّةٍ مِنْ رَفْرَفٍ(٦) ، قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) .

(رواه الترمذى ج١٢ ص١٧٢ ، وقال : حديثٌ حَسَنٌ صحيح)

= البخارى . والمقصود أن عليًّا هذا ذكر أنَّ غيرَ سفيان بن عُيَيْنَةَ قال : صَفَوان . بفتح الفاء . والضمير فى (غيره) يعود إلى سفيان .

(١) «يَنْفُذُهُم ذلك» : النَّفَذُ بالتحريك المَخْرَجُ والمَخْلَص . وفى الحديث : «أَيُّمَا رَجُلٍ أَشَارَ عَلَى مُسْلِمٍ بِمَا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعَذِّبَهُ ، أَوْ يَأْتِي بِنَفَذٍ مَا قَالَ » . أى بالمَخْرَج منه . وفى حديث ابن مسعود : «إِنَّكُمْ مَجْمُوعُونَ فى صَعِيدٍ وَاحِدٍ . يَنْفُذُكُمُ الْبَصَرُ» ، أى يَنْفُذُهم بَصَرُ الرحمن . حتى يأتى عليهم كلهم . ويجاوزهم . وعلى ضوء هذا يكون معنى «ينفذهمُ ذلك» فى حديثنا : أن أمر الله الذى قضاه . قد بلغ من قُوَّته أن يسمعه جميع الملائكة ، بل إنه يجاوزهم حتى يسمعه غيرهم .

(٢) «فإذا فُزِّع عن قلوبهم» : أى كشف عن قلوبهم .

(٣) «قالوا : الحق» : أى قالوا لَمَّا سُئِلُوا عما قال الله : إنه قال الحقَّ .

(٤) «عن عبد الله» : هو ابن مسعود .

(٥) «الفؤاد» : القلب ، أى ما كذب القلب ما رآه البصر . والمراد أن النبى صلى الله عليه وسلم حين رأى جبريل على هذه الصورة ، رؤية بصرية ، اطمأن قلبه إلى أن هذا هو جبريل حقا ، فكان إدراك القلب اليقينى مطابقا لإدراك البصر الحسى .

(٦) «من رفرف» : كل ما فضل من شىء فثنى وعطف ، فهو رفرف . وأرادَ هُنا =

« الخامس : لااختيار للملائكة فى النزول إلى الأرض ، وإنما ينزلون بأمر الله »

عنْ عَبْدِ اللهِ بْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، (عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : «يَاجِبْرِيلُ ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا [١] » ؟ فَنَزَلَتْ : «وما نَتنزَّلُ إلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ،لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا [٢] وَمَا خَلْفَنَا [٣] » إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [٤] . قَالَ : هَذَا كَانَ الْجَوَابَ لِمُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم) .

(رواه أحمد واللفظ له . والبخارى والترمذى والنسائى : الفتح الربانى جـ١٨ ص ٢٠٨) .

=مِنْ بساط . أو فرش . وقيل : الرفرف ما كان من الديباج وغيره رقيقا حسن الصنعة ، ثم توسع فيه فأُطْلِق على البساط والفراش . وفى رواية عن عبد الله بن مسعود أيضاً ، قال : «رأى رَفْرَفاً أَخْضَر سَدَّ الأُفُقَ» .

(١) «أكثر مما تزورنا» : قيل إن السبب فى ذلك احتباس الوحى أكثر من عادته ، فحزنه الرسول على الإكثار من نزوله عليه . وكان الجواب من عند الله أنه قال على لسان جبريل : «وَمَا نَتَنَزَّلُ» ، أى قُلْ يا جبريل لمحمد : «وَمَا نَتَنَزَّلُ» ، نحن معاشر الملائكة ، «إلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ» أى بإذن ربك .

(٢) «له ما بين أيدينا» : أى المستقبل .

(٣) «وما خلفنا» : الذى سبق . وقوله بعد ذلك : «وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ» أى الحال الحاضر. وقوله : «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» ، أى : ما صح وما استقام أن ينسَى ربك شيئا أراده وقَدَّره على وفق حكمته . فلو كان من الحكمة أن أَنْزِلَ عليك كثيرا ، لأمرنا اللهُ بالنزول عليك .

(٤) «إلى آخر الآية» : هى الآية ٦٤ من سورة مريم ، وتمامها : «وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَمَا خَلْفَنَا ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» .

«السادس: الملائكة السيَّارة فى الأرض ابتغاء مجالس الذكر»

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ لِلهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً[1] فُضْلًا[2] . يَبْتَغُونَ[3] مَجَالِسَ الذِّكْرِ . فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِساً فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ ، وَحَفَّ[4] بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَابَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا . فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ ـ قَالَ : فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ . فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيُهَلِّلُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، وَيَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ . قَالُوا : لَا أَيْ رَبِّ . قَال : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ . قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ[5] . قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي ؟ . قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَارَبِّ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ . قَالُوا : لَا . قَالَ : فَكَيْفَ

---

(١) «سيارة» : أى سَيَّاحون فى الأرض .

(٢) «فُضْلًا» . بضم الضاء وسكونها مع ضم الفاء : ملائكة زائدين على الحَفَظَة وغيرهم من المُرَتَّبِينَ مع الخلائق . فهذا النوع من الملائكة لا وظيفة لهم ، وإنما مقصودهم حلق الذكر .

(٣) «يَبْتَغُونَ» : يطلبون مجالس الذكر .

(٤) «وَحَفَّ بعضُهم بعضاً» : رواية البخارى : «يَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ ، ويُحْدِقُونَ بِهِمْ ، وَيَسْتَدِيرُونَ حَوْلَهُمْ ، وَيحُفُّ بَعْضُهُمْ بعْضاً» . قال فى لسان العرب : حفَّ القوم بالشىء وحواليه يحُفُّونَ حفًّا ، وحفُّوهُ ، وحَفَّفُوه ، أحْدَقُوا به ، وأطافوا به ، وعكفوا ، واستداروا . فمعنى «حفَّ بعضهم بعضا بأجنحتهم» : استدار بعضهم حول بعض بأجنحتهم .

(٥) «ويستجيرونك» : يطلبون الأمان من النار .

لَوْ رَأَوْا نَارِى ؟ . قَالوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ . قَالَ : فَيَقُولَ : قَدْ غفَرْتَ لَهُمْ ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَاسَأَلُوا ، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا . قَالَ : فَيَقُولُونَ رَبٌّ ، فِيهِمْ فُلَانٌ ، عَبْدٌ خطَّاءٌ(١) ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ . قَالَ : فَيَقُولُ وَلَهُ غفَرْتُ ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) .

(رواه مسلم فى باب فضل مجالس الذكر : النووى ، جـ١٧ ـ ص١٤ والبخارى ، جـ٨ ص ٨٦) .

«السابع : تمثل الملائكة بصور بشرية»

عنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : (قَالَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ : إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بنى إِسْرَائِيلَ : أَبْرَصَ وأَقْرَعَ وأَعْمَى ، أَراد(٢) اللهُ أَنْ يَبْتَلِيهِمْ(٣) ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً ، فَأَتَى الْأَبْرَصَ ، فَقَالَ : أَىُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ . قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وجِلْدٌ حسنٌ ، وَيَذْهَبُ عنِّى الَّذِى قَذِرَنِى النَّاسُ(٤) ، فَمَسَحهُ(٥) ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ ، وَأُعْطِيَ لوناً حسناً ، وجِلْدًا حَسناً . فَقَالَ : أَىُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ . قال : الْإِبلُ . فَأَعْطَاهُ

---

(١) «عبدٌ خطَّاءٌ» : كثير الخطايا .

(٢) «أراد الله» . هذه رواية مسلم ، أمّا رواية البخارى فهى : «بَدَا للهِ عزّ وجَلّ أَنْ يَبْتَلِيهُمْ» . والمراد : أظهر الله ذلك مِنْهُمْ ، وقضا عليهم .

(٣) «أن يبتليهم» : يمتحنهم .

(٤) «قذرنى الناس» : اشمأزوا من رؤيتى .

(٥) «فمسحه» : مرّ بيده على جسمه .

ناقةً عُشَرَاءَ[1] فَقَالَ : بارك اللهُ لَكَ فِيهَا . ثُمَّ أَتَى الْأَقْرَعَ ، فَقَالَ : أَىُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ . قَالَ : شَعْرٌ حَسَنٌ ، ويذْهبُ عنِّى هذَا الَّذِى قَدْ قَذِرَنِى النَّاسُ فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ ، وأُعْطِىَ شَعْرًا حسناً . فَقَالَ : فَأَىُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ . قَالَ : الْبَقَرُ . فَأُعْطِىَ بَقَرَةً حَامِلًا . وَقَال : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا . ثُمَّ أَتَى الْأَعْمَى . فَقَالَ : أَىُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ . قَالَ : أَنْ يَرُدَّ اللهُ عَلَىَّ بَصَرِى فَأُبْصِر بِهِ النَّاس . فَمَسَحهُ : فردَّ اللهُ عليْهِ بصرهُ . قَال : فَأَىُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ . قَال : الْغَنَمُ : فَأُعْطِى شاةً والِدًا[2] ، فَأُنْتِج هذَانِ[3] ، وولَّد هذا[4] . فَكَان لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِن الْبَقَرِ ، ولِهَذَا وادٍ مِنَ الْغَنَمِ . .

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فى صُورتِهِ وَهَيْأَتِهِ[5] ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ ، قَدِ انْقَطَعَتْ بى الْحِبَالُ[6] فى سَفَرِى ، فَلَا بَلَاغَ[7] لِىَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ

---

(١) «عُشَراء» : حاملا ، أى عليها فى حملها عشرة أشهر من يوم طَرَقَها الفَحْلُ .

(٢) «شاة وَالِدًا» : كثيرة النِّتَاج .

(٣) «فَأُنْتِجَ هذان» : هذه هى الرواية . والصواب لغةً أن يقال : (نُتِجَ هذان) بمعنى أن الإبل والبقر قد وضعت عند صاحبيهما .

(٤) «وولَّد هذا» : أى صاحب الشاة . والمقصود أن الشاة وَلَدَت عنده . وتشديد اللام فى (ولَّد) هو المحفوظ عن العرب ، ولهذا جاءت بها الرواية .

(٥) «فى صورته وهيأته» : أى فى الصورة التى كان عليها لَمَّا اجتمع به وهو أبرص ، ليكون ذلك أبلغ فى إقامة الحجة عليه .

(٦) «انقطعت بِى الحبال» : المراد بالحبال الأسباب التى يقطعها فى طلب الرزق .

(٧) «فلا بلاغ» : أى فليس لى ما أتوصل به إلى مرادى ، وأبلغ به مكانى .

أَسْأَلُكَ بِالَّذِى أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ ، وَالْجِلْدَ الْحَسَن ، والْمَالَ ، بعِيرًا أَتبَلَّغُ بهِ فى سَفَرِى . فَقَالَ لَهُ : الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُ كَأَنِّى أَعْرِفُكَ ! ـ أَلَمْ تكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ ! فَقَالَ : إِنَّمَا وَرِثْتُ الْمَالَ ، كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ[1] ! . فقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ . وأَتَى الْأَقْرَعَ فِى صُورتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَردَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ الْأَوَّلُ ! فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ . ثُمَّ أَتَى الْأَعْمَى ، فى صُورَتِهِ وَهَيْأَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ ، وابْنُ سَبيل ، وَتَقَطَّعَتْ بى الْحِبَالُ فى سَفَرِى ، فَلَا بَلَاغَ لِى الْيَوْم إِلَّا باللهِ ثُمَّ بِكَ . أَسْأَلُكَ بالَّذِى ردَّ عَلَيْكَ بصَرَكَ شَاةً أَتبَلَّغُ بهَا فى سَفَرِى . فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمى ، فَرَدَّ اللهُ عَلَىَّ بَصَرِى ، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِى . فَخُذْ مَا شِئْتَ ، وَدَعْ مَا شِئْتَ ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ[2] الْيَوْمَ بِشَىْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ ! ـ فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ ، فَقَدْ رَضِىَ اللهُ عَنْكَ ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ ») .

(رواه البخارى ومسلم : فتح البارى جـ٦ ص٣٩١ ، وتيسير الوصول جـ٤ ص٧٨) .

---

(١) « كابرا عن كابر » : كبيرا عن كبير فى العز والشرف .

(٢) « لا أجْهَدُ » : أى لايشق على أن تأخذ من مالى لله عز وجل .

(وفى الحديث) : التحذير من كفران النعم ، والترغيب فى شكرها ، والاعتراف بها ، وحمد الله عليها . وفيه أيضا : فضل الصدقة ، والحث على الرفق بالضعفاء ، وإكرامهم ، وتبليغهم مآربهم . وفيه كذلك : الزجر عن البخل ، لأنه حمل صاحبه على الكذب ، وعلى جحد نعمة الله تعالى : وفيه : أن الله يبتلى خلقه ليظهر طباعهم الفاضلة الطيبة ، أو الرديئة الخبيثة ، فيعامل كُلاًّ بما يستحقه من جزاء .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ(١) اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ(٢) مَلَكاً ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ . قَالَ : أُرِيدُ أَخاً لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ . قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا(٣) ؟ . قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ . قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ » .

(أخرجه مسلم) .

«الثامن : الملائكة يراهم بعض الناس دون بعض»

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا : «يَا عَائِشَةُ ، هَذَا جِبْرِيلُ(٤) يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ » . فَقَالَتْ : وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . تَرَى مَالَا أَرَى – تُرِيدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

(رواه البخاري)

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : (كُنْتُ مَعَ أَبِي عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعِنْدَهُ ، رَجُلٌ يُنَاجِيهِ ، فَكَانَ كَالْمُعْرِضِ

---

(١) «فأرصد» : أقْعَد له على طريقه .

(٢) «مدرجته» : المدرجة هي الموضع الذي يدرج فيه ، أي يمشي . والمعنى : أقْعَدَ له ملكا في طريقه الذي سيمرُّ منه .

(٣) «تَرُبُّهَا» : تحفظها وتراعيها وتربيها كما يربي الرجل ولده . مِنْ رَبَّ وَلَدَهُ يَرُبُّهُ ، أي رَبَّاهُ .

(٤) «هذا جبريل» : يستفاد من هذه العبارة أن جبريل كان حاضراً ولم تَرَهُ عائشة . ولذلك قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : ترى مالا أرى ! .

عَنْ أَبى . فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ لِي أَبِي : أَيْ بُنَيَّ ، أَلَمْ تَرَ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ كَالْمُعْرِضِ عَنِّي ؟. فَقُلْتُ : يَاأَبَتِ . إِنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ رَجُلٌ يُنَاجِيهِ[1] قالَ : فَرَجَعْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ أَبِي : يَا رَسُولَ اللهِ ، قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ كَذَا وَكَذَا ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ كَانَ عِنْدَكَ رَجُلٌ يُنَاجِيكَ ! فَهَلْ كَانَ عِنْدَكَ أَحَدٌ ؟ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وَهَلْ رَأَيْتَهُ يَا عَبْدَاللهِ» ؟ . قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : «فَإِنَّ ذَلِكَ جِبْرِيلُ ، وَهُوَ الَّذِي شَغَلَنِي عَنْكَ») .

(رواه أحمد . وقال فى مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبرانى ، ورجالهما رجال الصحيح) .

---

(١) «رجل يناجيه» : رآه عبد الله بن عباس ، ولم يره أبوه ، ولذلك ظن أن النبى أعرض عنه بِلَا سَبَبٍ ، وبدأ يغضب ، وعرض الأمر على ابنه ، فلما تبين له رجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستوضحه ، فأخبره أنه كان يناجى جبريل ، وفيه منقبة لابن عباس ، حيث رأى جبريل يناجى الرسول ، بينما لم يره أبوه !.

الفصل الثالث

« صفات الله »

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ لِلهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً ، مَنْ أَحْصَاهَا(١) دَخَلَ الْجَنَّةَ : هُوَ اللهُ(٢) الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ ، الرَّحْمٰنُ(٣) ، الرَّحِيمُ(٤) ، الْمَلِكُ(٥) ، الْقُدُّوسُ(٦) ، السَّلَامُ(٧) الْمُؤْمِنُ(٨) ، الْمُهَيْمِنُ(٩) ، الْعَزِيزُ(١٠) ، الْجَبَّارُ(١١)

---

(١) «أحصاها» : حفظها ، والمراد التفقد ، والتعهد ، والرعاية . أى لا يتعهد هذه الأسماء أحد ، ويرعاها ، ويتفقدها ، عقيدةً وتخلُّقا وعملا ، إلَّا دخل الجنة .

(٢) «هو الله» : علَمٌ على واجب الوجود جل جلاله .

(٣) «الرحمن» : المنعم ابتداءً على المؤمن والكافر .

(٤) «الرحيم» : المنعم جزاءً .

(٥) «الملك» : الذى يتصرف فى ملكه كما يريد ، لا رادَّ لأمره ، ولا معقب لحكمه . ومن ذلك أنه يقبض الأرض ويطوى السماء ، فى الوقت الذى حدده لنهايتهما . وفى الحديث : «يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَطْوِى السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ» .

(٦) «القدوس» : الطاهر من العيوب والنقائص .

(٧) «السلام» : الذى سلم من كل عيب ، وبَرِئَ مِنْ كل آفة . وفى الحديث : «إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ» . والمقصود به المعنى السابق .

(٨) «المؤمن» : الذى آمن عباده بقوله ، أو المصدق ، لأنه إذا وعد صدق وعده .

(٩) «المهيمن» : الذى لا ينقص المطيعين يوم الحساب من طاعتهم شيئا .

(١٠) «العزيز» : الذى لا يُغَالَب .

(١١) «الجبار» : المصلح لأحوال عباده ، الجابر لها .

الْمُتَكَبِّرُ(١) ،الْخَالِقُ(٢) ،الْبَارِىءُ(٣) ،الْمُصَوِّرُ(٤) ،الْغَفَّارُ(٥) ،الْقَهَّارُ(٦) ،الْوَهَّابُ(٧)
الرَّزَّاقُ(٨) ، الْفَتَّاحُ(٩) ، الْعَلِيمُ(١٠) ، الْقَابِضُ(١١) الْبَاسِطُ(١٢) ، الْخَافِضُ(١٣) ،

---

(١) «المتكبر» : المتعالى عن صفات الخلق .

(٢) «الخالق» : هو الذى قدّر الأشياء فى الأزل على ما يريد . وعن أنس فى حديث له قال : (جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَتَانَا رَسُولُكَ ، فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ !! قَالَ : «صَدَقَ» . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ السَّماء ؟ قَالَ : «اللهُ» . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْض ؟ . قَالَ : «اللهُ» . قَالَ فَمَنْ نَصَب هذِهِ الْجِبَالَ ، وجعلَ فِيهَا ما جعلَ ؟ . قَالَ : «اللهُ») .

(٣) «البارىء» : الذى خلق الخلق لا عن مثال .

(٤) «المصور» : الذى أنشأ خلقه على صور مختلفة .

(٥) «الغفار» : البالغ فى الستر ، فلا يشهر الذنب .

(٦) «القهار» : الذى يدبر خلقه بما يريد ، فلا يستطيع أحد ردَّ تدبيره ، والخروج عن تقديره .

(٧) «الوهاب» : المتفضل بالعطايا ، المنعم بها ، لا عن استحقاق عليه .

(٨) «الرزاق» : المفيض على عباده مالا يجعل لأبدانهم قواما إلّا به .

(٩) «الفتاح» : الذى يفتح باب الرزق والرحمة على عباده .

(١٠) «العليم» : المنكشف له سائر الأشياء على ما هى عليه .

(١١) «القابض» : الذى يطوى بِرَّهُ ومعروفه عمن يريد ، أو هو الذى يقبض الأرواح بالموت .

(١٢) «الباسط» : الناشر فضله على عباده .

(١٣) «الخافض» : الذى يخفض الجبارين والفراعنة ، أى يضعهم ويهينهم .

الرَّافِعُ[١] الْمُعِزُّ[٢]، الْمُذِلُّ[٣]، السَّمِيعُ[٤] الْبَصِيرُ[٥]، الْحَكَمُ[٦]. الْعَدْلُ[٧]، اللَّطِيفُ[٨]، الْخَبِيرُ[٩]. الْحَلِيمُ[١٠]. الْعَظِيمُ[١١]. الْغَفُورُ[١٢]. الشَّكُورُ[١٣] الْعَلِيُّ[١٤]، الْكَبِيرُ[١٥]، الْحَفِيظُ[١٦]. الْمُقِيتُ[١٧]، الْحَسِيبُ[١٨].

---

(١) « الرافع » : الرفع ضد الخفض الذى سبق .

(٢) « المعز » : العزة لله ذاتاً وفِعْلا . فمن وهبه منها كان عزيزا .

(٣) « المذل » : مَنْ لم يهبه الله العزة فهو ذليل .

(٤) « السميع » : الذى يسمع السر وأخفى .

(٥) « البصير : العالم بخفايا الأُمور .

(٦) « الحكم » : الذى يضع كل شىء فى موضعه .

(٧) « العدل » : الذى لا تَمِيل به الأهواء .

(٨) « اللطيف » : الذى يريد لعباده الخير واليسر . والبَرُّ بهم .

(٩) « الخبير » : العالم ببواطن الأُمور .

(١٠) « الحليم » : الذى لا يحبس نعمه وأفضاله عن عباده .

(١١) « العظيم » : الذى زاد قدره على غيره . ذاتاً وفِعْلا .

(١٢) « الغفور » : الذى تتسع مغفرته لجميع ذنوب عباده .

(١٣) « الشكور » : المثيب على القليل والكثير .

(١٤) « العلى » : الذى ليس فوقه شىء فى المرتبة .

(١٥) « الكبير » : الموصوف بالجلال و كبر الشأْن .

(١٦) « الحفيظ » : يحفظ السموات والأَرض . ويحفظ على الخلق أعمالهم . ويحفظ أولياءه .

(١٧) « المقيت » : هو الحفيظ . وقيل : الذى يعطى أقوات الخلائق . وهو مأْخوذ من أقاته يقيته ، إذا أعطاه قوته . ويقال أيضا : أقاته . حفظه . وقيل : المقتدر .

(١٨) « الحسيب » : الكافى ، مِنْ أحسبنى الشىء إذا كفانى . وقيل : المدرك للأَجزاء والمقادير

الْجَلِيلُ(١) ، الْكَرِيمُ(٢) ، الرَّقِيبُ(٣) ، الْمُجِيبُ(٤) ، الْوَاسِعُ(٥) ، الْحَكِيمُ(٦) ، الْوَدُودُ(٧) ، الْمَجِيدُ(٨) ، الْبَاعِثُ(٩) ، الشَّهِيدُ(١٠) ، الْحَقُّ(١١) ، الْوَكِيلُ(١٢) ، الْقَوِيُّ(١٣) ، الْمَتِينُ(١٤) ، الْوَلِيُّ(١٥) ، الْحَمِيدُ(١٦) ، الْمُحْصِي(١٧) ، الْمُبْدِئُ(١٨) ،

---

(١) « الجليل » : الموصوف بنعوت الجلال ، وهو راجع إلى كمال الصفات . كما أن الكبير راجع إلى كمال الذات ، والعظيم راجع إلى كمال الذات والصفات .

(٢) « الكريم » : الجواد المعطى ، الذى لاينفد عطاؤه ، وهو الكريم المطاق .

(٣) « الرقيب » : الحافظ الذى لايغيب عنه شئ . وقيل : هو الذى لايغفل عما خلق .

(٤) « المجيب » : الذى يعطى سائله ما يريد .

(٥) « الواسع » : الكثيرة مقدراته ومعلوماته . أو : الغنى الذى وسع رزقه جميع خلقه .

(٦) « الحكيم » : الذى إليه الحكم . أو : الذى يحكم الأشياء ويتقنها .

(٧) « الودود » : الوادُّ لأهل طاعته .

(٨) « المجيد » : الواسع الكريم . وقيل : الشريف .

(٩) « الباعث » : الذى يبعث الخلق ويحييهم بعد الموت يوم القيامة .

(١٠) « الشهيد » : الذى لا يغيب عنه شئ .

(١١) « الحق » : هو المتحقق كونه ووجوده .

(١٢) « الوكيل » : القيِّم الكفيل بأرزاق العباد . وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه .

(١٣) « القوى » : القادر الذى لا يعجزه شئ .

(١٤) « المتين » : الشديد القوى ، الذى لاتلحقه فى أفعاله مشقة .

(١٥) « الولى » : مالك التدبير . أو : الناصر المتصرف فى الأشياء .

(١٦) « الحميد » : المستحق لأن يُحمد .

(١٧) « المحصى » : العالم بمقادير الحوادث

(١٨) « المُبْدِئ » : الذى بدأ الخلق .

الْمُعِيدُ(١) ، الْمُحْيِي(٢) ، الْمُمِيتُ(٣) ، الْحَيُّ(٤) ، الْقَيُّومُ(٥) ، الْوَاجِدُ(٦) ، الْمَاجِدُ(٧) ، الْوَاحِدُ(٨) ، الصَّمَدُ(٩) ، الْقَادِرُ(١٠) ، الْمُقْتَدِرُ(١١) ، الْمُقَدِّمُ(١٢) ، الْمُؤَخِّرُ(١٣) ، الْأَوَّلُ(١٤) ، الْآخِرُ(١٥) ، الظَّاهِرُ(١٦) ، الْبَاطِنُ(١٧) ،

---

(١) «المعيد» : الذى يعيد الخلق بعد الحياة .

(٢) «المحيي» : جاعل الخلق أحياء .

(٣) «المميت» : جاعل الأحياء أمواتا .

(٤) «الحي» : الذى لم يزل موجودا ، وبالحياة موصوفا . لم تحدث له الحياة بعد موت ، ولا يعترضه الموت بعد الحياة .

(٥) «القيوم» : القائم الدائم ، فلا زوال . أو : القائم على كل شيء من خلقه يدبره بما يريد .

(٦) «الواجد» : الغنى الذى لا يفتقر .

(٧) «الماجد» : المجْد فى كلام العرب الشرف الواسع . ورجل ماجد : مفضال . كثير الخير ، شريف .

(٨) «الواحد» : الفرد الذى لم يزل وحده ، ولم يكن معه آخر . وقيل : المنقطع القرين والشريك .

(٩) «الصمد» : السيد الذى يصمد إليه الخلق .

(١٠) «القادر» : اسم فاعل من قَدر يَقْدِر .

(١١) «المقتدر» : على وزن مُفْتَعِل ، من اقْتَدَر .

(١٢) «المقدِّم» : الذى يُقَدِّم الأشياء ، ويضعها فى مواضعها . فمن استحق التقديم قدَّمه .

(١٣) «المؤخِّر» : الذى يؤخِّر الأشياء فيضعها فى مواضعها ، وهو ضد المقدِّم .

(١٤) «الأول» : السابق للأشياء كلها .

(١٥) «الآخر» : الباقى بعد الأشياء كلها .

(١٦) «الظاهر» : الذى ظهر فوق كل شيء .

(١٧) «الباطن» : المحتجب عن أبصار الخلائق .

الْوَالِى (١) ، الْمُتَعَالِى (٢) ، الْبَرُّ (٣) ، التَّوَّابُ (٤) ، الْمُنْتَقِمُ (٥) ، الْعَفُوُّ (٦) ، الرَّؤُوفُ (٧) ، مَالِكُ الْمُلْكِ (٨) ، ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ (٩) ، الْمُقْسِطُ (١٠) ، الْجَامِعُ (١١) ، الْغَنِىُّ (١٢) ، الْمُغْنِى (١٣) ، الْمَانِعُ (١٤) ، الضَّارُّ (١٥) ، النَّافِعُ (١٦) ،

---

(١) « الوالى » : مالك التدبير .

(٢) « المتعالى » : المنزه عن صفات المخلوقين .

(٣) « البر » : العطوف على عباده بِبِرِّه ولطفه .

(٤) « التواب » : المعيد إلى عبده فضل رحمته ، إذا هو رجع إلى طاعته ، وندم على معصيته .

(٥) « المنتقم » : المبالغ فى العقوبة لمن يشاء .

(٦) « العفو » : الذى يتجاوز عن الذنب ، ويترك العقاب عليه .

(٧) « الرؤوف » : الرحيم بعباده ، العطوف عليهم بألطافه والرأفة أرق من الرحمة

(٨) « مالك الملك » : المتصرف فى الملك بما يشاء ، وكيف يشاء .

(٩) « ذو الجلال والإكرام » : الجلال العظمة . وفى الحديث : « أَجِلوا اللهَ يَغْفِرْ لَكُمْ » ، أى قولوا : يا ذا الجلال والإكرام .

(١٠) « المقسط » : المُنِيلُ عباده القِسْطَ من نفسه ، وهو العدل .

(١١) « الجامع » : الذى يجمع الخلائق ليوم الحساب . وقيل : المؤلِّف بين المتماثلات والمتباينات والمتضادات .

(١٢) « الغنى » : الذى لا يحتاج إلى أحد فى شىء ، وكل أحد يحتاج إليه . وهذا هو الغِنَى المطلق .

(١٣) « المغنى » : الذى يُغنى من يشاء من عباده .

(١٤) « المانع » : الحائل دون نعمه .

(١٥) « الضار » : الذى ينقص عبده مما جعل له إليه الحاجة .

(١٦) « النافع » : الذى يسد الخلة . أو : الزائد على ما إليه الحاجة .

النُّورُ(١) ، الْهَادِى(٢) ، الْبَدِيعُ(٣) ، الْبَاقِى(٤) ، الْوَارِثُ(٥) ، الرَّشِيدُ(٦) الصَّبُورُ(٧) ») .

(أخرجه الترمذى ج١٣ ص ٣٧) .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، عَنِ النبىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لِلَّهِ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ اسْماً(٨) ، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا . لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ .

---

(١) « النور » : لا يعلم العباد إلّا ما علّمهم .

(٢) « الهادى » : الدال على سبيل النجاة .

(٣) « البديع » : البادئ على غير مثال سابق .

(٤) « الباقى » : الذى لا ينتهى تقدير وجوده فى الاستقبال إلى آخر ينتهى إليه . ويعبر عنه بأنّه أبدى الوجود .

(٥) « الوارث » : الباقى بعد فناء الخلائق .

(٦) « الرشيد » : المرشد الدالّ على المصالح ، والداعى إليها .

(٧) « الصبور » : الذى لا يعاجِلُ العصاة بالانتقام . وفى الحديث : « لَا أحد أَصْبَرُ عَلَى أذًى يَسْمعُهُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ » .

(٨) قال الحليمىّ : الأسماء الحسنى تنقسم إلى العقائد الخمسة :

الأُولى — إثبات البارى . ردًّا على المُعَطِّلين . وهى : الحى . والباقى . والوارث . وما فى معناها

الثانية — إثبات توحيده . ردًّا على المشركين . وهى : الكافى . والعلى . والقادر . ونحوها .

الثالثة — إثبات تنزيهه . ردًّا على المُشَبِّهَةِ ، وهى : القدوس . والمجيد . والمحيط . وغيرها .

الرابعة — اعتقاد أن كل موجود من اختراعه . ردًّا على القول بالعِلَّةِ والمعلول . وهى : الخالق ، والبارئ . والمصور . والقوى . وما يلحق بها .

الخامسة — اعتقاد أنه مدبر لِما اخترع . ومُصَرِّفه على ما شاء . وهى : القيوم . والعليم . والحكيم ، وشبهها .

وَهُوَ وِتْرٌ(١) يُحِبُّ الْوِتْرَ(٢) » .

(أخرجه البخارى فى باب الدعاء ، ج٧ ص٨٧ ، وابن ماجه ج٢ ص٤٣٧)

= وأمّا التخلق بها : فإن الله يحب من عبده أن يكون عفوًّا ، كريما ، حكيما ، حليما ، عادلا ، رحيما ، وهكذا ، من جميع الأسماء التى يسوغ الاقتداء به فيها ، فإن الله يحب أن يرى ذلك من عبده .

وأمّا العمل بها : فإنه إذا ذكر اسمه « الحكيم » مثلا ، سلّم بجميع أوامره ، لأنّها جميعا على مقتضىَ الحكمة . وإذا ذكر اسمه « القدوس » ، استحضر كونه مُنَزَّها عن جميع النقائص ، وهكذا .

وما كان من صفاته تعالى لايصح التحلى به ، ولا العمل بمقتضاه : كالجبار . والعظيم ، فيجب على العبد الإقرار به ، والخضوع له . وإبعاد نفسه عن التَّحَلِّى بشىء من هذه الأوصاف . التى لا تليق إلّا بالله ، تبارك وتعالى .

وما كان فيه مِنْ معنى الوعيد ، وقَفَ منه مَوْقِف الرهبة والخشية .

وما كان فيه من معنى الوعد ، وقف منه موقف الرغبة ، والطمع . وهكذا .

وما من اسم من أسمائه تعالى هذه ، إلّا وهو دواء لداء فى نفس الإنسان . فَمنْ حفِظَ هذه الأسماء ، وتأثّرَ بها ، وصارت فى سره وعقله وشعوره ووعيه . أذَابَتْ أدْوَاء النفس ، وَحَلَّتْها بحلاها الفاضلة . اعتقادا وتخلقا وعملا ، حتى تستكمل إنسانيّتَهَا الفاضلة الكريمة ، وتلتحق بالملائكة المقربين ، فى طاعتهم لله ، وخضوعهم لجلاله . وانقيادهم لأوامره ، واجتنابهم لنواهيه ، وحبهم فى الله ، وبغضهم فى الله ، وفنائهم فيما يُحِبُّ اللهُ ويرْضى ... ذلك فضل الله . والله ذو فضل عظيم .

(١) « وهو وِتْر » : الوتر الفرد ، ومعناه فى حق الله تعالى أنه الواحد الذى لانظير له فى ذاته ، ولا انقسام .

(٢) « يحب الوتر » : يراد بالوتر التوحيد ، فالمعنى : أن الله ، فى ذاته وصفاته وأفعاله واحد . بمعنى أن ذاته المقدسة غير مركبة من أجزاء . كما أنه لاشريك له ولا نظير =

=ولا شبيه به : «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ» «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» . وليس له صفتان من جنس واحد . ولم يشاركه أحد فى فعل من أفعاله تعالى . فلذلك هو يحب التوحيد له ، أى أَنْ يُوَحَّد ويُعْتَقَد انفرادُه بالأُلوهية والرُّبوبية دون سواه .

البَابُ السّادِسُ

«وجوبُ طاعةِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ومحبته وتوقيره. وتركِ سؤالِهِ عما لاضرورةَ إليه. وحكمُ أقوالِهِ فى أمورِ الدنيا إذا قالها صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَنِ الظَّنِّ».

(وفيه ستة فصول)

الفصل الأول

«فى وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم»

قال اللهُ تعالى فى سورة آل عمران: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» — من الآية ٣١.

وقال تعالى فى سورة النساء: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» — من الآية ٥٩.

وقال فيها: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ» — من الآية ٨٠.

وقال تعالى فى سورة الحشر: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» — من الآية السابعة.

وقال تعالى فى سورة النساء: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ، وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً» — الآية ٦٥.

وقال تعالى فى سورة الأحزاب : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا » — الآية ٢١ .

وقال تعالى فى سورة النور : « فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » — من الآية ٦٣ .

وقال تعالى فى سورة الحجرات : « يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ، أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ » — الآية الثانية .

وقال تعالى فى سورة المائدة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ » — من الآية ١٠١

عن أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الجنةَ ، إِلَّا مَنْ أَبَى » ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ، ومَنْ يَأْبَى ؟ قالَ : « مَنْ أطاعَنِى دخَلَ الجنةَ ، ومَنْ عصانِى فقَدْ أَبَى » .

(رواه البخارى ، جـ٩ ، ص ٩٢) .

عن أَبِى مُوسَى عنِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّمَا مَثَلِى وَمَثَلُ ما بعثَنِى اللهُ بهِ ، كمَثَلِ رجُلٍ أَتَى قوْماً ، فقالَ : ياقوم ، إِنِّى رأَيْتُ الجَيْشَ بعيْنِى ، وإِنِّى أنا النذيرُ العُرْيانُ[1] فالنجاءَ[2] ! فأَطاعَهُ .

(١) « العريان » : بضم العين المهملة وتسكين الراء ، من التعرى ، وهو التجرد من الثياب ، وهو مثل سائر يضرب لشدة الأمر ، ودنو المحظور ، وبراءة المحذر عن التهمة . وأصله أن الرجل كان إذا رأى العدو قد هجم على قومه تجرد عن ثوبه ، وجعله على رأس خشبة ، وصاح ليأخذوا حذرهم .

(٢) أى الإسراع .

طائفةٌ من قومِهِ ، فأَدْلَجُوا[1] ، فَانطَلَقُوا على مَهلِهِمْ ، فَنَجَوْا ، وكذَّبَتْ طائفةٌ مِنْهُمْ ، فأَصْبَحُوا مكانَهُمْ ، فصبَّحَهُمُ الجَيْشُ فأَهْلَكَهُمْ واجْتَاحَهُمْ[2] فذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطاعَنِى فاتَّبَعَ ماجِئْتُ بِهِ ، ومَثَلَ مَنْ عصانِى وكذَّبَ بما جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ » .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى فى «باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم » من كتاب الاعتصام ، جـ٩ ، ص ٩٣) .

عن مسروقٍ ، قالَ : قالتْ عائشة رضى اللهُ عنها : (صنَعَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ شَيْئًا تَرَخَّصَ فيهِ ، وتَنَزَّهَ عنْهُ قومٌ ، فَبَلَغَ ذلِكَ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليْهِ ، ثُمَّ قالَ : «ما بالُ أَقْوام يَتَنَزَّهُونَ عنِ الشيْءِ أَصْنَعُهُ[3] ؛ فَوَاللهِ إِنِّى أَعْلَمُهُمْ باللهِ ، وأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً[4] ») .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى ، جـ٩ ، ص ٩٧ ومسلم ، جـ٧ ، ص ٩٠) .

---

(١) ساروا أول الليل .

(٢) استأصلهم .

(٣) أى : ما حالهم وشأنهم . والمقصود من الاستفهام التوبيخ على تركهم المباح الذى كان يفعله صلى الله عليه وسلم .

(٤) أى : فإن ظنوا أن تورعهم عن المباح أقرب لهم عند الله . فليس كذلك . فإنما القرب منه سبحانه ثمرة العلم والخشية . وهو صلى الله عليه وسلم أعلمهم بالله وأشدهم له خشية . وإنما كان كذلك ، لأن الله مع ما خصه به من كمال الفطرة وصفاء النفس وجودة الذهن ، أطلعه من العلم بصفاته وأحكامه وأسراره على مالم يطلع عليه غيره . وإذا كان صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالله سبحانه ، لزم أن يكون أخشاهم له . لأن العلم يثمر الخشية .

الفصل الثالث

« وجوب توقيره صلى الله عليه وسلم »

عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قالَ : (كادَ الخَيِّرَانِ يَهْلِكانِ : أَبو بكر وعُمَرُ ! لَمَّا قَدِمَ عَلَى النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وَفْدُ بنى تميمٍ ، أَشادَ أَحدُهُمَا بالأَقْرعِ بنِ حابسٍ الحنظليِّ ، أَخى بَنِى مُجَاشِع ، وأَشارَ الآخرُ بِغَيْرِهِ ! فقالَ أَبو بكر لعُمَرَ : إِنَّمَا أَردْتَ خِلَافِى ؟ فقالَ عُمَرُ : ما أَردْتُ خِلافَكَ ، فارْتَفَعَتْ أَصواتُهُمَا عند النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فنزلَتْ : « يَا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ » إِلى قولِهِ — « عَظِيمٌ »[1] قالَ ابنُ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قالَ ابنُ الزُّبَيْرِ : فكانَ عُمَرُ بَعْدُ إِذَا حدَّثَ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بحديث ، حدَّثَهُ كَأَخِى السِّرَارِ[2] لم يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ) .

(رواه البخارى ، جـ٩ ، ص ٩٧) .

عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ الزبَيْرِ حدَّثَهُ : (أَنَّ رَجُلا مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزبيرَ عِنْدَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فى شِرَاجِ[3]

---

(١) بقية الآية : « وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ، كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ، أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يغضون أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ » : سورة الحجرات — الآيتان ٢ ، ٣ .

(٢) السرار ، بكسر أوله : المسارة ، أى كصاحب المساررة .

(٣) الشَّرْجَةُ : مسيل الماء من الحرة إلى السهل ، والشراج بالكسر جمعها .

الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ ، فقالَ الأَنصاريُّ : سَرِّحِ[1] الماءَ يَمُرُّ ، فأَبَى عليْهِمْ ، فاخْتَصَمُوا عندَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للزُّبَيْرِ : « اسْقِ يا زُبَيْرُ ، ثُمَّ أرْسِلِ الماءَ إلى جارِكَ » . فَغَضِبَ الأَنصاريُّ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، أَنْ كانَ ابْنَ عَمَّتِكَ ! فتلَوَّنَ وجْهُ نبيِّ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . ثمَّ قالَ : « يا زبيرُ ، اسْقِ ثُمَّ احْبِسِ الماءَ حَتَّى يَرْجِعَ إلى الْجُدُرِ »[2] . فقالَ الزُّبَيْرُ : واللهِ إنِّي لأَحْسبُ هذِهِ الآية نَزَلَتْ في ذلكَ : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً ») .

(رواه مسلم ، جـ٧ ، ص ٩١) .

---

(١) « سَرِّحِ الماءَ يَمُرُّ » : أي اترك الماء يمر حتى يصل إلى نخلي ولا تحبسه . يقول الأَنصاري ذلك للزبير ، قبل أن يحتكما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ورفض الزبير مايطلبه الأَنصاري ، فاختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) لما رفض الأَنصاري النزول على حكم النبي عليه السلام غضب ، لا لنفسه ، وإنما لأَن رفض قضائه رفض لحكم الله ، فأَمر النبي عليه السلام الزبير أن يحبس الماء بعد أن يسقي نخله ، حتى لا يصل إلى أرض الأَنصاري ، عقاباً له على رفضه لحكم رسول الله .

الفصـــل الثـالـث

«ترك سؤاله عليه السلام عما لاضرورة إليه»

عنْ أَبِي هريْرَةَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «دَعُونِي مَا ترَكْتُكُمْ . إنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ . فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عنْ شيءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فأْتُوا مِنْهُ مااسْتَطَعْتُمْ»(١)

(رواه الشيخان . واللفظ للبخاري : البخاري فى جـ٩ . ص ٩٤ ، ومسلم فى جـ٧ . ص ٩١) .

عن أَبِي مُوسَى ، قالَ : (سُئِلَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا . فَلَمَّا أُكْثِرَ عليْهِ غَضِبَ . ثُمَّ قالَ للناسِ : «سَلُونِي عَمَّ شِئْتُمْ» ، فقالَ رجُلٌ : مَنْ أَبِي ؟ قالَ : «أَبُوكَ حُذَافَةُ» . فَقامَ آخَرُ فَقَالَ : مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : «أبوكَ سالمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ» ، فلَمَّا رَأَى عُمَرُ ما فِي وجْهِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ الْغَضَبِ ، قالَ : يا رسولَ اللهِ . إنَّا نَتوبُ إلى اللهِ) .

(رواه الشيخان . واللفظ لمسلم فى جـ ٧ . ص ٩٤ . والبخارى فى جـ٩ . ص ٩٥) .

---

(١) كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره السؤال فيما لم ينزل فيه وحي . حتى لا يكون جواب سؤالهم فى غير مصلحتهم . مثال ذلك ما حدث عند افتراض الحج . فقد قال صلى الله عليه وسلم : «إن الله فرض عليكم الحج فحجوا» . فقال رجل . أَكُلَّ عام يا رسول الله ؟ فلم يردَّ عليه ، وكرر الرجل سؤاله ثلاث مرات . وفى المرَّة الأخيرة قال صلى الله عليه وسلم : «لَوْ قُلْتُ : نعم ، لوَجَبَتْ ولَمَا استطعتم» . وحذرهم من استفصال مالم يُفَصِّله الله ، حتى لا يشدد الله عليهم . كما فعل بِمَنْ قَبْلَهم .

الفصل الرابع

«مَثَلُ من قَبِلَ هدى الله ومن لم يقبل»

عن أَبِى مُوسَى عنِ النبىِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «إِنَّ مَثَلَ مَابَعَثَنِى اللهُ بِهِ عزَّ وجَلَّ مِنَ الهُدَى والعِلْمِ ، كمَثَلِ غَيْثٍ(١) أصابَ أرْضاً ، فكَانَتْ مِنْهَا طائفةٌ طيبةٌ قَبِلَتِ الماءَ ، فأَنْبَتَتِ الكَلأَ(٢) والعُشْبَ(٣) الكثيرَ ، وكانَ مِنْهَا أَجَادِبُ(٤) أمْسَكَتِ الماءَ فَنَفَعَ اللهُ بها الناسَ فشرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا ورَعَوْا ، وأصاب طائفةً منها أُخْرى ، إِنَّما هىَ قيعانٌ(٥) لاتُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً ، فذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فى دينِ اللهِ ونفعه بما بعثنى اللهُ بهِ ، فَعَلِمَ ، وعَلَّمَ ، ومَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بذلِكَ رأساً ، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذى أُرْسِلْتُ بهِ» .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم فى ج ٧ ، ص ٦٣) .

عن أَبِى هريْرَةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «إِنَّمَا مَثَلِى ومَثَلُ أُمَّتِى ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نارًا ، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ والفَرَاشُ

---

(١) «غيث» : مطر .

(٢) «الكَلأُ» : هو العشب ، رطباً كان أو يابسا .

(٣) «العُشْبُ» : هو الكَلأُ الرطب فى أول الربيع .

(٤) «أجادب» : الجَدْبُ هو المَحْلُ ، أى انقطاع المطر ويبس الأرض . والمقصود هنا الأرض التى لا تشرب الماء لِيُبْسِهَا ، فيبقى الماء فوقها ينتفع به الناس على الوجه المُبينَ فى الحديث .

(٥) «قيعان» : جمع قاع ، وهو المستَوى من الأرض الذى لاينبت ولايُمْسِكُ ماءً .

يَقَعْنَ فيهِ ، فأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ[١] وأَنْتُمْ تَقَحَّمُون[٢] فيهِ ! » .

(رواه مسلم فى جـ٧ ، ص ٦٣) .

---

(١) «بحُجَزِكُمْ» : الحُجَزُ جمع حُجْزَة . وهى مَعْقِدُ الإزار أو السروال ، أى المكان الذى يُعْقَد عليه الإزار أو السروال من جسم الإنسان . وهو وسطه .

(٢) «تَقَحَّمُون» : تَقَحَّمَ العَقَبَةَ أو الوَهْدَة ، رمى بنفسه فيها . ومراده عليه الصلاة والسلام أن أمته تلقى بنفسها فى النار بمعاصيها ، والنبى يجذبها من حُجَزِها بإرشادها إلى ما يجنبها التَّرَدِّى فى النار .

الفصل الخامس

«جزاء الطائعين»

الكلام فى جزاء الطائعين يتناول عدة أمور :

«الأول : دخول الجنة برحمة الله تعالى»

عنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ : (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ[1] » ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَارَسُولَ اللهِ ؟ .

---

(١) «سَدِّدُوا» ، إلى قوله : «عَمَلُهُ» : السداد القصد ، وهو سلوك الطريق المعتدلة . ومعنى «قاربوا» : لا تجهدوا أنفسكم بالإفراط فى العبادة . «وأبشروا» أى بالجنة على سلوك الطريق الوسطى التى لا إفراط فيها ولا تفريط . «فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ» بمجرده ، ولكن فضل الله . ورحمته . وتوفيقه ، وقبوله للأعمال الصالحة ، هو السبب الأقوى. والعامل الأهم فى دخول الجنة . قال الرافعى : (فى الحديث أن العامل لا ينبغى أن يتَّكِلَ على عمله فى طلب النجاة ونيل الدرجات ، لأنه إنما عمل بتوفيق الله . وإنما ترك المعصية بعصمة الله . فكل ذلك بفضله ورحمته ، اهـ) وقال ابن القيم : (إن العمل الصالح لايوجب بمجرده دخول الجنة ، ولا أن يكون عوضاً لها . لأنه — ولو وقع على الوجه الذى يحبه الله — لا يقاوم نعم الله ، بل جميع العمل لايوازى نعمة واحدة ، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها ، وهو لم يُوَفِّها حق شكرها . فلو عذَّبه فى هذه الحالة لعذَّبه وهو غير ظالم ، وإذا رحمه فى هذه الحالة كانت رحمته خيرًا من عمله . كما فى حديث أُبَىٍّ بن كعب الذى أخرجه أبو داود وابن ماجه فى ذكر القدر : «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمٰوَاتِهِ وَأَرْضِهِ ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ . وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ» . قَالَ : وهذا فصل الخطاب مع أهل الجبر الذين نفوا فائدة العمل . وأهل القَدَر الذين زعموا أن دخول الجنة بمحض الأعمال.=

قَالَ : «وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِى اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ[1] . وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وإِنْ قَلَّ[2] » .

(رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم) .

=والحديث يبطل دعوى الطائفتين) اهـ. ملخصا . ومن هذا يتبين لك أن الحديث لا يعارض قوله تعالى : «وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» وقوله تعالى : «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» ، وذلك لأن الذى وفّق للعمل وأعان عليه هو الله ، ولأن الذى رتّب عليه دخول الجنة هو الله ، ولأن العمل مهما كثر لا يوازى نعمة واحدة من نعم الله عز وجل . كالسمع والبصر والعقل ، ولأن نعيم الجنة باق لاينفد . فكان وقوعه جزاء للعمل الصالح ، وهو موقت بفضل الله عز وجل .

(١) «برحمة» : لما كان أجر النبى صلى الله عليه وسلم فى الطاعة أعظم ، وعمله فى العبادة أقوم ، قيل له : (وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ) ؟ . قَالَ : «وَلَا أَنَا . إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِى اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ» ، أى يسترنى ويغمرنى منه برحمة وفضل .

(٢) «وإن قَلَّ» : إنما كان أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل . لأن دوام العبادة معناه دوام الصلة بالله عز وجل ، ودوام ذكره وعبادته . أمّا كثرة العبادة إلى حد يرهق البدن ويمل النفس ، فيترتب عليه العجز عن العمل وكراهته ، وذلك بالقطيعة والهجران أشبه ! .

(وفى الحديث من الفوائد) :

أولا — الحث على التوسط فى العبادة أو ما يقاربه . والتبشير على ذلك بالثواب والخير .

ثانيا — إنه ليس العمل الصالح هو كل شىء فى دخول الجنة والتمتع بنعيمها . ولكن الله عز وجل هو الذى جعل العمل سببا فى دخول الجنة . وهو الذى وفق إليه وأعان عليه ، وهو الذى عصم من السوء ، وألهم التوبة للمسىء . فكان فضله عز وجل هو السبب الأعظم فى دخول الجنة .

ثالثا — إن العمل القليل مع المداومة عليه ، خير من العمل الكثير مع الانقطاع عنه .

« الثانى : كثرة من يدخل الجنة من الأمة المحمدية »

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى قُبَّةٍ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، فَقَالَ : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ » . قَالَ : قُلْنَا : نَعَمْ . فَقَالَ : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ » . فَقُلْنَا : نَعَمْ . فَقَالَ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إِنِّى لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَذَاكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ[1] . وَمَا أَنْتُمْ فِى أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِى جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ! أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِى جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ ») .

(رواه البخارى ومسلم . واللفظ لمسلم فى كتاب الإيمان من صحيحه ، جـ١ ـ ص ١٣٩) .

« الثالث : أهل الجنة يأكلون فيها ، ويشربون ، ويسبحون الله بُكْرَةً وَعَشِيًّا » .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ ،

---

(١) « نفس مسلمة » : هذا نص صريح فى أن من مات على الكفر لايدخل الجنة أبدا . وقد نطق بذلك القرآن الكريم فى كثير من آياته ، والسُّنَّة المطهرة فى كثير من الأحاديث ، وعليه انعقد إجماع المسلمين . وحكمته أن الشرك بالله سبب كل إثم ، وأنه جرأة عظيمة على رب العالمين سبحانه ، وأنه لو قُدِّر لهذا المشرك أن تمتد به الحياة لأقام على هذا الذنب العظيم ! . قال تعالى : « إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا » : سورة النساء الآية ١١٦ .

وَلَا يَتْفُلُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ . وَلَا يَتَغَوَّطُونَ . وَلَا يَمْتَخِطُونَ[1] » . قَالُوا : فَمَا بَالُ الطَّعَامِ[2] ؟ . قَالَ : « جُشَاءٌ[3] وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ . يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ ») .

(رواه مسلم . جـ٨ . ص ١٤٧) .

« الرابع : فى طير الجنة »

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ طَيْرَ الْجَنَّةِ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ[4] . تَرْعَى فِى شَجَرِ الْجَنَّةِ » ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ هَذِهِ لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ ! فَقَالَ : « أَكَلَتُهَا[5] أَنْعَمُ مِنْهَا » . قَالَهَا ثَلَاثاً . « وَإِنِّى لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَأْكُلُ مِنْهَا ») .

(رواه أحمد بإسناد جيد) .

---

(١) « ولايمتخطون » : لايخرجون من أنوفهم الأذى . إذ لامخاط فيها . وإنما هى نظيفة نَقِيَّة .

(٢) « فما بال الطعام » : أى ما حاله . كيف يخرج ؟ فأجاب : بأنه يخرج على هيأة الجُشَاء والعَرَق مع طيب الرائحة .

(٣) « جُشَاء » : الجُشَاء . بالضم والمد . صوت يخرج من الفم ومعه ريح . ويكون ذلك عند الشبع .

(٤) « كأمثال البُخْتِ » : البخت . بضم الباء ، الإبل الخُراسانية .

(٥) « أَكَلَتُهَا أنعمُ منها » : قيل إنها جمع آكل ، بمد الهمزة وكسر الكاف . كطَلَبَة وطالِب . وضبطها بعضهم : (آكِلَتُهَا) مؤنث آكِل ، أى الجماعة التى تأكلها .

«الخامس : فى قوله تعالى : فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ(١) مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ(٢). مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ(٣) :

---

(١) «لعبادى الصالحين» : هم المشار إليهم بقوله تعالى : «إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ، وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» : الآيات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، من سورة السجدة . وقد تضمنت أنهم موصوفون بخصال ثلاث : «الأولى» الإيمان بالله ودوام ذكره والقيام بحقوقه ، و«الثانية» المواظبة على صلاة الليل . يدعون فيها ربهم خوفاً من عذابه ، وطمعاً فى رحمته ، و«الثالثة» الإنفاق على ذوى القربى والمساكين مما رزقهم الله .

(٢) «ولا خطَرَ على قلب بشر» : معناه أنه تعالى ادَّخر لهم فى الجنة من النعيم والخير مالم يَطَّلع عليه أحد من الخلق بطريق من الطرق ! فذكرَ الرؤية والسماع . لأن أكثر المحسوسات تدرك بهما ، ثم زاد أنه لايدركها فكرٌ ولا خاطر . وهذا كله من حيث التفصيل . أمّا من حيث الإجمال . فنحن نعلمه عن طريق الوحى .

(٣) «مصداق ذلك فى كتاب الله» : يحتمل أن يكون من قول أبى هريرة . لا من قوله صلى الله عليه وسلم . ويؤيده ما جاء فى بعض روايات البخارى فى تفسير سورة السجدة : عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قال الله تبارك وتعالى : «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ . وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ . وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» .

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ(١) لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ(٢) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

(رواه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم ، جـ٨ ، ص ١٤٣) .

« السادس : أول طعام يأكله أهل الجنة »

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : (بَلَغَ عَبْدَ اللهِ(٣) بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَأَتَاهُ . فَقَالَ : إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ ، قَالَ : مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ(٤) السَّاعَةِ ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ(٥) ؟ وَمِنْ أَيِّ

---

(١) « أُخْفِيَ » : بلفظ الماضي المبنيّ للمجهول ـ هذه قراءة الجمهور . وهناك قراءة سبعية أخرى بلفظ المضارع المبدوء بهمزة المتكلم .

(٢) « من قُرَّةِ أَعْيُنٍ » : أي من نعيم تقرُّ به أعينهم . أي تبرد دموعها بسببه ، فتفرح وتسر ، ودموع الفرح والسرور باردة . ويجوز أن يكون المعنى : من نعيم تقر به أعينهم ، أي تسكن إليه ، ولا تستشرف لغيره .

(٣) « عبد الله بن سلام » : هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي اليوسفي ، كان من أحبار اليهود . وأسلم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وحَسُن إسلامُه ، وبشَّرَه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . ففي الصحيحين ومسند أحمد : عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : مَا سَمِعتُ رسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَيٍّ مِنَ النَّاسِ يَمشِي : إنه في الجَنَّةِ ، إلَّا لِعبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ ، . ! ونزل فيه قوله تعالى : « قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَينِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ » . أي التوراة . (الآية ٤٣ من سورة الرعد) ، وقوله تعالى : « وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِن بَنِي إِسرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ، فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ » (الآية ١٠ من سورة الأحقاف) . شهد فتح بيت المقدس . ومات سنة ٤٣ بالمدينة .

(٤) « أشراط الساعة » : أي ما أوَّلُ علاماتها [جمع شَرَط ، بفتحتين ، وهو العلامة .

(٥) « ينزع الولد إلى أبيه » : أي يذهب إليه في الشبه .

شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفاً[١] جِبْرِيلُ» ، قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ![٢] . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ . وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُه أَهْلُ الْجَنَّةِ ، فَزِيَادَةُ كَبِدِ حوت[٣] . وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ ، كَانَ الشَّبَهُ لَهُ . وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا » . قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ[٤] ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ ! . فَجَاءَتِ الْيَهُودُ ، وَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ الْبَيْتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ ؟ . » قَالُوا : أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا ، وَأَخْيَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا ! . فَقَالَ رَسُولُ

---

(١) «آنِفاً» : أي الآن . وهو بمد الهمزة .

(٢) «ذاك عدو اليهود من الملائكة» : عادى اليهودُ جبريلَ عليه السلام ، لزعمهم أن الله أمره أن يجعل النبوة فيهم فجعلها في العرب ! ولزعمهم أنه ينزل بالشدة والخسف والمسخ والعذاب ، ولزعمهم أنه دفع عن بُخْتَنَصَّرَ وهو صغير من أراد قَتْلَه من اليهود ، فعاش حتى خرب بيت المقدس ، وذاقوا على يديه سوء العذاب ! . هذا ، وعداوة مَلَك من الملائكة ، كعداوة نبي من الأنبياء ، كُفْر بالله ، إذ الملك كالنبي ، لا يفعل إلّا ما يأمره ربه سبحانه .

(٣) «فزيادة كَبِدِ حُوتٍ» : هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد ، وهي أهنأ الطعام وأمْرَؤه .

(٤) «بُهُتٌ» : هو بضمتين جمع بَهُوت ، كرسول ورُسُل ، وصَبُور وصُبُر . وقد تسكن هاؤه تخفيفا . والبهتان الكذب الذي يَبْهَتُ صاحبَه ، أي يدهشه ويحيّره .

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ ؟ » قَالُوا : أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ . فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ : فَقَالُوا : شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا ! وَوَقَعُوا فِيهِ ! .

(رواه البخارى ، جـ٤ ، ص١٣٢)

« السابع : وصف نساء أهل الجنة »

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صورَةِ الْقَمَرِ ، لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّتِي تَلِيهَا ، عَلَى أَضْوَإِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا[1] مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ . وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ[2] » .

(رواه البخارى ومسلم) .

« الثامن : فى أنهار الجنة »

قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ : « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ . فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ[3] ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ . وَأَنْهَارٌ مِنْ

---

(١) « مخ سوقهما » . المخ بالضم ثم التشديد . ما بداخل العظم . والمراد أنه يرى ما بداخل عظام سيقانهن لشدة الصفاء .

(٢) « أعزب » : مَنْ لا زوج له من الرجال والنساء .

(٣) « غير آسن » : غير مُتَغَيِّر ولا مُنْتن . يقال : أَسَنَ الماءُ مِنْ باب ضرب ودَخَلَ . إذا تغير طعمه أو ريحه .

خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ(١) ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ(٢) » .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَجْرَاهُ(٣) عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ . تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ » .

(رواه ابن ماجه والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ تِلَالِ(٤) - أَوْ مِنْ تَحْتِ جِبَالِ - الْمِسْكِ » . (رواه ابنُ حِبَّانَ فى صحيحه)

« التاسع : سُوق الجنة »

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمْعَةٍ(٥) ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ

---

(١) « لذة للشاربين » : خمر الآخرة ليس فيها سكْرٌ ولا صُدَاع . قال تعالى : « لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ » ، الآية ١٩ من سورة الواقعة .

(٢) « ومغفرة من ربهم » : الآية ١٥ من سورة محمد . .

(٣) « ومجراه » : معناه أنه يجرى على أرض من الدر والياقوت .

(٤) « من تحت تلال » : جمع تَلٍّ . وهو المكان المرتفع .

(٥) « كل جمعة » : أى يأتونها كلما مرَّت عليهم فترة توازى مدة الأسبوع عندنا فى الدنيا .

فَتَحْشُوا فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ(١) . فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالاً ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمَالاً . فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ : وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً ! فَيَقُولُونَ : وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً » .

(رواه مسلم ، جـ٨ ، ص ١٤٥ ، طبع الآستانة)

« العاشر : تفاضل أهل الجنة فى المنازل وما أعدّ الله لهم فيها من نعيم مقيم »

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ(٢) ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ(٣) ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا »(٤) ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَفَلَا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ ؟ . قالَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ(٥) مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ،

---

(١) « فتحشو فى وجوههم وثيابهم » : أى مِنْ تلال المسك التى تملأ تلك الأسواق .

(٢) « وصام رمضان » : لم يذكر الزكاة والحج . وقد ثبت الحج فى الترمذى من حديث معاذ بن جبل . وقال فيه : (وَلَا أَدْرِى أَذَكَرَ الزَّكَاةَ أَمْ لَا) .

(٣) « كان حقا على الله أن يدخله الجنة » : يعنى بطريق الفضل والكرم ، لا بطريق الوجوب والإلزام .

(٤) « التى ولد فيها » : فيه تسلية لمن حرم الجهاد فى سبيل الله ، وأنه ليس محروماً من الأجر ، بل له من الإيمان والأعمال الصالحة الأخرى ما يوصله إلى الجنة ، وإن كان دون المجاهدين فى الدرجة .

(٥) « إن فى الجنة » : ورد فى الحديث زيادة دلّت على أن قوله : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ » إلخ . تعليلٌ لترك البشارة المذكورة ، فعند الترمذى من رواية معاذ : (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرُ النَّاسَ ؟ . قَالَ : « ذَرِ النَّاسَ يَعْمَلُونَ ، فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ » إلخ) =

كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَابَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ(١) ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ(٢) ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ »(٣) .. (رواه البخارى ، جـ٩ ، ص ١٢٥) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ(٤) ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ » .

(رواه مسلم ، جـ٨ ، ص١٤٨) .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَئِسُوا أَبَدًا ، فَذَلِكَ

= فظهر أن المراد : لا تبشر الناس بما ذكرتُه من دخول الجنة لمن آمن وأقام الصلاة وصام رمضان ، فيقفوا عند ذلك ولا يتجاوزوه إلى ما هو أفضل منه من الدرجات التى تُنال بالجهاد. وهذه هى النكتة فى قوله : « أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ » .

(١) « وأوسط الجنة » أى أفضلها « وأعلى الجنة » أى أرفعها ، ولا تنافى بين الوصفين .

(٢) « وفوقه عرش الرحمن » : أى فوق الفردوس . وقال السفاقسىّ : أى فوق الجنة كلها . وكان مقتضىٰ الظاهر على هذا أن يقال : « وفوقهما عرش الرحمن » ، ولكنه ذكَّر الضمير باعتبار كون الجنة مكاناً .

(٣) « ومنه تفَجَّر أنهار الجنة » : أى من الفردوس تتفجر أنهار الجنة الأربعة المذكورة فى قوله تعالى : « فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِن عَسَلٍ مُصَفًّى » : (سورة محمد ، من الآية ١٥) . ويجوز أن يكون الفعل مبنيا للمجهول ، أى : ومنه يفجر الله أنهار الجنة .

(٤) « لايبأس » : لا يصحبه بأس بالباء الموحدة . والبأس الشدة وتغير الحال .

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : «وَنُودُوا[1] أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»

(رواه مسلم ، جـ٨ ، ص ١٤٨) .

«الحادى عشر : مايقول الله عز وجل لأهل الجنة»

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ» . فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ[2] ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . فَيَقُولُ : «هَلْ رَضِيتُمْ»[3] ؟ . فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ! فَيَقُولُ : «أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ» ؟ . فَيَقُولُونَ يَا رَبِّ ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ . فَيَقُولُ : «أُحِلُّ[4] عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا») .

(رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى واللفظ لمسلم جـ٨ ص ١٤٤)

---

(١) «وَنُودُوا» ... إلخ . الآية ٤٣ من سورة الأعراف . وتمامها : «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا ، لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ، وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» .

(٢) «لبيك وسعديك» : يقصد بهذه العبارة الإجابة المتكررة التى تفيد استعدادهم الكامل لقبول ما يراد منهم .

(٣) «هل رضيتم ؟» : ليس الاستفهام هنا على حقيقته ، لأن الله لايخفى عليه شىء ، والمقصود حملهم على الاعتراف بالرضا .

(٤) «أُحِلُّ عليكم رضوانى» : أُنْزِله بكم على وجه الدوام والاستمرار ، ولذا رتب عليه قوله : «فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» . وفى الحديث إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة =

«الثانى عشر : ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى»

عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ـ قَالَ : يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : «تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟» . فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ : فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ[1] ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ من النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ) .

(رواه مسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، واللفظ لمسلم جـ١ ، ص ١١٢) .

عَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : «لِلَّذِينَ[2]

=(الآية ٧٢) «وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» . وإنما كان رضوان الله أكبر ، لأنه سبب كل فوز وسعادة . وكل من علم أن سيده راض عنه كان أقر لعينه وأطيب لقلبه من كل نعيم ، لما فى ذلك من التعظيم والتكريم .

(١) «فيكشف الحجاب»: زاد مسلم : (فَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ اللهِ) . وأصل الحجاب الستر الحائل بين الرائى والمرئى . والمراد به هنا الموانع التى كانت تحول بينهم وبين رؤية ربهم عز وجل . وتسميتها حجاباً استعارة ، والمحجوب بها الخلق . ويمكن أن يفسر هذا المانع بأنه ضعف استعدادهم عن تحمل الرؤية ، أو بأنه نورٌ حال بينهم وبين رؤية الله سبحانه رحمة بهم ، لعجزهم عنها . فلما أمدهم الله بالقوة كشف ذلك النور عنهم . فحظوا برؤيته سبحانه وتعالى . وفى حديث أبى موسى عند مسلم : (حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ) . والنصوص تفيد أن تلك الحالة المشار إليها فى الحديث هى فى دار الدنيا فقط ، لأنها دار فناء .

(٢) «للذين أحسنوا» : الآية ٢٦ من سورة يونس . وتمامها : «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ، وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» .

أَحْسَنُوا الْحُسْنَى[1] وَزِيَادَةٌ » قَالَ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ نَادَى مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا[2] . قَالُوا : أَلَمْ يُبَيِّضْ[3] وُجُوهَنَا ، وَيُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ؟ . قَالُوا : بَلَى[4] . فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ . قَالَ : فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ » .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَزَوْجَاتِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ[5] ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً » ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ[6] . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ »[7] . (رواه الترمذى . واللفظ له) .

---

(١) « الحسنى وزيادة » : الحسنى ، أى المثوبة الحسنى . وزيادة : هىَ النظر إلى وجه ربهم الكريم .

(٢) « موعدًا » : أى بَقِيَ شىءٌ زائد مِمَّا وعدكم الله به من النعيم .

(٣) « ألم يُبَيِّض » : معنى هذا الاستفهام التعجب من أن يكون هناك زيادة على ما أعطاهم الله من فضله .

(٤) « قالوا : بلى » : مقتضى الظاهر أن يكون التعبير (قال : بلى) . لأن الضمير يعود إلى المنادى وهو مفرد . ولعل المنادى متعدد . فيجوز أن يعود الضمير عليه جمعاً باعتبار المعنى . ومفردًا باعتبار اللفظ .

(٥) « مسيرة ألف سنة » : المعنى أن ملكه مقدار تلك المسافة .

(٦) « وجوه يومئذ ناضرة » : الآية ٢٢ من سورة القيامة . وناضرة ناعمة غضة حسنة . والمراد بالوجوه الذَّوَاتُ . وخُصت بالذكر لشرفها . ولظهور أثر النعمة عليها .

(٧) « إلى ربها ناظرة » : الآية ٢٣ من سورة القيامة . وإنما قال : « إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » . ولم يقل : « ناظرة إلى ربها » إمَّا لرعاية الفواصل . وإما لأن الناظر عند رؤية ربه لا يلتفت إلى ما سواه من أنواع النعيم .

الفصل السادس

«حُكْم أقواله صلى الله عليه وسلم في أمور الدنيا إذا كانت على سبيل الظن»

عن مُوسَى بنِ طلْحَةَ عنْ أَبيهِ ، قالَ : (مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بقَوْمٍ على رُؤوسِ النَّخْلِ ، فقالَ : « ما يَصْنَعُ هؤلاءِ؟ » فقالوا : يُلَقِّحُونَهُ[1] - يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ في الأُنْثَى فَتَلْقَحُ - فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلَّمَ : «ما أَظُنُّ يُغْنِي ذلِكَ شيئاً» ، قالَ : فأُخْبِرُوا بذلِكَ ، فتَرَكُوهُ ، فأُخْبِرَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بذلكَ ، فقالَ : «إنْ كانَ ينفَعُهُمْ ذاكَ فلْيَصْنَعُوهُ ، فإني إنَّمَا ظننْتُ ظَنًّا ، فلا تُؤاخِذُوني بالظَّنِّ ، ولكِنْ إذا حدَّثْتُكُمْ عنِ اللهِ شيئاً فَخُذُوا بهِ ، فإني لَنْ أَكْذِبَ على اللهِ عزَّ وجلَّ») .

ورواه رافع بن خديج رضى الله عنه قالَ : (قَدِمَ نَبِيُّ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المدينةَ وهُمْ يَأْبُرُونَ[2] النخلَ - يقولون - يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ ، فقالَ : «ما تَصْنَعُونَ؟» قالوا : كُنَّا نَصْنَعُهُ ، قالَ : «لعَلَّكُمْ لوْ لمْ

---

(١) يُلَقِّحُونَهُ : أي يجعلون الذكر في الأُنثى . كما فسّره راوي الحديث . وقوله بعد ذلك (فتلْقَحُ) ، أي فتتهيأُ لإنتاج الثمر . فالنخل بعد التلقيح كالنساء الحوامل ، فإنه يقال لهن مَلاَقِح .

(٢) «يَأْبُرُون» : أي يُلَقِّحُون .

تَفْعَلُوا كانَ خَيْرًا » ، فَتَرَكُوهُ ، فنفَضت ــ أَوْ فَنَقَصَتْ ــ قالَ : فَذَكَرُوا ذلِكَ لَهُ ، فقالَ : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، إذا أَمَرْتُكُمْ بشيء من دِينكُمْ فَخُذُوا بهِ ، وإذا أَمَرْتُكُمْ بشَيْء مِنْ رأيِي ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ »(١) .

(رواهما مسلم فى «الفضائل» ، جـ٧ ، ص ٩٥) .

---

(١) « فإنما أنا بشر » : فى هذه العبارة أمران : الأول ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كإنسان يجوز عليه ما يجوز على كل إنسان ، من سهو وخطأ ، فيما لم يُوحَ إليه به . والثانى ، أنه عليه الصلاة والسلام فى هذا الموضع ، وفى كل موضع ذُكِرَ فيه مثل هذه العبارة ، كان يحرص على أن يبرز للناس ناحيته البشرية ، حتى يتمثلوه على الدوام بشراً ، فلايفعلوا ما فعلته بعض الأمم السابقة ، كاليهود الذين زعموا أن عزيرا ابن الله ، والنصارى الذين زعموا أن المسيح ابن الله .

الباب السابع

«طرف من فضائل النبي صلى الله عليه وسلم»

عن أَبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ ، أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ ، قَرْناً فَقَرْناً ، حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فيهِ»(١) .

(رواه البخارى فى «باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم» حـ٤ ، ص ١٨٩) .

عن أَبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : «والَّذِي نَفْسُ محمد في يدِهِ ، ليَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ ولَا يَرَانِي ، ثُمَّ لَأَنْ يراني أَحَبُّ إليهِ مِنْ أَهْلِهِ ومالِهِ مَعَهُمْ»(٢) (رواه مسلم)

---

(١) «بعثت» : ولدت . «قرنا فقرنا» : الفاء فيه للترتيب فى الفضل ، على سبيل الترقى من القرن السابق إلى القرن اللاحق ، ويدل عليه قوله «حتى كنت» أى صرت . «من القرن الذى كنت فيه» . أى وجدت فيه ، والقرن من الناس أهل زمان واحد .

(المعنى) : أنه صلى الله عليه وسلم تقلب فى أصلاب آبائه ، أباً فأباً ، قرناً بعد قرن ، حتى ظهر فى القرن الذى ظهر فيه ، وقد اختار الله له أكرم الأصول وخير الآباء والقرون .

(٢) معنى الحديث : يأتى على أحدكم يوم ، لأن يرانى فيه لحظة ثم لا يرانى بعدها ، أحب إليه من أهله وماله جميعا . ومقصود الحديث حثهم على ملازمة مجلسه الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومشاهدته حضرا وسفرا ، للتأدب بآدابه ، وتعلم الشرائع ، وحفظها . ليبلغوها ، وإعلامهم أنهم سيندمون على ما فرطوا فيه من الزيادة من مشاهدته صلى الله عليه وسلم وملازمته ، ومنه قول عمر رضى الله عنه : (ألهانى عنه الصفق بالأسواق) .

عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ يَوْمَ القيامةِ(١)، وأوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ(٢) وأوَّلُ شافِعٍ وأوَّلُ مُشَفَّعٍ»(٣).

(رواه مسلم)

عن أنَسٍ رضي اللهُ عنهُ، عن النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: «أنَا أوَّلُ الناس خُروجاً إذَا بُعِثوا، وأنَا خَطِيبُهُمْ إذَا وَفَدُوا، وأنَا مُبَشِّرُهُمْ إذَا أَيِسُوا. لِوَاءُ الحمْدِ يومَئِذٍ بيَدِي(٤)، وأنا أكْرَمُ وَلَدِ آدمَ علَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ»(٥)

(رواه الترمذي)

---

(١) «السيد»: من يفوق قومه في الخير والشرف. وقيل: من يفزع إليه في النوائب والشدائد، فيقوم بإزالتها وتخفيفها. والنبي صلى الله عليه وسلم سيد الخلق في الدنيا والآخرة. والتقييد بيوم القيامة. فائدته أنه لاينازع السيادة في هذا اليوم العصيب. والنهي عن تفضيله صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء ثابت في عدة أحاديث. وهو محمول على التفضيل الذي يؤدي إلى تنقيص المفضول. أو إلى الخصومة والفتنة.

(٢) هو بمعنى حديث الترمذي عن أنس: «أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا».

(٣) «مشفع» بضم الميم وتشديد الفاء المفتوحة، أي أول من تقبل شفاعته يوم القيامة.

(٤) «اللواء»، بالكسر والمد: الراية. ولا يمسكها إلا صاحب الجيش. يريد به انفراده بالحمد يوم القيامة، وشهرته على رؤوس الخلائق. فوضع اللواء موضع الشهرة. قاله في النهاية، والأقرب أن يحمل اللواء على حقيقته. ولأهل الخير والشر ألوية يوم القيامة يعرفون بها، ويأوي إليهم أتباعهم تحتها.

(٥) قاله صلى الله عليه وسلم. إخباراً عما أكرمه الله به من الفضل. وتحدثا بما أنعم الله عليه وليعلم أمته بما مَنَّ الله عليه، ليكون إيمانهم به على موجبه.

وعنْ أنَسٍ قالَ ، قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «أنَا أكْثَرُ الأنبياءِ تبَعاً يوْمَ القيامَةِ ، وأنَا أوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بابَ الجَنَّةِ» .

(رواه مسلم) .

وعنهُ رضى اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «آتى بابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ القيامَةِ فأَسْتَفْتِحُ ، فيقولُ الخازِنُ : مَنْ أنْتَ ؟ فأقولُ : محمدٌ . فيقولُ : بكَ أُمِرْتُ أنْ لَا أفْتَحَ لأحَد قَبْلَكَ» .

(رواه مسلم)

عن أبِى مالكٍ الأشْعَرِيِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «إنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ أجَارَكُمْ مِنْ ثلاثِ خِلَالٍ : أنْ لايَدْعُوَ عليكُمْ نَبِيكُمْ فتهْلِكُوا جَميعاً ، وأنْ لَا يَظْهَرَ أهْلُ الباطِلِ على أهْلِ[1] الحقِّ ، وأنْ لَا تَجْتَمِعُوا[2] علَى ضَلَالَة» (رواه أبو داود)

عن أبِى هريْرَةَ رضىَ اللهُ عنهُ قالَ :قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «مَنْ رآنِى فى المَنامِ فسيَرَانِى فِى اليَقَظَةِ — أوْ كأنَّمَا رآنِى فى الْيَقَظَةِ — لا يَتَمَثَّلُ الشيطانُ بِى» .

(رواه الشيخان)

---

(١) يريد : أن الباطل وإن كثرت أنصاره لا يغلب الحق بحيث يمحقه ويطفىء نوره ، ولم يكن ذلك بحمد الله مع ما ابتلينا به فى كل عصر ومصر .

(٢) هذا يدل على أن إجماع الأمة حجة ، وأن ما هو حسن عند المسلمين فهو حسن عند الله عز وجل . ويشهد لذلك من القرآن قول الله تعالى فى سورة النساء : «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى ، وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبيل الْمُؤْمِنِينَ ، نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ، وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً» الآية ١١٥ .

عن عبد اللهِ بن مسعود ، قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :
« إنَّ لِكُلِّ نبيٍّ وُلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ ، وإنَّ وَلِيِّي أَبِي ، وَخَلِيلُ رَبِّي » ، ثُمَّ قَرَأَ : « إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ »..

(رواه الترمذى وأحمد) .

البابُ الثامِنُ

« طرف من أخلاقه صلى الله عليه وسلم »

قال تعالى فى سورة آل عمران : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » - من الآية ١٥٩ .

وقال تعالى فى سورة «الْقَلَمِ » : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » الآية رقم ٤

عن أَنَسٍ رضى اللهُ عنهُ قالَ : (كُنْتُ أَمْشِى معَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِىٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ[1] ، فأَدْرَكَهُ أَعْرَابِى فَجَبَذَهُ[2] برِدَائِهِ جَبْذَةً شديدَةً ، فَنَظَرْتُ إلى صَفْحَةِ عَاتِقِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ، ثُمَّ قالَ : يا محمدُ ، مُرْ لِى مِنْ مالِ اللهِ الذى عِنْدَكَ ! فالتَفَتَ إلَيْهِ فَضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) .

(رواه الشيخان)

عن أَبِى سعيدٍ الْخُدْرِىِّ رضى اللهُ عنهُ قالَ : (بَيْنَا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَقْسِمُ قِسْمًا ، أَقْبَلَ رجلٌ ، فأَكَبَّ عَلَيْهِ ، فطَعَنَهُ صلى اللهُ

---

(١) « البرد » بضم فسكون : الثوب المخطط . «نجرانى» : صنع فى مدينة (نجران) من بلاد اليمن . « غليظ الحاشية : خشن الأطراف .

(٢) «الجبذ» : لغة فى الجذب . (المعنى) : أن الأعرابى جاء خلف النبى صلى الله عليه وسلم فجذبه من ثوبه جذبا شديدا ، حتى أثر الثوب فى صفحة عاتق النبى صلى الله عليه وسلم ، فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم متعجباً ! ثم ضحك متلطفا ، ثم أمر له بشىء من المال .

عليهِ وسلمَ بِعُرْجُون كانَ مَعَهُ ، فَجُرِحَ وجْهُهُ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : « تَعَالَ فاسْتَقِدْ » ، قال : بَلْ عَفَوْتُ يا رسولَ اللهِ » .

(أخرجه أبو داود ، والنسائى)

عن ابنِ أَبِى أَوْفَى رضى اللهُ عنهما قالَ : (كان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُكْثِرُ الذكْرَ ، ويقِلُّ اللَّغوَ[1] ، ويُطِيلُ الصلاةَ ، ويُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ ، ولَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينِ[2] فَيَقْضِي لَهُمَا الحاجَةَ) .

(رواه النسائى) .

عن أَنَس رضى اللهُ عنهُ قالَ : (لَمْ يَكُنْ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فاحِشاً[3] وَلَا لَعَّاناً ، ولَا سبَّاباً[4] ، كانَ يقولُ عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ ، « مالَهُ ، تَرِبَ جَبِينُهُ »)[5] (رواه البخارى)

---

(١) « اللغو » : الهذر من القول ، فيكون المراد من الإقلال النفى مطلقاً . والمعنى : أنه لا يلغو أصلا . وقيل : إن المراد من اللغو ما يقابل ذكر الله من أمور الدنيا التى لا تخلو عن مصلحة وحكمة . وأطلق عليه لفظ «اللغو» نظرًا إلى الصورة . وعليه فيكون الإقلال على ظاهره .

(٢) أى لايتكبر عن المشى مع المرأة المحتاجة والرجل المسكين . ليساعدهما على قضاء مصالحهما .

(٣) « فاحشاً » أى آتياً بالفحش من الفعل .

(٤) « ولا لعاناً ولا سباباً » : المقصود منهما نفى اللعن والسبب . وكل ما يكون من قبيل الفحش القولى .

(٥) أى : أنه كان يقول عند العتاب أو الخصام هذه العبارة : « ما له ترب حبينه » أى ما الذى حصل لفلان ، أأصاب جبينه التراب ؟ وهى كلمة يقصد بها التلطف والترفق ، لا الدعاء عليه بالذات.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : (قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ . قالَ : « إني لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً ، وإنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً ») .

(رواه مسلم) ..

عَنْ سماك بنِ حَرْبٍ قالَ : (قُلْتُ لِجَابِرِ بنِ سَمُرَةَ : أَكُنْتَ تجَالِسُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ ؟ قالَ : نَعَمْ كثيرًا ، كانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الذى يُصَلِّي فيهِ الصُّبْحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فإذا طَلَعَتْ قامَ ، وَكَانُوا يتحدَّثُونَ فيأْخُذُونَ فى أَمْرِ الجاهِلِيَّةِ فيَضْحَكُونَ ، ويَتَبَسَّمُ صلى الله عليهِ وسلَّمَ !) .

(رواه مسلم ، جـ٧ ، ص ٧٨) .

عنِ ابنِ شِهابٍ قالَ : (غَزَا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ غَزْوَةَ الفتْحِ ، فَتْحِ مكةَ ، ثُمَّ خرجَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلمينَ ، فاقْتَتَلُوا بحُنَيْن ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ والمسلمينَ ، وأَعْطَى رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلَّمَ يومئذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مائةً مِنَ النَّعَمِ ، ثم مِائَةً ، ثم مِائَةً . قالَ ابنُ شِهابٍ : حَدَّثَنِى سَعِيدُ بنُ المسيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قالَ : واللهِ لَقَدْ أَعْطَانِى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَا أَعْطَانِى ، وإنَّهُ لأَبْغَضُ الناسِ إلَيَّ ! فمَا بَرِحَ يُعْطِينى حَتَّى إنَّهُ لأَحَبُّ الناس إلَيَّ) .

(رواه مسلم فى «الفضائل» ، جـ٧ ، ص ٧٥) .

عن أَبى هريرَةَ (أَنَّ الأَقْرَعَ بنَ حابِس أَبْصَرَ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ فقالَ : إنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الولد ما قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ ! فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «إنَّهُ مَنْ لا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ») .

(رواه مسلم فى «الفضائل» ، جـ٧ ، ص ٧٧) .

عن عائشةَ رضى اللهُ عنها قالتْ : [قَدِمَ ناسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رسولِ اللهِ صلى الله عليهِ وسلَّمَ فقالُوا : أَتُقَبِّلُونَ صبيانَكُمْ ؟ فقالوا : نَعَمْ فقالوا : لكِنَّا واللهِ ما نُقَبِّلُ ! فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كانَ اللهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرحمةَ ؟ »] .

(رواه مسلم جـ ٧ ، ص ٧٧) .

عن أيوب ، عن أَبِى قِلَابَةَ ، عنْ أَنَس ، [أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَتَى عَلَى أَزواجِهِ وسوَّاقٌ يسوقُ بِهِنَّ . يقالُ لهُ أَنجشَة . فقالَ : « وَيْحَكَ يا أَنجشَة ، رُوَيْدًا سوقَكَ بالقَوارِيرِ » قالَ ، قالَ أَبُو قِلَابَةَ : تكلَّمَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بكلمة لَوْ تكلَّمَ بِهَا بعضكُمْ لعِبْتُمُوهَا عَلَيْهِ ! وفى رواية قَتَادَةَ عنْ أَنَسٍ ، قالَ : كان لِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حَادٍ(١) حَسَنُ الصَّوْتِ ، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ : « رُوَيْدًا يا أَنجشَة ، لَا تَكْسِرِ(٢) الْقَوَارِيرَ ! » يَعْنى : ضَعَفَةَ النساءِ] .

(رواهما مسلم ، جـ٧ ، ص ٧٩) .

عن أَنَسِ بنِ مالكٍ ، قالَ : [كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إِذَا صَلَّى الغدَاةَ ، جاءَ خَدَمُ المدينةِ بآنِيَتِهِمْ فِيهَا الماءُ ، فَمَا يُؤْتَى بإِناءٍ إلا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا ، فَرُبَّمَا جَاءُوهُ فِى الغَدَاةِ البارِدَةِ فيَغْمِسُ يَدَهُ فِيها] .

(رواه مسلم فى «الفضائل» جـ٧ ، ص ٧٩) .

---

(١) «حادٍ» : الحادى هو الذى يُغَنِّى للإبل ليحثها على السير .

(٢) «لا تكسر القوارير» : فسر القوارير فى الحديث بضعفة النساء . ومقصود النبى صلى الله عليه وسلم أن حُسْن الصوت . يؤثر فى بعض النساء فيملن إلى صاحب هذا الصوت ، فالنبى صلى الله عليه وسلم يحاول بما قال منع أسباب الفتنة . وموضع الشاهد فى هذا الحديث تلطف النبىّ صلى الله عليه وسلم مع الحارس ، والرفق به فى الطلب .

عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : (ماضَرَبَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ شَيْئًا قط بيدِهِ ، ولا امْرَأَةً ، ولا خادِماً ، إلَّا أنْ يُجَاهِدَ فِى سبيل اللهِ ! وما نِيلَ منهُ شئٌ قَط فيَنْتَقِمُ مِنْ صاحِبِهِ ، إلَّا أنْ يُنْتَهَكَ شئٌ مِنْ محارِمِ اللهِ ، فَيَنْتَقِمُ لِلهِ عزَّ وجلَّ !) .

(رواه مسلم ، جـ٧ ، ص ٨٠) .

عن أنَسٍ قالَ : (لقد رأَيْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والْحَلَّاقُ يَحْلِقُهُ ، وأَطافَ بهِ أصحابُهُ ، فما يُرِيدُونَ أنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إلَّا فى يَدِ رَجُلٍ!)

(رواه مسلم ، جـ٧ ، ص ٧٩)

عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضى اللهُ عنهُ قالَ : (استَأْذَنْتُ النبىَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فِى العُمْرَةِ ، فَأَذِنَ لِى ، وقالَ : «لَا تَنْسَانَا يا أَخى مِنْ دُعَائِكَ» ، فقالَ : كلمةٌ ما يَسُرُّنِى أَنَّ لِى بِهَا الدُّنْيَا !) .

(رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح) .

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى اللهُ تعالى عنهُ ، (عنْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لَوْ كانَ لِى مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً ، لَسَرَّنِى أَنْ لَا تَمُرَّ عَلَىَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وعِنْدِى مِنْهُ شَئٌ ، إلَّا شئٌ أَرْصَدُهُ لِدَيْنٍ ») . (أخرجه الشيخان)

عنْ عائشةَ رضى اللهُ عنها قالتْ : (ما رأَيْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُسْتَجْمِعاً قط ضاحكاً ، حَتَّى تَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ[1] ، إنَّمَا كانَ يَتَبَسَّمُ !) . (أخرجه الشيخان) .

---

(١) « لَهَوَاتِهِ » : اللَّهَاةُ اللحمة المُشْرفة على الحَلْق فى أقصى الفم . وجمعها لَهَوَات ولَهَيَات . والمقصود : أن أقصى ضحك النبى صلى الله عليه وسلم التبسم ، وما رآه أحد يستغرق فى الضحك حتى تظهر لَهَوَاتُه !

عن أَبي مُوسَى الأَشْعَرِىِّ رضى اللهُ عنهُ قالَ : (كانَ النبي صلى اللهُ عليهِ وسلمَ إِذَا أَتَاهُ طالِبُ حاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ . فقالَ : « اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ، ويَقْضِى اللهُ على لِسَانِ نَبِيِّهِ ما أَحَبَّ ») .

(رواه الشيخان)

البابُ التاسع

« كيف كانت معيشة النبي صلى اللهُ عليه وسلمَ »

١ — عن عائشةَ رضى اللهُ عنها قالتْ : (ما شَبِعَ آلُ محمد [١] صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ !) .

(رواه الشيخان) .

وفى رواية : (ما شَبِعَ آلُ محمدٍ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، مُنْذُ قدِمَ المدينةَ ، مِنْ طعامِ البُرِّ [٢] ، ثلاثَ ليالٍ تِباعاً ، حَتَّى قُبِضَ !) .

٢ — وعنْ عُرْوَةَ عنْ عائشةَ رضى اللهُ عنها أنَّها كانتْ تقولُ : (واللهِ يا ابنَ أُخْتِي إنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إلى الهِلالِ ثُمَّ الهلالِ ثُمَّ الهِلالِ ، ثلاثة أهِلَّة فى شهريْن ، وما أُوقِدَ فى أبياتِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ نارٌ ! قلتُ : ياخالَة ، فما كانَ يُعِيِّشُكُمْ ؟ . قالتْ : الأَسْوَدَانِ : التَّمْرُ والماءُ ،

---

(١) المراد أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، وآله ، وهم أزواجه وخدمه ، ما شبعوا من خبز الشعير يومين متتابعين إلى وفاته صلى الله عليه وسلم ! وقد عرض عليه ربه عز وجل أن يجعل له جبال مكة وبطحاءها ذهبا ، فأبى إلا أن يعيش عيش الفقراء ، لعلمه بأن الدنيا طريق الآخرة ، فكان يعمر دنياه بالعبادة ، وتعليم الناس الخير ، والجهاد لإعلاء دين الله . وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يدخر قوت عياله سنة أواخر حياته الشريفة ، وهذا لا يعارض الحديث الذى معنا ، وذلك لأنه كان يواسى الفقراء والمساكين بما يدخره ، حتى لا يبقى منه شىء .

(٢) « البُر » : القمح .

إلَّا أنَّهُ قدْ كانَ لرسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جِيرانٌ مِنَ الأنصارِ ، وكانَتْ لَهُمْ مَنَايِحُ(١) ، وكانوا يرسِلونَ إلَى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ مِنْ ألْبَانِها فيَسْقِينَا) .

(رواه الشيخان)

٣ــوعنْ أنَسٍ رضى اللهُ عنهُ قالَ : (لَمْ يأكُلِ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ على خِوَانٍ(٢) حتَّى ماتَ ! وما أكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقاً(٣) حتَّى ماتَ !) (رواه البخارى ــ وفى رواية له : « ولا رَأى شاةً سَمِيطاً(٤) بعينِهِ قط »)

٤ــوعنِ النعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ رضى اللهُ عنهما قالَ : (لقَدْ رأيْتُ نَبِيَّكُمْ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وما يَجِدُ من الدَّقَلِ(٥) ما يَمْلأُ به بَطْنَهُ) .

(رواه مسلم)

---

(١) « منايح » : جمع ، مفرده منيحة ، وهى فى الأصل اسم لما يعطى من الشاة أو الناقة بقصد شرب لبنها ، ثم إذا انقطع اللبن ردت إلى صاحبها . (ومعنى الحديث) : أنه كان يمضى الشهران وما توقد نار فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصد طبخ طعام ، إنما كانوا يعيشون على الماء والتمر وما يهدى إليهم من اللبن . والإفصاح عن مثل ذلك إنما كان بقصد أن يتأسى بهم الفقراء .

(٢) « الخوان » بكسر أوله : اسم لما يوضع عليه الطعام .

(٣) « المرقق » : بضم ففتح فتشديد : الأرغفة الواسعة الرقيقة ، أى التى تصنع من لباب البر .

(٤) « السميط » : هى الشاة التى تشوى بالنار بعد أن يزال عنها صوفها بالماء الحار .

(٥) « الدقل » : تمر ردئ .

٥ ـ وعنِ ابنِ عباس رضى اللهُ عنهما قالَ : (كان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَبِيتُ الليالى المتتابعَةَ طَاوِياً[1] وأَهْلُهُ لايجدونَ عَشَاءً ، وكانَ أَكثَرَ خُبْزِهِمْ خُبْزُ الشَّعِيرِ) .

(رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح) .

٦ ـ عن أَبِى هرَيْرَةَ رضى اللهُ عنهُ قالَ : (خرجَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذاتَ يوم ، أَوْ لَيْلَةٍ ، فإذا هُوَ بأَبِى بَكْر وعُمَرَ رضى اللهُ عنهما ، فقالَ : «ما أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هذِهِ السَّاعَةَ ؟» . قالا : الجوعُ يا رسولَ اللهِ ! قالَ : «وأَنا ، والَّذِى نَفْسِى بيدِهِ لأَخْرَجَنِى الذى أَخْرَجَكُمَا ! . قُومَا» ، فقَامَا مَعَهُ ، فأَتَى رَجُلًا مِنَ الأَنْصارِ ، فإذا هُوَ لَيْسَ فى بيتِهِ ، فلمَّا رأَتْهُ المرأَةُ قالتْ : مرحباً وأَهْلًا ، فقالَ لها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «أَيْنَ فلانٌ؟» قالتْ : ذَهَبَ يستَعْذِبُ لنَا الماءَ[2] ، إِذْ جَاءَ الأَنصارىُّ ، فَنَظَرَ إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وصاحِبَيْهِ ، ثُمَّ قالَ : الحمدُ لِلهِ ، ما أَحَدٌ اليومَ أَكْرَمَ أَضيافاً مِنِّى ! فانطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْق[3] فِيهِ بُسْرٌ وتَمْرٌ ورُطَبٌ ، فقالَ : كُلوا ، وأَخَذَ المُدْيَةَ[4] ، فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «إِيَّاكَ والحَلُوبَ[5]» فَذَبَحَ لَهُمْ ، فأَكَلوا مِنَ الشَّاةِ ، ومِنْ ذَلِكَ العِذْقِ ، وشَرِبُوا . فلَمَّا

---

(١) «طاوياً» : جائعاً .

(٢) أى يطلب الماء العذب ، وهو الحلو الطيب .

(٣) بكسر العين المهملة ، وإسكان الذال المعجمة : الكباسة ، أى الغصن الذى فيه البلح .

(٤) بضم الميم وتكسر : السكين .

(٥) الحلوب ذات اللبن .

أَنْ شَبِعُوا وَرَوَوْا ، قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأَبى بكْرٍ وعُمَرَ رضى اللهُ عنهما : « والَّذِى نَفْسِى بيدِهِ ، لَتُسْأَلُنَّ(١) عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القيامَةِ ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بيوتِكُمُ الجوعُ ، ثم لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أصابكم هَذَا النَّعِيمُ ») .

(رواه مسلم) .

٧ — عنْ سَهْلِ بنِ سعد رضى اللهُ عنهُ قالَ : (ما رأَى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ النَّقِيَّ(٢) ، مِنْ حِينِ ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ تعالى ! فقِيلَ لَهُ : هَلْ كانَ لَكُمْ فى عهدِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَنَاخِلُ ؟ . قالَ : ما رَأَى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ مُنْخُلاً . مِنْ حِينِ ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ تعالى ! فقِيلَ لَهُ : كَيْفَ كنتُمْ تأْكلونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ ؟ قالَ : كُنَّا نَطْحَنُهُ ، ونَنْفُخُه ، فيَطِيرُ ما طار . وما بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ)(٣) .

(رواه البخارى) .

٨ — وعن عائشةَ رضى اللهُ عنها قالتْ : (كانَ فِراشُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ أَدَمٍ(٤) حَشْوُهُ لِيفٌ) .

(رواه البخارى)

---

(١) السؤال عن هذا النعيم سؤال امتنان ، لاسؤال توبيخ وتعذيب . هذا . والأنصارى الذى أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان ، كما جاء مبينا فى بعض الروايات عن الترمذى وغيره .

(٢) « والنقى » : الخبز المصنوع من دقيق البر الذى لاتخالطه النخالة .

(٣) أى مزجناه بالماء وعجناه .

(٤) أى من جلد . قال فى المصباح : الأديم الجلد المدبوغ والجمع أَدَم ، بفتحتين، وبضمتين أيضا وهو القياس ، مثل بريد وبُرُد .

٩ —وعن عائشةَ رضى اللهُ عنها قالتْ : (تُوُفِّىَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ ، ودِرْعُهُ(١) مرهونَةٌ عِنْدَ يهودِىٍّ فى ثلاثينَ صاعاً(٢) مِنْ شعيرٍ) .

(رواه الشيخان) .

١٠ —وعن سعدِ بنِ أبى وَقَّاص رضى اللهُ عنهُ قالَ : (إنِّى لأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْم فى سبيل اللهِ . ولقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، مالَنَا طعامٌ إلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ(٣) وهَذَا السَّمُرُ ، حَتَّى إنْ كانَ أَحدُنَا لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ مالَهُ خِلْطٌ(٤)) .

(رواه الشيخان) .

١١ —وعن أبى هريرَةَ رضى اللهُ عنهُ قالَ : (قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «اللَّهُمَّ اجعَلْ رِزْقَ آلِ محمدٍ قُوتاً(٥)») .

(رواه الشيخان) .

١٢ —عن عَمْرو بنِ الحارثِ أخِى جُوَيْرِيَةَ بنتِ الحارثِ أُمِّ المؤمنينَ رضى اللهُ عَنْهُمَا قالَ : (ماتَرَكَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ عنْدَ مَوْتِهِ

---

(١) «الدرع» : ما يلبسه المجاهد فى الحرب يتقى به بأس العدو .

(٢) «الصاع» : مكيال تعرفه العرب . (قال العلماء) : السبب فى عدوله صلى الله عليه وسلم عن معاملة أغنياء الصحابة إلى اليهود : إما بيان جواز معاملتهم ، وإما علمه أنه لو أخذ من مياسير الصحابة مثل ذلك يأبون قبول ثمنه .

(٣) «الحبلة» بالضم وسكون الباء الموحدة : ثمر السَّمُر ، يشبه اللوبياء ، وقيل هو ثمر العِضاة . والسمر والعضاة من الأشجار المعروفة للعرب .

(٤) أى لايختلط بعضه ببعض ، لجفافه ويبسه ، فإنهم كانوا يأكلون خبز الشعير وورق الشجر لفقرهم وحاجتهم . قاله ابن الأثير فى النهاية .

(٥) قال أهل اللغة : معنى «قوتا» ما يَسُدُّ الرَّمَقَ أى الجوعَ .

دِينارًا ، ولَا دِرْهَماً ، ولا عَبْدًا ، ولا أَمَةً ، ولا شَيْئاً ، إِلَّا بَغْلَتَهُ البيْضاءَ التى كانَ يرْكَبُهَا ، وسِلاحَهُ ، وأَرضاً جَعَلَهَا لابن السَّبِيلِ صَدَقَةً) .

(رواه البخارى) .

١٣–عن عبدِ اللهِ بنِ مسعود رضى اللهُ عنهُ قالَ : (نامَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَلَى حَصِير ، فَقَامَ[1] وَقَدْ أَثَّرَ فى جَنْبِهِ ! قُلْنَا : يا رسولَ اللهِ ، لَوِ اتَّخَذْنَالَكَ وِطاءً[2] ؟ فقالَ : « مَالِى وللدُّنْيَا[3] ، ما أَنَا فِى الدنْيَا إِلا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَة ، ثُمَّ راحَ وَتَرَكَهَا »[4] .

(رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح) .

١٤–عن ثابِتٍ عنْ أَنَس قالَ : (كانَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ لا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَد) .

(رواه الترمذى ، وقال : حديث غريب) .

---

(١) أي استيقظ من نومه .

(٢) فراشا ناعما لينا .

(٣) أى لاحاجة لى بها .

(٤) يقول : إنى فى الدنيا كالمسافر الذى ينزل أثناء سفره تحت شجرة يطلب الراحة فى ظلها ، فإذا استراح قام وترك تلك الشجرة . « ويدل الحديث » على أن التقشف والتقلل من متاع الدنيا وزخرفها ، هو الأولى بالمؤمن ، لأن الدنيا دار زوال ، وأن العبادة والإقبال على الله وعمل الخير هو الذى ينبغى الاهتمام به ، فإنه زاد الآخرة ، والآخرة هى دار البقاء .

الباب العاشر

«حرصُهُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ على أُمَّتِهِ ورَحْمَتُهُ بها»

قال الله تعالى : «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » .

وقال تعالى : «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» .

وقال تعالى : « فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً » .

١ ـ عنْ عائشةَ رضى اللهُ عنها (أَنَّهَا قالتْ للنبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يومٌ كانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ . قالَ : « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ ، وكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُهُ مِنْهُمْ يَوْمُ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسى عَلَى ابنِ عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ[(١)] ، فلَمْ يُجِبْنى إلى ما أَرَدْتُ ، فانْطَلَقْتُ وأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِى ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[(٢)] ، فَرفَعْتُ رَأْسِى ، وإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِى ، فنظَرْتُ ، فإذا فِيها جبريل

---

(١) كان ذلك بالطائف حين ذهب إليهم ، بعد أن بلغ إيذاء قريش له أقصى مداه . وابن عبد ياليل هو أحد أشراف الطائف .

(٢) « بقَرْنِ الثَّعَالِب » : هو جبَل مشرف على عرفات ، وهو ميقات أهل نجد . ويقال له أيضاً قَرْنُ المنازل . يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يستفق من شدة ما ناله من سوء مقابلة أهل الطائف ورميهم له بالحجارة ، إلَّا بَعْد وصوله إلى قرن الثعالب .

عليهِ السلامُ ، فَنَاداني فقالَ : إنَّ اللهَ تعالى قَدْ سَمِعَ قولَ قومِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عليْكَ ، وقَدْ بَعَثَ إليْكَ مَلَكَ الجبَالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فِيهِمْ ، فناداني مَلَكُ الجِبَالِ ، فسلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قالَ : يامحمدُ إنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وأنَا مَلَكُ الجِبَالِ . وقَدْ بَعَثَني رَبِّي إليْكَ لِتَأْمُرَني بِأَمْرِكَ . فَمَا شِئْتَ ؟ إنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ »[١] فقالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرك بِهِ[٢] شَيْئًا ») . (أخرجه الشيخان)

٢ — عن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ الْعَاص : (أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تَلَا قولَ اللهِ عزَّ وجَلَّ فِي إبراهيمَ : «رَبِّ إنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ . فَمَنْ تَبِعَني فَإِنَّهُ مِنِّي »[٣] — الآية . وقالَ عيسى عليهِ السلامُ : «إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ »[٤] . فرفَعَ يديْهِ وقالَ : «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي » وبَكَى . فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : «ياجبريلُ . اذْهَبْ إِلَى محمد . وربُّكَ أَعْلَمُ . فَسَلْهُ : مَايُبْكِيكَ؟ ، فَأَتَاهُ جبريلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ . فَسَأَلَهُ . فأَخْبَرَهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بِمَا

---

(١) «الأخشبيْن» : هما جَبَلان .

(٢) ذلك يدل على كمال شفقته صلى الله عليه وسلم . وعظم رحمته . حيث لم تسمح نفسه الطاهرة بالانتقام ممن بالغوا فى إيذائه . وأدْمَوْا وجهه الشريف . مع استحقاقهم للعقوبة

(٣) سورة إبراهيم . من الآية ٣٦ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١١٨ .

قالَ ، وهُوَ أَعْلَمُ ، فقالَ اللهُ : «يا جبريلُ ، اذهبْ إلى محمد فقُلْ : إنَّا سَنُرْضِيكَ فى أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ») .

(رواه مسلم فى باب «دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته ، وبكاؤه شفقة عليهم» من كتاب الإيمان ، ج أول ، ص ١٣٢ ، ط الآستانة)

٣ ـ عنْ سعد ـ هُوَ ابنُ أبى وَقَّاص ـ رضى اللهُ عنهُ (أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَعْطَى رَهْطاً وَسَعْدٌ جالسٌ ، فَتَرَكَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إلَىَّ ، فَقُلْتُ : يارسولَ اللهِ ، مالَكَ عَنْ فُلان ، فَوَاللهِ إِنِّى لَأُرَاهُ مُؤمِناً ! فقالَ : «أَوْ مُسلِماً» ـ فَسَكَتُّ قليلًا ، ثُمَّ غَلَبَنِى ما أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِى ، فَقُلْتُ : مالَكَ عَنْ فلان ، فَوَاللهِ إِنِّى لَأُرَاهُ مُؤمِناً[1] ! فقالَ : «أَوْ مُسْلِماً» ـ ثُمَّ غَلَبَنِى مَا أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِى ، وَعَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ «يا سَعْدُ إِنِّى لَأُعْطِى الرجُلَ وغِيرُهُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْهُ ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فى النارِ) .

(أخرجه الشيخان فى «كتاب الإيمان» واللفظ للبخارى فى «باب» : إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة» .. الخ ، جـ١ ، ص ١٤) .

---

(١) «إنى لأراه مومنا» : أراه بفتح الهمزة وضمها ، فبالفتح يكون (أعلمه مؤمنا) . وبالضم يكون معناها (أظنه مؤمنا) . وسواء كان معناها هذا أو ذاك ، فإن تلك العبارة من سعد تدل على أن الإعطاء فى نظره تكريم ، وأن الأحق بالتكريم المؤمن . ولم يفطن إلى قصد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أن الإعطاء للتأليف ، يخص به المؤلفة قلوبهم ، حتى لا ينتهى بهم الحرمان إلى الارتداد ، فيكونوا من أهل النار . وقد أبَانَ صلوات الله وسلامه عليه عن قصده هذا فى آخر الحديث ، حيث قال : «إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلىَّ منه خشية أن يكبه الله فى النار» . وهذا التصرف الحكيم من النبي عليه السلام يدل على عظم رحمته بأمته ، بعمل ما يُجَنِّب أى فرد منها عذاب النار .

٤ - عنْ عامِرِ بن سَعْد عنْ أبيهِ : (أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَقْبَلَ ذاتَ يَوْم مِنَ الْعَالِيَةِ ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بمسجِدِ بَنِى مُعَاوِيَةَ دَخَلَ ، فركَعَ فيهِ ركعتينِ ، وصلَّيْنَا مَعَهُ ، وَدَعَا رَبَّهُ طويلًا . ثُمَّ انْصَرَفَ إلَيْنَا . فقالَ : «سَأَلْتُ رَبِّى ثلاثاً ، فأَعْطَانِى ثِنْتَيْنِ ، وَمَنَعَنِى واحدةً : سأَلْتُ رَبِّى أَنْ لايُهْلِك أُمَّتِى بالسَّنَةِ فأَعْطَانِيهَا . وسأَلْتُهُ أَنْ لايُهْلِكَ أُمَّتِى بالغَرَقِ فأَعْطَانيها ، وسأَلْتُهُ أَنْ لايَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا») .

(رواه مسلم فى «باب هلاك هذه الأُمة بعضهم ببعض» من كتاب الفتن) .

٥ - عنْ عائشةَ رضى اللهُ عنها قالَتْ : (إنْ كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ ، خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بهِ النَاسُ فيُفْرَضَ عليْهِمْ ، وماسَبَّحَ(١) رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سُبْحَةَ الضُّحَى قَط ، وإنِّى لأُسَبِّحُها) .

(رواه الشيخان . واللفظ للبخارى فى «باب تحريض النبى صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب» من أبواب التهجد) .

٦ - عن عائشةَ أُمِّ المؤمنينَ رضىَ اللهُ عنها : (أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صَلَّى ذات لَيْلَةٍ فى المسجدِ ، فصلَّى بِصَلَاتِهِ ناسٌ(٢) . ثُمَّ صَلَّى

---

(١) «سَبَّح» : أى تَنَفَّل . و «سُبْحَة الضحى» : أى نافلة الضحى . وكان من تمام رحمته بأُمته عدم صلاته الضحى ، حتى لا يقلده الناس فتفرض عليهم . وفى ذلك من المشقة والحرج ما فيه .

(٢) هذه الصلاة هى صلاة التراويح . ولقد كان المسلمون حريصين على فعل كل مايفعله الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى إنهم ذهبوا يعودونه يوماً مما أصاب رجْله بسبب =

مِنَ القابِلَةِ ، فَكَثُرَ الناسُ ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ الليْلَةِ الثالثةِ أَوِ الرابعةِ ، فَلَمْ يَخْرُجْ إليهمْ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلَمَّا أَصْبَحَ قالَ : «قَدْ رأَيْتُ الذِى صَنَعْتُمْ ، ولَمْ يَمْنَعْنِى مِنَ الخروجِ إليكُمْ إلَّا أَنِّى خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ » وذَلِكَ فِى رمضانَ) .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى فى «باب تحريض النبى صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل» إلخ ، ومسلم ، رواه فى «باب الترغيب فى قيام رمضان») .

٧ — عن أبى مسعودٍ قالَ : (قالَ رجُلٌ : يارسولَ اللهِ ، إنِّى لأَتَأَخَّرُ عن الصلاةِ فى الفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فلانٌ فيها ، فَغَضِبَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ما رأَيْتُهُ غَضِبَ فى مَوْعِظَةٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَباً مِنْهُ يومَئِذٍ ، ثُمَّ قالَ : «أَيُّهَا الناسُ ، إنَّ منكُمْ مُنَفِّرِينَ ، فمَنْ أَمَّ الناس فلْيَتَجَوَّزْ (١) ، فإِنَّ خَلْفَهُ الضعيفَ والكبير وذا الحاجَةِ») .

= وقوع فَرَسِه به ، فلما دخلوا عليه وجدوه يصلى ، فاقتدوا به وصلوا خلفه . وفى حديث الباب وجدوه يصلى التراويح فصلوا خلفه . فلما تكرر ذلك منهم فى الليالى التالية ، ترك الخروج إلى المسجد فى هذا الوقت ، حتى لا يترتب على مواظبتهم على صلاة التراويح خلفه أن تفرض عليهم .

(١) «فلْيَتَجَوَّز» : تجوزت فى الصلاة ، أى تَرَخَّصْتَ فأَتَيْتَ بأقل ما يكفى . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضب إذا رُفع إليه أَمْرُ أى شخص يؤم الناس ويطيل بهم الصلاة ، لأن فى ذلك تنفيرا لهم عن صلاة الجماعة ، بل لقد أجاز عليه الصلاة والسلام بسكوته إتمام المقتدى الصلاة وحده ، إذا أطال به الإمام . وذلك أن شخصاً ذهب ليسقى نخله ، فوجد مُعاذا يصلى . فصلّى خلفه . وأطال معاذ الصلاة . وكاد يتسبب فى تضييع =

٨ — عن أَنَسِ بن مالك أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ قالَ : «إِنِّى لأَدْخُلُ فى الصلاةِ وأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا . فأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِىِّ ، فأَتَجَوَّزُ فِى صَلَاتِى مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ(١) أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ !» .

٩ — عن أَبِى هريْرَةَ قالَ : (قامَ أَعْرَابِىٌّ فَبَالَ فى المسجدِ . فَتَنَاوَلَهُ النَاسُ . فقالَ لَهُمُ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «دعُوهُ وهَرِيقُوا علَى بَوْلِهِ سَجْلًا(٢) مِنْ ماءٍ ، أَوْ ذَنُوباً(٣) مِنْ ماءٍ . فإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِين(٤) ولَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ») .

١٠ — عن جَرِيرٍ — هو ابنُ عبد اللهِ الْبَجَلِىُّ — قالَ : (بايَعْتُ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَلَى السمْعِ والطاعةِ . فلَقَّنَنِى : «فيما استطعتَ والنُّصْحَ لكلِّ مُسْلِمٍ) . (أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم «فى كتاب الإيمان») .

=مصلحة الرجل . فأكمل الرجل صلاته وحده . ثم انصرف إلى سقى نخله قبل أن يتم معاذ الصلاة فلما سلَّم معاذ أخبروه بما فعل الرجل . فنال معاذ منه وقال : إنه لمنافق . أيعجل عن الصلاة من أجل سقى نخله ؟ . فذهب الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فغضب عليه الصلاة والسلام وآخذ معاذا ، ولم يعترض على تجوُّز الرجل فى صلاته وانصرافه قبل أن يسلم الإمام . وتَجوُّزُ النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاته ومطالبته الأئمة بذلك من رحمته بأُمته .

(١) «وجْد أُمّه» : أى حُزْن أمه من بكائه .

(٢) «سَجْلًا» : السَّجْل الدلو العظيمة .

(٣) «ذَنُوباً» : الذَّنُوب بمعنى السَّجْل .

(٤) «فإنما بعثتم ميسرين» : ومن التيسير عدم المبالغة فى المؤاخذة . وأخذ جميع الأُمور بالرفق . وهذا الأُسلوب فى توجيه النبى صلى الله عليه وسلم يدل على كمال رحمته . ويوضح ذلك حديث أنس . فقد جاء فيه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين لما هَبُّوا فى وجه الرجل : «لا تزرموه — أى لا تروعوه — فينقطع بوله» .

١١ — عن أبي هريرةَ عنِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : («انْتَدَبَ اللهُ عزَّ وجلَّ لِمَنْ خَرَجَ فى سبيلِهِ ، لايُخرِجُهُ إلَّا إيمانٌ بِى وتَصْديقٌ بِرُسُلِي ، أنْ أرجِعَه بِمَا نالَ مِنْ أجْرٍ أوْ غنيمةٍ ، أوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، ولَوْلَا أنْ أشقَّ علَى أُمَّتِى ما قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيةٍ(١) ، ولوددْتُ أنِّى أُقْتَلُ فِى سبيلِ اللهِ ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَل ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَل») .

١٢ — عن عائشةَ قالتْ : (كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أمَرَهُمْ أمَرَهُمْ مِنَ الأعْمَالِ بمَا يُطِيقُونَ ، قَالُوا : إنَّا لَسْنَا كهيْئتِكَ يا رسولَ اللهِ ، إنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخَّرَ ، فيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرفَ الغَضَبُ فى وجهِهِ ، ثُمَّ يقولُ : «إنَّ أتْقَاكُمْ وأعْلَمَكُمْ باللهِ أنَا») .

١٣ — وعنْ عائشةَ : (أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دخلَ علَيْهَا وعِنْدَها امرأةٌ ، قالَ : «مَنْ هذهِ ؟» قالَتْ : فلانةُ تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِها ، قالَ : «مَهْ ، عليكُمْ بما تُطِيقُونَ ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ(٢) اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا» ، وَكَانَ أحَبَّ الدِّين إليْهِ مادَاوَمَ عليْهِ صاحِبُهُ) .

---

(١) «السَّرِيَّةُ» : هي القطعة من الجيش ، وهي بمعنى سارية لأنها تسرى فى خفية .

(٢) «لا يَمَلُّ الله حتى تَمَلُّوا» : المَلَلُ هو الضجر والسآمة ، وهو بهذا المعنى محال على الله تعالى ، فالمقصود به الكفُّ عن الإعطاء بسبب كفكم عن العبادة ، فالإنسان إذا أفرط فى العبادة ربما ينتهى به الأمر إلى السآمة ثم الترك ، وعندئذ يكف سبحانه عن الإعطاء . ولقد كان عليه الصلاة والسلام دائماً يوصى بالقصد والاعتدال فى العبادة لهذا السبب ، فمرة يقول : «يسروا ولا تعسروا» ، ومرة أخرى يقول : «لن يشاد الدين أحد إلَّا غلبه» ، وذلك أيضاً من رحمته عليه الصلاة والسلام بأُمته .

البابُ الحادي عشر

«أوصافه صلى الله عليه وسلم الخِلقية»

عن أَنَسٍ بن مالك قالَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ليْسَ بالطَّوِيلِ الْبَائنِ(1) ، ولَا بالقَصِيرِ . ولَيْسَ بالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ(2) . ولا بالآدم(3) ، وليس بالجَعْدِ الْقَطَطِ(4) . ولا بالسَّبِطِ(5). بعثهُ اللهُ على رَأْسِ(6) أربعينَ سنة ، فأَقامَ بمكةَ عشْرَ سِنين ، وبالمدينةِ عشْرَ سِنينَ . وتَوَفَّاهُ(7) اللهُ على رأْسِ سِتِّينَ سنة ، وليْسَ فى رأْسِهِ ولحيَتِهِ عشرونَ شعرةً بيضاء) .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم فى «كتاب الفضائل» . جـ ٧ . ص ٨٧) .

---

(١) أى المفرط فى الطول .

(٢) أى الذى بياضه خالص لا تشوبه حمرة كلون الثلج واللبن .

(٣) أى الشديد السمرة .

(٤) «القطط» بفتحتين ، ويجوز كسر الثانية : أى الشديد الجعودة وهى تلبد الشعر .

(٥) بفتح أوله وتثليث ثانيه ، هو الشعر المنبسط المسترسل . ومعنى الجملة أن شعره صلى الله عليه وسلم كان وسطا بين الجعد والمسترسل .

(٦) المراد بالرأس آخر السنة . كما فى قول المفسرين إن رؤوس الآى أواخرها . وقال صاحب جامع الأصول : الصحيح عند أهل العلم بالأثر أنه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة . (ا.هـ) فلعل أنسا رضى الله عنه ألغى الكسر ، وهو ما فوق الأربعين .

(٧) الصحيح أن عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة ، فمن قال ستين ألغى الكسر .

وعن سماك بن حَرْبٍ ، عنْ جابرِ بنِ سَمُرَةَ ، قالَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ضَلِيعَ الْفَمِ ، أَشْكَلَ الْعَيْنَيْنِ ، منهوسَ العَقبيْنِ . قِيلَ لسماك : ما ضَلِيعُ الْفَمِ ؟ قالَ : عَظِيمُ الْفَمِ . قيلَ : ما أَشْكَلُ العَيْنَيْنِ [1] ؟ قالَ : طَوِيل شقِّ العيْنِ ، قيلَ : ما منهوسُ العقبَيْنِ ؟ قالَ : قليل لحْمِ الْعَقِبِ) .

(رواه مسلم) .

وعنْ أَنَس قالَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ[2] كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤ ، إذا مَشَى تكَفَّأَ[3] ، ما مَسَسْتُ دِيباجَةً ولا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولا شَمَمْتُ مِسْكاً ولا عَنْبَرًا أَطْيَبَ مِنْ رائِحَةِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) . (رواه الشيخان)

عن عَلِيٍّ رضى اللهُ عنهُ كانَ إذا وَصَفَ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : (لَمْ يكُنْ بالطويل الْمُمَّغِط[4] ، ولا بالقَصِيرِ المُتَرَدِّدِ[5] ، وكان

(١) يرى أبو عبيدة وغيره من علماء اللغة أن الأشكل ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة ، فلذلك خطَّأ القاضى عياض تفسير سماك .

(٢) أى أبيض منيرا .

(٣) بتشديد الفاء وبالهمز ، وقد يترك همزه ، أى تمايل إلى قدام ، كما تمايل السفينة فى جريها .

(٤) بضم الأولى وفتح الثانية مع تشديدها وكسر الغين المعجمة . معناه : المتناهى فى الطول ، من امغط النهار إذا امتد .

(٥) أى المتناهى فى القصر .

ربعةً[1] مِنَ القَوْمِ ، ولَمْ يكُنْ بالْجَعْدِ القَطَطِ ، ولَا بالسَّبطِ[2] . وكان جَعْدًا رَجِلًا[3] ، ولمْ يكُنْ بالمُطَهَّمِ[4] ، ولا بالمكَلْثَمِ[5] ، وكان فى الوجْهِ تَدْوِيرٌ ، أبْيَضُ مُشْرَبٌ[6] ؟ ، أدْعَجُ[7] العَيْنَيْنِ ، أهْدَبُ الأشْفَارِ[8] ، جَلِيلُ المَشَاشِ[9] والكَتَدِ[10] ، أجْرَدُ ذو مَسْرُبَة[11] ،

---

(١) أى متوسطا ، وهو فى المعنى تأكيد لما قبله

(٢) أى لم يكن شعره صلى الله عليه وسلم شديد التلبد . ولا عظيم الاسترسال . ولكنه كان وسطا بينهما .

(٣) بكسر الجيم ، ويجوز فيها الفتح والسكون . وقوله : كان جعدا رجلا . الجَعْدُ هو الشعر القصير غير المُسْتَرْسِل . والرَّجِلُ أى المُمَشَّطُ . والمراد أن شَعْرَه عليه السلام كان مُمَشطاً مُسْتَرْسِلًا غير قصير .

(٤) بتشديد الهاء المفتوحة ، معناه : المقيف الجسم ، أو المتناهى فى السمن ، وهو من الأضداد .

(٥) بفتح المثلثة : أى لم يكن وجهه مدوراً إلى الغاية ، بل كان مائلا إلى التدوير . والمقصود أن وجهه صلى الله عليه وسلم كان بين الأسيل والمستدير .

(٦) أى مائلا إلى الحمرة .

(٧) الدعج : شدة سواد العين .

(٨) أى طويل شعر الأجفان . والأشفار هى أطراف الجفون التى ينبت عليها الشعر

(٩) بفتح الميم : أى عظيم رؤوس العظام ، كالمرفقين والكتفين والركبتين .

(١٠) الكتد : بفتحتين هو مجتمع الكتفين ، وهو الكاهل .

(١١) الأجرد الذى ليس على بدنه شعر . والمسربة ، بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء ، معناها : الشعر الذى يكون فى النحر إلى السرة . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن أجرد ، ولا أشعر ، وهو الذى على جميع بدنه شعر ، وإنما كان الشعر فى أماكن من بدنه صلى الله عليه وسلم كالمسربة والساعدين والساقين .

شَثْنُ[١] الكفيْنِ والقَدَمَيْنِ ، إذا مَشَى يَتَقَلَّعُ كأنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ[٢] ، وَإِذَا الْتَفَتَ[٣] الْتَفَتَ معاً ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خاتَمُ النُّبُوَّةِ ، وهُوَ خاتَمُ النبيينَ ، أجودُ[٤] النَّاسِ صَدْرًا ، وأصدقُ الناس لَهْجَةً[٥] ، وألْيَنُهم عريكةً[٦] ، وأكرمُهُمْ عِشْرَةً ، مَنْ رآهُ بَدِيهةً هابَهُ[٧] ، ومَنْ خالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ ، يقولُ نَاعِتُهُ : لَمْ أَرَ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ) .

(رواه الترمذي) .

---

(١) أي ممتلىء الكفين والقدمين ، وذلك من صفات الأقوياء .

(٢) يتقلع أي يرفع رجليه من الأرض رفعا ظاهرًا بقوة ، متداركا إحداهما بالأخرى . والصبب بفتحتين المنحدر من الأرض . وفي العبارة ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم كان قوي المشي في سرعة ، مع الميل إلى جهة الأمام .

(٣) يريد أنه كان إذا توجه إلى الشيء توجه إليه بجسمه الشريف كله ، لا يخالف بعضه بعضاً ، فلا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة إذا نظر إلى الشيء ، لما في ذلك من الطيش والخفة .

(٤) أي أوسعهم قلباً ، فلا يضيق صدره من جفاء الإعراض . والجودة بفتح الجيم معناها : السعة والانفساح . وروى : (أجود الناس كفا) وهو من الجود بالضم أي السخاء والكرم .

(٥) «لهجة» : أي حديثاً ، وهي بهاء ساكنة ، والفتح أفصح ، وأنكر الأصمعي فتح الهاء .

(٦) «عريكة» : أي أسهلهم جانباً وخلقاً .

(٧) أي من رآه أول مرة أو فجأة هابه ، أي امتلأ قلبه خوفاً من النبي صلى الله عليه لم تووسقيرًا وتعظيماً .

عن أَنَسِ بْن مالكٍ قالَ : (دخَلَ عَلَيْنَا النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، فَقَالَ[١] عِنْدَنَا ، فَعَرِقَ ، وجاءتْ أُمِّى بقَارُورَة ، فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ[٢] العَرَقَ فيها ، فاستيقظَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فقالَ : «يا أُمَّ سُلَيْم ما هَذَا الذِى تصنَعِينَ» ؟ قالَتْ : هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فى طيبِنا . وهُوَ مِنْ أَطْيَب الطيبِ) .

(رواه مسلم ، جـ٧ ، ص ٨١) .

وعن أَنَس عنْ أُمِّ سُلَيْم : (أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يَأْتِيها ، فيَقِيلُ[٣] عِنْدَهَا ، فَتَبْسُطُ لَهُ نِطْعاً[٤] ، فيقِيلُ عليْهِ . وكانَ كثيرَ العرقِ ، فكانَتْ تَجْمَعُ عرَقَهُ فتجعلُهُ فى الطِّيبِ والقَوَارِيرِ ، فقالَ النبي صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «يا أُمَّ سُلَيْم . ما هَذَا» ؟ قالَتْ : عَرَقُكَ أَدُوفُ[٥] بِهِ طِيبِى) .

(أخرجه الشيخان ، واللفظ لمسلم ، جـ٧ ، ص ٨٢) .

---

(١) القيلولة هى النوم فى الظهيرة . تقول : قال من باب باع . وقيلولة أيضاً ومقيلًا . فهو قائل . أفاده فى المختار .

(٢) أى تمسحه بقطن أو نحوه ، ثم تعصره فى القارورة .

(٣) أى ينام فى وقت الظهيرة . وكانت أم سليم رضى الله عنها خالته صلى الله عليه وسلم من الرضاع .

(٤) بفتح النون وكسرها مع سكون الطاء المهملة : فراش من جلد .

(٥) «أدوف به طيبى» : هو بذال معجمة فى رواية الأكثر ، ومعناه : أخلطه . ورواه بعضهم بالدال المهملة ، ومعناه أيضاً : أخلط .

عن جابرِ بن سَمُرَةَ قالَ : (صلَّيْتُ مَعَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صَلاَةَ الأُولَى(١) ، ثُمَّ خرَجَ إلى أَهْلِهِ ، وخَرَجْتُ مَعَهُ ، فاستَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ(٢) ، فَجَعَلَ يمسحُ خَدَّىْ أَحَدِهِمْ واحِدًا واحِدًا قَالَ : وأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّى ، قَالَ : فوجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحاً كأَنَّمَا أَخْرَجَها مِنْ جُؤْنَةِ(٣) عَطَّار!) . (رواه مسلم ، جـ ٧ ، ص ٨١) .

عن أَبِى هريرَةَ قالَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، شَثْنَ القدمَيْن والكَفَّيْن ، ضَخْمَ الساقَيْن ، عَظِيمَ الساعدَيْن ، ضَخْمَ المنكِبَيْنِ رحْبَ الصَّدْرِ ، رَجِلَ الرأْسِ(٤) ، أَهْدَبَ(٥) العينَيْنِ ، حَسَنَ الفَمِ حَسَنَ اللحيةِ ، تامَّ الأُذُنَيْنِ ، رَبْعةً مِنَ القَوْمِ ، لاطويلًا ولا قصيرًا أحسن الناسِ لوناً ، يُقْبِلُ مَعاً ، ويُدبِرُ معاً ، لَمْ أَرَ مِثْلَهُ ولَمْ أَسْمَعْ بمثلِهِ) .

(رواه الترمذى وابن سعد) .

---

(١) قال النووى : يعنى الظهر . وقال القارى : المتبادر أنها الصبح . وهو من باب إضافة الموصوف إلى الصفة .

(٢) أى صبيان . واحدهم وليد .

(٣) هى بضم الجيم وهمزة ساكنة بعدها ، ويجوز قلبها واوا ، هى كما فى النهاية : التى يعد فيها الطيب ويحرز . قالوا : وكانت هذه الريح الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم ، وإن لم يمس طيباً ، وكان مع ذلك يستعمل الطيب لملاقاة الملائكة ومجالسة المسلمين .

(٤) قال فى المصباح : رَجِل الشعر رجَلًا من باب تعب . فهو رجِلٌ بالكسر . والسكون تخفيف . أى ليس شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما . اهـ .

(٥) رجل أهدب طويل الأهداب . جمع هُدْب بضم أوله وتسكين ثانيه . وهو ما نبت من الشعر على أشفار العين .

وعنهُ رضى اللهُ عنهُ قالَ : (ما رأَيْتُ شيئاً أَحْسَنَ مِنْ رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، كأَنَّ الشمسَ تَجْرِى فِى جَبْهَتِهِ ! وما رأَيْتُ أحدًا أَسْرَعَ مَشْياً مِنْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، كأَنَّما الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ ! إنَّا لنجهدُ أنفُسَنَا ، وإنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِث !) .

(رواه الترمذى ، وابن سعد — ابن سعد ، جـ٤ ، ص ٤١٥) .

عن ابن عباس قالَ : (كانَ أَهلُ الكتابِ يَسْدُلُونَ أَشْعارَهُمْ ، وكانَ المشركونَ يَفْرُقُونَ[1] رُءُوسَهُمْ ، وكان رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أهل الكتابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بهِ[2] ، فَسَدَلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ناصِيَتَهُ ، ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ) .

(رواه مسلم ، جـ٧ ، ص ٨٣) .

عن أَنَس : (أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يَضْرِبُ شَعْرُهُ مَنْكِبَيْهِ ، وفى رواية عنهُ قالَ : كانَ شَعْرُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ) .

(رواه مسلم ، جـ٧ ، ص ٨٣ ، ص ٨٤) .

عنْ ثابِتٍ قالَ : (سُئِلَ أَنَس بنُ مالكٍ عَنْ خِضَابِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : لَو شِئْتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِى رَأْسِهِ فَعَلْتُ . وقالَ :

---

(١) سدل الشعر : إرساله على الجبين كالقصة ، وفرق الشعر جعله لجهتى اليمين والشمال .

(٢) قيل : إنه فعل ذلك تأليفا لقلوبهم .

لَمْ يَخْتَضِبْ (١) . وقَد اخْتَضَبَ أبو بَكْرٍ بالْحِنَّاء والكَتَمِ (٢) واخْتَضَبَ عُمَرُ بالحِنَّاءِ بَحْتاً) .

(أخرجه الشيخان ، واللفظ ، لمسلم ، جـ٧) .

عنْ سِماكٍ أَنَّهُ سَمِعَ جابِرَ بنَ سَمُرَةَ يقولُ : (كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قَدْ شَمِطَ (٣) مُقَدَّمُ رأسِهِ ولحْيَتِهِ ، وكانَ إذَا ادَّهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ وإذَا شَعِثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ ، وكَانَ كثير شَعْرِ اللحيةِ . فقالَ رَجُلٌ : وجْهُهُ مِثْلُ السيفِ؟ قالَ : لَا ، بل كانَ مثل الشمسِ والقمرِ ، وكانَ مستَدِيراً (٤) ورأَيْتُ الخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الحمامَةِ ، يُشْبِهُ جَسَدَهُ (٥) .

(رواه مسلم ، جـ٧ ، ص ٨٦) .

---

(١) المعنى أن أنساً سئل : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب شعر رأسه ولحيته ؟ فأجاب بأنه لم يخضب ، لأنه لم ير من الشيب إلا قليلا . وقوله : (لو شئت أن أعد شمطات كن فى رأسه فعلت) ، يريد به أن عدد شعرات رأسه صلى الله عليه وسلم التى شابت كانت فى غاية القلة ، يستطيع أن يعدها بسهولة . قال فى النهاية : الشمط الشيب ، والشمطات الشعرات البيض .

(٢) بفتحتين : هو نبت يخلط بالحناء يختضب به .

(٣) قال القاموس : الشمط بفتحتين ، اختلاط بياض الشعر بسواده ، يقال شمط الرجل شمطاً إذا خالط البياض سواد رأسه .

(٤) سبق أن وجهه صلى الله عليه وسلم كان بين الطويل والعريض ، فالمراد من الاستدارة هنا ما يقاربها .

(٥) المراد من الخاتم خاتم النبوة ، وكان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم قطعة لحم فى مثل بيضة الحمامة ، تشبه جسده الشريف .

عن جابرِ بن سَمُرَةَ قالَ : (كانَ فى ساقَىْ رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ حُمُوشَةٌ (١) ، وكانَ لايَضْحَكُ إلَّا تَبَسُّماً (٢) . وكُنْتَ إذا نظرْتَ إليهِ قلْتَ : أَكْحَلُ الْعَيْنَيْن ، ولَيْسَ بأَكْحَل (٣) . (رواه الترمذى)

عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَفْلَجَ (٤) الثَّنِيَّتَيْنِ ، إذَا تكَلَّمَ رُؤِىَ كالنورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْن ثَنَايَاهُ !) .

(رواه الدارمى ، والترمذى فى «الشمائل») .

---

(١) بضم الحاء المهملة والميم . أى رقة ولطافة مناسبة لسائر أعضائه صلى الله عليه وسلم .

(٢) التبسم مبادىء الضحك . فهو من الضحك بمنزلة السنة من النوم .

(٣) فكانت عيناه صلى الله عليه وسلم كحلاوين من غير اكتحال .

(٤) الفلج ، بفتحتين ، تباعد ما بين القدمين ، وتباعد ما بين الأسنان ، وفى رواية : أفلج الثنايا .

الفهرس

كتاب البعث بعد الموت وما يكون يوم القيامة

وفيه ستة أبواب

الباب الأول

في الحشر والنشر ـ وفيه خمسة فصول

الباب الثانى

فى شدة هول الموقف ـ وفيه ستة فصول

الباب الثالث

في العرض والحساب والقصاص — وفيه أحد عشر فصلا

الباب الرابع

في الشفاعة — وفيه أربعة فصول

الباب الخامس

فى الحوض والميزان والصراط — وفيه ثلاثة فصول

الباب السادس

ما جاء فى نار جهنم وأهلها ، أعاذنا الله منها — وفيه سبعة فصول

القسم الرابــــع

نبوة محمد صلى عليه وسلم

كتاب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته

وفيه أبواب

البــاب الأول

الباب الثانى

الباب الثالث

الباب الرابع

دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحى عليه

وفيه تسعة فصول

الباب الخامس

ما جاء على لسانه عليه الصلاة والسلام عن الملائكة وصفات الله
وفيه فصلان

الباب السادس

وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ومحبته ، وتوقيره ، وترك سؤاله عما لا ضرورة
إليه ، وحكم أقواله فى أمور الدنيا إذا قالها صلى الله
عليه وسلم عن الظن وفيه ستة فصول

الموضوع الصفحة

الباب السابع

الباب الثامن

الباب التاسع

الباب العاشر

الباب الحادى عشر

تم بعون الله وحمده

طبع المجلد الثانى من كتاب

المنتخب من السنة

ويليه إن شاء الله المجلد الثالث

وأوله : كتاب الطهارة

الطبعـة الثانيـة

جمادى الثانى ١٣٨٧ هـ سبتمبر ١٩٦٧ م

(مطابع شركة الإعلانات الشرقية)